مَجْمُوعُ
ٱلعَقِيْدَةِ وَٱلتَّوْحِيْدِ

تأليف

صادق بن محمد البيضاني

مكتبة الأصالة والتراث

بسم الله الرحمن الرحيم

مَجْمُوعُ
ٱلعَقِيْدَةِ وَٱلتَّوْحِيْدِ

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

مكتبة الأصالة والتراث

الإمارات العربية المتحدة - الشارقة

سيلون - هاتف ٠٠٩٧١٥٠٧٢٥٣٧٧١ - فاكس ٠٠٩٧١٤٢٩٥٣٢٩٥

E -mail : alasalauae@yahoo.com

مُقَدِّمَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه، وبعد:

فهذا المجموع المبارك يشمل عدة رسائل تختص بشروحٍ وقواعدَ مهمةٍ لا يستغني عنها طلبة العلم الشرعي في العقيدة والتوحيد، وقد طُبع أغلبها في رسائل مستقلة، منها ما هو أشرطة مفرغة ومنها ما هو تأليف مستقل كما سيأتي توضيحه.

وقد اقترح بعض طلبة العلم أن تُجمع هذه الرسائل في هذا المجموع حتى تكون سهلة المتناول، فاستحسنت هذا الاقتراح فكان الأمر كما هو ظاهرٌ بين يدي القارئ الكريم.

وقد اشتمل هذا المجموع على الرسائل الآتية:

قواعدُ وأصول العقيدة والتوحيد «تأليف» وقد طُبعت في رسالة مستقلة، الناشر مكتبة منهاج السنة بدولة الإمارات.

شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة «تأليف» وقد طُبع في رسالة مستقلة، الناشر مكتبة منهاج السنة بدولة الإمارات.

شرح القواعد الأربع في التوحيد «شريط مسجل» قام بتفريغه وتخريج نصوصه والتعليق عليه الأخ الكريم/ ياسين أبو الحسين البلوشي، وقد طُبع في رسالة مستقلة، الناشر مكتبة منهاج السنة بدولة الإمارات.

شرح ثلاثة الأصول في التوحيد «أشرطة مفرغة» قام بتفريغها وتخريج

نصوصها والتعليق عليها الأخوان الكريمان: أبو أحمد خميس ابن سويد الوحشي وأبو عبد العزيز حمزة بن محمد أيوب البلوشي.

شرح الأصول الستة «أشرطة مفرغة» قام بتفريغها وتخريج نصوصها أحد طلبة العلم لا أستحضر اسمه.

وقد أعدت النظر والمراجعة في كافة تلكم الرسائل حتى تحصل بذلك الفائدة المرجوة، شاكراً لهم حسن صنيعهم، معترفاً بفضلهم وجميل جهدهم.

سائلاً المولى أن ينفع بهذا المجموع، وأن يكون لي ذخراً يوم ألقاه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

أبو محمد صادق بن محمد صالح البيضاني

غفر الله له ولوالديه آمين

حرر بمدينة الرياض بتاريخ ٥ صفر لعام ١٤٢٧هـ

تمهيد

قبل البدء في المقصود ينبغي لطالب العلم أن يقف على بعض المقدمات الممهدة لمعرفة العقائد، ونوجز ذلك في خمس مقدمات:

المقدمة الأولى

أهمية تدريس العقيدة الصحيحة

تكمن أهمية دراسة العقيدة الإسلامية الصحيحة في جمع كلمة المسلمين وربطهم بربهم ومليكهم جل وعلا ليحققوا العبودية الصحيحة على مراد الله وينزهوه عن النضير والند والمثيل ويدفعوا بذلك تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ليعيدوا للأمة الإسلامية مجدها التليد وفقاً للفهم الذي سلكه صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام - الذي زكاهم ربنا بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

قال الشاطبي في الموافقات ٤/ ٧٩: . . ومن أبغضهم فقد أبغض النبي عليه الصلاة والسلام وما ذاك من جهة كونهم رأوه أو جاوروه أو حاوروه فقط.

إذ لا مزية في ذلك وإنما هو لشدة متابعتهم له وأخذهم أنفسهم بالعمل على سنته ونصرته.

ومن كان بهذه المثابة حقيقٌ أن يُتخذ قدوة وتجعل سيرته قبلة. أ هـ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

قال ابن مسعود: «**إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته.**

ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه.

فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن.

وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ»[(١)].

وذكر الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية (ص ٤٩) بسنده إلى أبي زرعة أنه قال: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسننَ أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة. أهـ

فحاجتنا إلى العقيدة وفقاً لفهم سلفنا الصالح أشدُّ من حاجتنا إلى الطعام والشراب إذ هي غذاء الروح، وأما الطعام والشراب فغذاء الجسد الذي سيبلى ويأكله الدود، وبينهما بونٌ كبير.

فلزاماً على أبناء الأمة أن يدرسوا العقيدة الصحيحة، ويفقهوها ليحققوا العبودية على مراد الشرع لا على مراد الهوى والنفس والشيطان.

---

(١) أثر صحيح (انظر تخريجه في كتابنا «تذكرة الأنام بحكم القراءة في المصحف للإمام» ص١٤ - ١٥، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ).

المقدمة الثانية

ظهور الفرق والطوائف عَلَمٌ من أعلام النبوة

وردت مجموعة من الأحاديث الصحيحة التي تؤكد ظهور فرق الضلال في أمة الإسلام فكان الأمر كما أخبر عنه عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك:

الأول: ما أخرجه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة(١) وهو رجل من بني تميم. فقال: يا رسول الله اعدل. فقال: ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبتَ وخسرتَ إن لم أكن أعدل. فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه. فقال: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم(٢) يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية(٣)، ينظر إلى نصله(٤) فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه(٥) فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه(٦) فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم(٧)، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة(٨) تدردر(٩)،

---

(١) واسمه حرقوص بن زهير رأس الخوارج قتل مع من قتل يوم النهروان، وقال الحافظ في الفتح (٢٩٤/١٢) وقع في موضع آخر في الصحيح أنه: عبد الله بن ذي الخويصرة.

(٢) التراقي: جمع ترقُوة بضم القاف، وهو العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق.

(٣) الرمية: الصيد المرمي، حيث شبه مروقهم من الدين بالسهم الذي يصيب الصيد.

(٤) النصل: حديدة السهم.

(٥) الرصافه: بكسر الراء ثم مهملة ثم فاء أي عصبه الذي يكون فوق مدخل النصل.

(٦) قذذه: بضم القاف وفتح الذال المعجمة الأولى جمع قذة وهو ريش السهم.

(٧) بمعنى أنه مر سريعاً في الرمية، وخرج لم يعلق به شيء، فشبه خروجهم من الدين ولم يتعلقوا منه بشيء بخروج ذلك السهم.

(٨) البضعة: بفتح أوله بمعنى القطعة من كل شيء.

(٩) بفتح أوله ودالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء ساكنة وآخره راء، وهو على حذف إحدى التاءين وأصله تتدردر ومعناه: تتحرك وتذهب وتجيء.

ويخرجون على حين فرقة من الناس. قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم، وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي عليه الصلاة والسلام.

قلت: فهذا علم من أعلام النبوة فإن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر عن قوم بأوصاف ونعوت وُجِدَتْ كلها في الخوارج فكان الأمر كما أخبر عليه الصلاة والسلام حتى قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه.

وذكر البخاري في صحيحه(١) باتصال السند إلى يسير بن عمرو قال: قلت لسهل بن حنيف هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئاً؟

قال: سمعته يقول وأهوى بيده قبل العراق «يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية». قلت: وكان سلفنا الصالح يحذرون منهم غاية التحذير وذلك لعظم فتنتهم.

قال الإمام مسلم في صحيحه(٢): حدثنا أبو كامل الجحدري، حدثنا حماد وهو ابن زيد، قال حدثنا عاصم قال: كنا نأتي أبا عبد الرحمن السلمي ونحن غلمة أيفاع(٣). فكان يقول لنا: لا تجالسوا القصاص غير أبي الأحوص وإياكم وشقيقاً.

قال: وكان شقيق هذا يرى رأي الخوارج وليس بأبي وائل. قال الحافظ في الفتح ١٢/ ٢٨٣-٢٨٦: أما الخوارج فهم جمع خارجة أي طائفة، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين، وأصل بدعتهم فيما حكاه الرافعي في الشرح الكبير: أنهم خرجوا

(١) صحيح البخاري (٦/ ٢٥٤١ رقم ٦٥٣٥، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه).
(٢) صحيح مسلم (١/ ١٢، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها).
(٣) الأيفع: الذي قارب البلوغ ولم يبلغ، وجمعه أيفاع.

على علي ﷺ حيث اعتقدوا أنه يعرف قتلة عثمان ﷺ، ويقدر عليهم ولا يقتص منهم لرضاه بقتله أو مواطأته إياهم كذا قال وهو خلاف ما أطبق عليه أهل الأخبار. فإنه لا نزاع عندهم أن الخوارج لم يطلبوا بدم عثمان، بل كانوا ينكرون عليه أشياء، ويتبرءون منه.

وأصل ذلك: أن بعض أهل العراق أنكروا سيرة بعض أقارب عثمان فطعنوا على عثمان بذلك.

وكان يقال لهم: القراء لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة إلا أنهم كانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه، ويستبدون برأيهم ويتنطعون في الزهد والخشوع وغير ذلك، فلما قتل عثمان قاتلوا مع علي واعتقدوا كفر عثمان ومن تابعه، واعتقدوا إمامة علي وكفر من قاتله من أهل الجمل الذين كان رئيسهم طلحة والزبير فإنهما خرجا إلى مكة بعد أن بايعا علياً، فلقيا عائشة وكانت حجت تلك السنة فاتفقوا على طلب قتلة عثمان وخرجوا إلى البصرة يدعون الناس إلى ذلك. فبلغ علياً، فخرج إليهم فوقعت بينهم وقعة الجمل المشهورة وانتصر علي وقُتِلَ طلحة في المعركة وقُتِلَ الزبير بعد أن انصرف من الوقعة فهذه الطائفة هي التي كانت تطلب بدم عثمان بالاتفاق أ.هـ

الثاني: أخرج ابن ماجه في سننه[1] عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ: «**إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**». **وفي رواية أخرى: «قالوا وما هي يا رسول الله قال ما كنت عليه أنا وأصحابي»**.

وهذا الحديث حسن لغيره وله شواهد كثيرة[2].

وهذا الحديث لا ينكره إلا مبتدع أو جاهل أو متنطع، وفيه دلالة واضحة على ظهور فرق الضلال والابتداع.

---

(١) صحيح ابن ماجه (٢/ ١٣٢٢ رقم ٣٩٩٣، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم).

(٢) رواه جمع من الصحابة منهم أبو هريرة وعبد الله بن عمرو ومعاوية بن أبي سفيان وعوف بن مالك وخلق كثير،وهو مخرج في كتب السنة والمسانيد وغيرها.

والأمر كما أخبر عليه الصلاة والسلام فقد ظهرت فرق كثيرة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام كالخوارج الذين يكفرون بالكبيرة ويستحلون أموال ودماء الأمة وظهرت غيرها من الفرق الأخرى كالقدرية والمرجئة والمعتزلة والجهمية والصوفية والشيعة والزنادقة والباطنية وغيرها من فرق الضلال نسأل الله السلامة والعافية.

الثالث: أخرج الشيخان[(١)] عن حذيفة بن اليمان أنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.

فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: نعم.

قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: نعم، وفيه دخن[(٢)].

قلت: وما دخنه؟

قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر.

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها.

قلت: يا رسول الله صفهم لنا.

قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك.

قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام.

---

(١) متفق عليه.
(٢) أي ليس خيراً خالصاً، بل فيه ما يشوبه ويكدره، وقيل الدخن الأمور المكروهة.

قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.

قال الحافظ في الفتح ١٣/٣٦، قال عياض: المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت بعد عثمان، والمراد بالخير الذي بعده ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز، والمراد بالذين تعرف منهم وتنكر الأمراء بعدهم فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل وفيهم من يدعو إلى البدعة ويعمل بالجور.

قلت: والذي يظهر أن المراد بالشر الأول ما أشار إليه من الفتن الأولى، وبالخير ما وقع من الاجتماع مع علي ومعاوية، وبالدخن ما كان في زمنهما من بعض الأمراء كزياد بالعراق وخلاف من خالف عليه من الخوارج وبالدعاة على أبواب جهنم من قام في طلب الملك من الخوارج وغيرهم والى ذلك الإشارة بقوله: الزم جماعة المسلمين وإمامهم يعني ولو جار، ويوضح ذلك رواية أبي الأسود: ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك[1].

وكان مثل ذلك كثيراً في إمارة الحجاج ونحوه أ.هـ

قلت: ومن الدعاة اليوم على أبواب جهنم العلمانيون والماسونيون ومن شاكلهم من دعاة الأفكار والأحزاب السياسية الهدامة فإنهم كلهم ممن قام وطلب الملك إما بانقلاب على حكام المسلمين لمصالحهم المنحرفة أو بالمشاركات الحزبية السياسية ذات الوصف التعددي الديمقراطي اليهودي باسم العدالة وحقوق الإنسان دون النظر في واقع الأدلة الشرعية وواقع المصالح المرسلة حتى أوقعوا أمة الإسلام في المهالك وأضروا الأمة وشبابها ودعاتها وعلماءها أيما إضرار، وهناك التكفيريون «دعاة التفجير في بلاد الاسلام» باسم الإسلام والدعوة إلى الخلافة الراشدة، وما أشبه دعوتهم بفتنة ابن الأشعث ذلك الذي سانده معه جماعة من العلماء الأكابر كالحسن البصري ومالك بن دينار ومسلم بن يسار وكانوا يأمرون بقتال الحجاج مع ابن

---

(١) هذه رواية لمسلم (٣/ ١٤٧٥ رقم ١٨٤٧، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة.

الأشعث فلما حمي الوطيس وسقط الآلاف من القتلى وأصيب المسلمون بالذعر والمحن والقلاقل وتناسوا وقوفهم وجهادهم ضد أهل الكفر بسبب هذه الفتنة الدهماء بعد ذلك كله ونحوه شعر أولئك الأعلام بالخطأ وخطر الخروج على والي المسلمين الحجاج بن يوسف وأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان واستغفروا الله من ذلك كله وحسنت عودتهم.

فأين قراء التاريخ والمعتبرون من هذه الفتنة ونحوها فما أشبة الليلة بالبارحة سوءً وعدواناً وجهالة وغفلةً إلا من رحم الله.

فرحم الله أئمتنا فهم القوم لا يصرون على الخطأ بل يتوقفون حيث توقف بهم الشرع الحنيف.

والحاصل في هذا الباب: فكل من رفض أصلاً من أصول أهل السنة المتفق عليها بعد قيام الحجة عليه عُدَّ من أهل الضلال والأهواء وخرج عن دائرة السنة، ومنهم مَن خروجه ما يكون خروجاً عن الملة متى تبين كفره جلياً - لنا عليه من الله برهان - ومنهم ما يكون خروجاً عن السنة مع بقاء مسمى الدين.

لقد صدق رسولنا عليه الصلاة والسلام فقد أخبر عن ظهور طوائف البغي والضلال فكان الأمر كما أخبر دون ريبة أو شك ولو تتبعنا تلكم الأخبار لوجدناها كثيرة لا يتسع المقام لبسطها كلها وخصوصاً في ورقات كهذه فالسنن السنن فإنها قوام الدين ولا يتخاذل عنها إلا من أضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون.

المقدمة الثالثة

توجيه تعداد الفرق الإسلامية وذكر بعض أشهرها

المتأمل في حديث الفرق الهالكة يجد أن رسول الله عليه الصلاة حصرها في ثنتين وسبعين فرقة جاعلاً مقياس المخالفة خروج جماعةٍ ما عن ما كان عليه الصدر الأول.

فقال عليه الصلاة والسلام: «كلها في النار إلا واحدة.

قالوا: وما هي يا رسول الله؟

قال: ما كنت عليه أنا وأصحابي».

فكل دعوة خالفت الطريق النبوي الشريف فأصحابها هلكى هكذا أخبرنا نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ونجد أن مفهوم المخالفة في الحديث عام غير محصور بمعين أو أفراد.

أي أن نوعية المخالفة قد تكون في الأصول والفروع ولكن لا يعني أن كل من خالف في الأصول أو الفروع فهو من الفرق الهالكة بل لا بد من النظر في حقيقة المخالفة أهي مخالفة يسع فيها الخلاف فيها وقد سبق لأهل السنة والجماعة أن اختلفوا أم لا؟

فإن سُبِق المخالفُ بخلاف معتبر فلا يخرج عن دائرة أهل السنة والجماعة ولكن إن شذ أو أنكر فرعاً أو أصلاً أقيمت عليه فيه الحجة وأزيلت عنه الشبهة، فإن تراجع فبها ونعمت وإلا فهو ضال مضل معدود من أفراد فرقة من الفرق الهالكة.

وفِرَقُ الضلال كثيرة بل تجاوزت المئات إلا أنها في أصولها لا تخرج عن الثنتين والسبعين فرقة.

ومن أراد الوقوف عليها وعلى تواريخ نشأتها وأربابها جملةً وتفصيلاً فله أن يقرأ الملل والنحل لأبي محمد بن حزم والملل والنحل لأبي الفتح

الشهرستاني وكتاب أبي محمد اليمني عليه رحمة الله ونحوها من الكتب التي ذكرت تاريخ الفرق بالتفصيل.

ولا مجازفة لو قلنا:

إن سبب ضلال الأمم دخولهم وخوضهم في علم الكلام والجدل فهو رأس كل بلية، وجذوره لم تأت إلا من أرباب اليهود والبوذية وبلاد اليونان، وقد بدأ دخوله في الأوساط الإسلامية عند نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجريين، وأول من تلقفه من أهل الإسلام المعتزلة والقدرية.

قال طاش كبري زاده في كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة: اعلم أن مبدأ شيوع علم الكلام كان على أيدي المعتزلة والقدرية في حدود المائة من الهجرة أ.هـ

وما ظهر علم الكلام في البلاد الإسلامية حتى فشا فيهم التعطيل والتحريف والتكييف والنفي والتأويل لصفات الجبار جلَّ وعلا وظهر أقوام ينتسبون إلى الدين وهم منه براء فمنهم المارقون ومنهم دون ذلك طرائق قددا.

فلله در نبينا عليه الصلاة والسلام القائل: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»(١).

وأول هذه الفرق ظهوراً الخوارج، وقد سبق الحديث عنهم وقابلتهم الشيعة وهم من تشيع لعلي بن أبي طالب وهم فرق شتى إلا أنه يغلب على فرق التشيع التأثر بالمنهج والعقيدة المعتزلية الضالة ولذا فهم في قواعدهم وأصولهم مشارب شتى لا يستقيمون على أصل موحد والحديث عنهم يطول ومحله كتب الفرق ثم تسلسلت من بعدهم طوائف كثيرة إلا أنَّا نقول:

إن بداية أمر الشيعة والخوارج لم يكن تأثراً بعلم الكلام والجدل بل كان

(١) حديث حسن.
أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٣٧٨ رقم ٣٢٥٣، كتاب التفسير، باب ٤٤ من سورة الزخرف) وكذا أخرجه ابن ماجه وأحمد وآخرون.

تأولاً وحمية وتعصباً وبسبب التيارات السياسية آنذاك في خلافة عثمان ﷺ ولوجود عدو الله اليهودي عبد الله بن سبأ الذي قام بدور الإضلال والتضليل حتى أوقع بعض أهل البيت وأتباعهم في مهب التعصب الديني والتشيع المقيت، ولم نتأثر الشيعة بعلم الكلام إلا بعد تأثرها بأهل القدر والاعتزال منذ دخوله في أواخر القرن الأول الهجري.

ويمكننا ذكر أشهر هذه الفرق والطوائف مع بيان أربابها ومعتقداتهم فيما يتعلق بالعقائد والأديان:

أولاً: الخوارج:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون(١).

وقال: وهم أول من كفّر أهل القبلة بالذنوب، بل بما يرونه هم من الذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك(٢).

وسموا بالناصبة أيضاً لمناصبة علي ﷺ وآله العداء، وصرّحوا ببغضهم له.

وظهروا في ١٠ من شهر شوال عام ٣٧هـ ببيعتهم عبد الله بن وهب الراسبي.

ثانياً: الشيعة:

وهم من تشيع لعلي بن أبي طالب وذريته وكانوا يرون أن الأحق بالخلافة بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وهم فرق كثيرة أحسنها حالاً شيعة الزيدية، وأسوأها حالاً الفرق الكافرة كالإسماعيلية والباطنية والمكارمة والنصيرية والدروز وملل أخرى.

وقد ظهرت طائفتا الخوارج والشيعة في خلافتي عثمان وعلي ﷺ.

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مجموع الفتاوى، الطبعة الثانية، دار النشر١٤٠٦هـ، ٣/ ٣٤٩.

(٢) المصدر السابق، ٧/ ٤٨١.

ثالثاً: القدرية:

ظهرت في أواخر القرن الأول وهم أتباع معبد الجهني، وهو أول من تكلم في القدر.

وعقيدتهم أنه لا قدرة لله في قدرة العبد بزعمه أن العبد يفعل

ما يشاء باختياره وقدرته كيف شاء ومتى شاء، فهم نفاة القدر، ويطلق عليهم مجوس هذه الأمة.

قال أبو محمد ابن قتيبة وهو عبد الله بن مسلم الدينوري في كتاب المعارف: كان غيلان الدمشقي قبطيا قدريا لم يتكلم أحد قبله في القدر ودعا إليه إلا معبد الجهني. أ.هـ

رابعاً: المرجئة:

وقد ظهرت هذه الطائفة في أوآخر القرن الأول

وعقيدتهم أنها: لا تضر معصية مع إيمان، فالإيمان عندهم مجرد القول بالشهادتين دون أن يعمل شيئاً، وبذلك يضمن الإنسان دخول الجنة مهما كان عمله ويحتجون بقوله سبحانه تعالى: ﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى﴾[1].

وعندهم الأشقى في الآية الكافر.

خامساً: المعتزلة:

ظهرت هذه الطائفة في أوآخر القرن الأول

وبداية القرن الثاني، وقد تزعمها واصل بن عطاء، وعقيدتهم نفي صفات الباري جل وعلا وإثبات أسمائه.

سادساً: الجهمية:

ظهرت هذه الطائفة أيضاً في أوآخر القرن

(١) سورة الليل، الآية: ١٥.

الأول وبداية القرن الثاني، وزعيمهم الجهم بن صفوان وعقيدتهم نفي أسماء وصفات الباري جل وعلا.

سابعاً: الجبرية:

ظهرت هذه الطائفة في أوائل القرن الثاني

وقد انبثقت من فرقة الجهمية تحت لواء زعيمهم الجهم بن صفوان الذي نادى بالجبر وقال: لا إرادة للإنسان بجوار إرادة الله..

وعقيدتهم: نفي الإرادة عن الإنسان حيث قالوا: لا قدرة للعبد بل العبد مجبور بفعل كل شئ حتى المعصية، ومنهم الغلاة الذين يقولون: كل ما يفعله العبد من خير أو شر فهو عين فعل الرب تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً.

ثامناً: الأشاعرة:

تزعم هذه الفرقة الإمام أبو الحسن الأشعري.

واسمه علي بن إسماعيل بن إسحاق المولود عام ٢٧٠هـ والمتوفى عام ٣٣٠هـ، وقد ظهرت هذه الفرقة للرد على الفلاسفة والجهمية والمعتزلة ونحوها من فرق الضلال عند أوائل القرن الثالث الهجري منشقة عن المعتزلة وهم يثبتون لله الأسماء على ما وردت في الكتاب والسنة إلا أن الأشاعرة وقعوا في ضلال كبير وهو تأويل صفات الباري ما عدا الصفات السبع المجموعة في قول بعضهم:

حيٌّ عليمٌ قديرٌ والكلامُ لهُ ... إرادةٌ وكذاكَ السمعُ والبصرُ

ومع أنهم أثبتوا السبع الصفات وأوصلها بعضهم إلى عشرين إلا أنهم لم يسلموا من تأويل كلام الباري فقالوا كلام الله نفسي غير حقيقي مستدلين بقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جُعِل اللسانُ على الفؤاد دليلا

وقد مكث أبو الحسن فترة على هذا المذهب الضال ثم يسر الله له أن

تراجع وتمسك بمذهب الحق أهل السنة والجماعة رحمه الله لكن بقي المتعصبون له على مذهبه السابق فرد عليهم وبين ضلال اتباعه من الأشاعرة وأعلن البراءة من المذهب المبتدع يرحمه الله.

تاسعاً الماتريدية:

تزعم هذه الفرقة أبو منصور الماتريدي، وهي فرقة كلامية كالأشاعرة في كثير من الأمور، وقد قاموا لتصدي ضلالات الجهمية والمعتزلة وغيرها من فرق الضلال بالأساليب الكلامية العقلية حيث قدموا العقل على النقل وأثبتوا لله تعالى أسماءه الحسنى، إلا أنهم أدخلوا في أسمائه تعالى بعض الأسماء الغير ثابتة كالصانع والقديم والذات.

وقالوا بإثبات ثماني صفات لله تعالى فقط، على خلافٍ بينهم وهي:

الحياة، القدرة، العلم، الإرادة، السمع، البصر، الكلام، التكوين. وعلى أن جميع الأفعال المتعدية ترجع إلى التكوين، أما ما عدا ذلك من الصفات التي دل عليها الكتاب والسنة [الصفات الخبرية] من صفات ذاتية، أو فعلية فإنها عندهم لا تدخل في نطاق العقل، ولذلك قالوا بنفيها جميعاً.

وقالوا بأن القرآن الكريم ليس بكلام الله تعالى على الحقيقة، وإنما هو

كلام الله تعالى النفسي، لا يُسْمِعُه أحداً وإنما يُسْمَعُ ما هو عبارة عنه، ولذا فالكتب السماوية بما فيها القرآن بهذا الاعتبار الجائر كلها مخلوقة.

المقدمة الرابعة

مسميات عقيدة المسلم الحقة

عقيدة المسلم الحقة هي عقيدة رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام.

وما دونها من العقائد فباطل ما أنزل الله به من سلطان، لأن كل اعتقاد لم يعتقده نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا أصحابه ولا وسعهم فمردود في وجه صاحبه.

وما مات نبينا ﷺ حتى بين لنا شرع الله القويم المشتمل على العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص، والمنهج القويم، والشريعة المطهرة، والسلوك الحسن وهو القائل عليه الصلاة والسلام: «لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء»(١).

فالعقيدة السليمة مُسَطَّرةٌ، وواضحةٌ بَيْنةٌ في كتاب الله وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومن أعرض عنهما فقد أعرض عن الحياة الحقة ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ﴾(٢).

ولعقيدة المسلم الصحيحة مسميات شُهِرت بها منذ أزمنة قديمة، وهي على المشهور ما يأتي:

أولاً: عقيدة أهل السنة والجماعة

والسنة لغة: الطريقة والسيرة حسنةً كانت أو سيئةً. واصطلاحاً: هي هدي رسول الله عليه الصلاة والسلام علماً، وعقيدة، ومنهجاً، وشريعةً، وسلوكاً سواء كان قولاً، أو عملاً.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف رقم ٣٤٣٣٢ وغيره والحديث صحيح لغيره.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

فقولهم: أهل السنة بمعنى أصحاب الطريقة النبوية الصحيحة. وقد سموا بأهل السنة نسبة لسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام. والتسمية بهذا الاسم قديمة، فقد جاءت عن سلفنا الصالح رضوان الله عليهم.

ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه[١] عن ابن سيرين قال: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة. قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة، فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم». وأخرج الدارمي[٢] بإسناد حسن عن الحسن البصري أنه قال: «سننكم والله الذي لا إله إلا هو بينهما بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلكم إن شاء الله فكونوا».

وجاء عن ابن عباس أنه فسر قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾: بأنها وجوه أهل السنة والجماعة[٣].

وأما معنى الجماعة لغة: فمأخوذ من الإجماع والإجتماع بمعنى أنهم مجتمعون أو مُجْمِعون على شيء ما.

واصطلاحاً: هم من اجتمع على هدي رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وهم الصحابة ومن سار على منهجهم إلى يوم الدين. وقد سموا بذلك لكونهم جماعة مجتمعة على أصول ثابتة. وكلُّ مُنْ التزم بالسنة ومذهب الجماعة يقال له: جماعة حتى وإن لم يوجد على المعتقد الصحيح سواه في

(١) صحيح مسلم (١/ ١٢، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها).

(٢) سنن الدارمي (١/ ٨٣ رقم ٢١٦، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي)، وفي اسناده: المبارك بن فضالة حسن الحديث إلا أنه يدلس تدليس التسوية ولم يصرح في روايته هذه بالتحديث، فاسناده لا يصح.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ، ١/ ٥١٥، والآية من سورة آل عمران رقم: (١٠٦).

بلدته. ولذا جاء عن ابن مسعود أنه قال: «**الجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك**»[(١)].

وقد ورد ذكر الجماعة على لسان رسول عليه الصلاة والسلام ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه[(٢)] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتةً جاهلية**».

وقد سبق ذكر أحاديث أخرى ذكرت لفظ الجماعة كحديث الفرق وحديث حذيفة ونحوهما.

ثانياً: عقيدة السلف

ومعنى السلف في اللغة: الماضون أو المتقدمون، ويراد به في اصطلاح العقيدة: القوم الذين سلفوا ممن هم على هدي رسول الله عليه الصلاة والسلام وهم أخص بالقرون المفضلة الذين جاء ذكرهم في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**.

قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة، ثم قال النبي ﷺ: إن بعدكم قوماً يخونون، ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن[(٣)]. وقد سموا بالسلف لأنهم سَبَقُوا مَنْ خَلَفَهُمْ علي الهدي الصحيح. وقد ورد ذِكْرُ كلمة السلف محمودةً في كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك قوله كما في الصحيحين لابنته فاطمة عليها السلام: **اتقي الله، واصبري، فإني نِعْمَ السَّلَفُ أنا لَكِ**[(٤)].

---

(١) أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل، الباعث على إنكار البدع والحوادث، تحقيق: عثمان أحمد عنبر، دار الهدى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص٢٢.

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٤٧٦رقم ١٨٤٨، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة).

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

ثالثاً: العقيدة السلفية

وهي نسبة لمعتقد سلف هذه الأمة، وهم أهل القرون المفضلة يقال: سلفية نسبة لما يعتقدونه من المسائل العقدية التي اعتقدها سلفنا الصالح رضوان الله عليهم. وقد جاء ذكر العقيدة السلفية على لسان ابن تيمية في مجموع الفتاوى وعامة كتبه في أكثر من عشرة مواضع ولم أجد من سبقه إلى هذه التسمية.

رابعاً: عقيدة أهل الأثر

نسبة إلى المتمسكين بالآثار السلفية الواردة عن نبينا عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام.

وقد جاء ذكر الأثريين وهم أهل القرون المفضلة على لسان رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده[1] بإسناد حسن من حديث أبي هريرة قال: «**قيل للنبي ﷺ يا رسول الله أي الناس خير؟**

قال: أنا ومن معي.

قال: فقيل له ثم مَنْ يا رسول الله؟

قال: الذي على الأثر.

قيل له ثم من يا رسول الله؟

قال: فرفضهم».

ولقد أحسن عبده بن زياد الأصبهاني حين قال كما في شرف أصحاب الحديث - للخطيب البغدادي (ص١٤١):

دينُ النبيِّ محمدٍ أخبارُ ... نِعْمَ المطيَّةُ للفتى الآثارُ

لا تُخْدَعَنّ عن الحديثِ وأهلِهِ ... فالرأي ليلٌ والحديثُ نهارُ

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢/ ٢٩٧ رقم ٧٩٤٤، مسند أبي هريرة).

ولربما غَلِطَ الفتى سُبَلَ الهدى والشمسُ بازغةٌ لها أنوارُ

قال أبو محمد الرازي كما في اعتقاد أهل السنة ١/ ١٧٩: سمعت أبي يقول: علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال الآثار، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة، وعلامة المرجئة تسميتهم أهل السنة مخالفة، ونقصانية، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل السنة ناصبة، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء أ.هـ

خامساً: عقيدة الطائفة المنصورة

والطائفة بمعنى الجماعة من الخلق، والمنصورة بمعنى ظاهرة على أعداء السنن إلى قيام الساعة، لا تُخْذَل لأن الله نصيرها.

وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«لا يزال من أمتي، أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك»**(١).

سادساً: عقيدة الفرقة الناجية

بمعنى ناجية من النار بخلاف غيرها من الفرق الهالكة، والنجاة مأخوذة من الحديث السابق وهو قوله عليه الصلاة والسلام: **والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار. قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: الجماعة.**

وهذه التسميات مختلفة الألفاظ، متفقة المعاني، إذ كلها تعني أولئك القوم الذين تمسكوا بهدي رسول الله عليه الصلاة والسلام بفهم سلف هذه الأمة ﷺ علماً وعقيدة ومنهجاً وشريعةً وسلوكاً.

وليحمد الله كل مسلم انتسب إلى هذا الهدي المبارك بأي اسم من هذه

---

(١) متفق عليه.

المسميات الصحيحة لكونه انتسب إلى هدي رسول الله عليه الصلاة والسلام وهدي صحابته الكرام ﷺ انتساباً صحيحاً على الوجه المطلوب شرعاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة كما في مجموع الفتاوى ٤/١٤٩: **لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب أليه، واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً.أ.هـ**

المقدمة الخامسة

تعريف العقيدة

العقيدة لغة:

كلمة (عقيدة) مأخوذة من العقد وهو الربط، والشد بقوة، ومنه الإحكام والإبرام، والتماسك والمراصة، يقال: عقد الحبل يعقده: شده، ويقال: عقد العهد والبيع: شده، وعقد الإزار: شده بإحكام، والعقد: ضد الحل[١].

يقال: يَعْقِدُ الشخصُ بمعنى يربط.

ومنه الربطُ الوثيق على القلب بما يعتقده الشخص حقاً كان أو باطلاً، وقد سميت بذلك لأن القلب يَعْقِدُها عَقْدَاً وَثِيْقَاً.

ولذا يمكن تعريفها في الاصطلاح الشرعي بأنها: ما يعتقده الشخص بقلبه، ويدين الله به فإن طابق الشرع فصحيحٌ، وإن خالفه فباطلٌ.

فالرجل يعتقد جواز لبس التمائم، والحروز لدفع الشرور والأمراض ونحوها فهذا اعتقاد باطل.

لأنه خالف الشرع ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام: **مَنْ عَلَّقَ تَمِيْمَةً فقد أشرك**[٢].

وإذا اعتقد أن لبسها لا يجوز فهذا اعتقاد صحيح لأنه وافق الشرع.

وقس أمثلة بنحو ما ذكرنا فهي كثيرةٌ في مسائل الاعتقاد، والله أعلم وصلى الله وسلم على رسوله وصحبه وسلم.

(١) القحطاني سعيد بن علي، نور السنة، ص٧.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٦/٤ رقم ١٧٤٥٨) بإسناد حسن عن عقبة بن عامر الجهني.

الرسالة الأولى

قواعدُ وأصول العقيدة والتوحيد

مُقَدِّمَة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه، وبعد:

فهذه قواعدُ مهمةٌ ومُوجزةٌ تختص بالعقيدة والتوحيد، جمعتها لأخواني طلبة العلم بمسجد ومركز دار السلام بمدينة العين، بما يتوافق مع مستواهم العلمي، ليعرفوا من خلالها أهم الأسس التي قامت عليها طريقة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة لِدَحْضِ شبه **أهل الأهواء والبدع الذين خالفوا صراط الله المستقيم**، واستندوا إلى العقل مُدَّعِيْنَ أن كل شيء يتوافق مع العقل فحقٌّ متبعٌ، وكل شيء يعارضه فباطلٌ يُعْرَضُ عنه، حتى أشعلوا نار الفتنة في صفوف المسلمين وعطَّلُوا حقوق الله جل وعلا، وردوا نصوصه الشرعية بمجرد قواعدَ وأصولٍ جاءتهم من فلاسفة العجم، تُعارضُ تماماً ما جاءت به الشرائع السماوية.

وإني لأرجو الله أن أكون قد وُفِّقْتُ لجمع أهم هذه القواعد الصحيحة التي عليها علماء الملة أهل السنة والجماعة.

والله من رواء القصد

القاعدة الأولى

كل شيء في الكون يدل على وجود الصانع الخبير جل جلاله

سُئل أعرابي من أصحاب الفطر السليمة فقيل له: كيف تعرف ربك؟

فقال: **البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، ليلٌ داج، ونهارٌ ساج، وسماءٌ ذات أبراج، أفلا تدل على الصانع الخبير.**

(.. فهذا الأعرابي قد أدرك بفطرته السليمة التي فطره الله عليها أن هذه الكائنات بما فيها من عجائب ونظام محكم، من تعاقب الليل والنهار، ومن سماء مزينة بالنجوم والكواكب، مسيرة بدقة متناهية لا يمكن أن توجد بدون موجد أوجدها، وصيرها إلى ما هي فيه من إحكام وإتقان)[1].

ولو أن ملحداً لا يؤمن بوجود الله جل وعلا فَكَّرَ في نعمة العقل، والبصر، والسمع، والأرض، والسماء، وكل شيء حوله لَدَلَّهُ ذلك على وحدانية الله، وأنه ربُّ كل شيء، وأنه الواحد الأحد الذي يدير هذا الكون.

قال ابن المعتز:

فواعجباً كيف يُعصى الألهْ ... أم كيف يَجحدهُ الجاحدُ

ولله في كلِّ تحريكةٍ ... وتسكينةٍ أبداً شاهدُ

وفي كلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ ... تَدُلُّ على أنهُ الواحدُ

---

(١) القربي د. إبراهيم بن إبراهيم القربي، مغني المريد في التوحيد، مكتبة الجيل، صنعاء، الطبعة الأولى، (ص١١).

قال أبو الفرج بن الجوزي: قد أوهم إبليس خلقاً كثيراً أنه لا إله ولا صانع، وأن هذه الأشياء كانت بلا مكون، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس، ولم يستعملوا في معرفته العقل جحدوه، وهل يشك ذو عقل في وجود صانع!!

فإن الإنسان لو مر بقاعٍ ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطاً مبنياً علم أنه لا بد له من بان بناه، فهذا المهاد الموضوع وهذا السقف المرفوع، وهذه الأبنية العجيبة، والقوانين الجارية على وجه الحكمة أما تدل على صانع؟؟!!

وما أحسن ما قال بعض العرب: **إن البعرة تدل على البعير، فهيكلٌ علوي بهذه اللطافة، ومركزٌ سفلي بهذه الكثافة أما يدلان على اللطيف الخبير؟؟!**

ثم لو تأمل الإنسان نفسه لكفت دليلاً ولشفت غليلاً، فإن في هذا الجسد من الحكم ما لا يسع ذكره في كتاب، ومن تأمل تحديد الأسنان لتقطع وتقريض الأضراس لتطحن، واللسان يقلب الممضوغ، وتسليط الكبد على الطعام ينضجه ثم ينفذ إلى كل جارحة قدر ما تحتاج إليه من الغذاء وهذه الأصابع التي هُيئت فيها العقد لتطوي وتنفتح فيمكن العمل بها، ولم تُجَوَّف لكثرة عملها، إذ لو جُوِّفت لصدمها الشيء القوي فكسرها، وجعل بعضها أطول من بعض لتستوي إذا ضُمَّت وأُخْفِي في البدن ما فيه قوامُه وهي النفس التي إذا ذهبت فسد العقل الذي يرشد إلى المصالح، وكل شيء من هذه الأشياء ينادي أفي الله شك!!

وإنما يخبط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحس، ومن الناس من جحده لأنه لما أثبت وجوده من حيث الجملة لم يدركه من حيث التفصيل فجحد أصل الوجود[١].

---

(١) عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تلبيس إبليس، تحقيق: الدكتور السيد الجميلي. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، صفحة ٥٥.

فكل الأشياء حول بني الإنسان يدعو إلى التفكر، وإعمال العقل حتى يدرك حقيقة ذلك ليحقق العبودية للواحد الأحد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١).

وحكى الرازي عن الإمام مالك: أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغات، والأصوات، والنغمات.

وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى؟

فقال لهم: دعوني فإني مُفَكِّرٌ في أمر قد أُخْبِرْتُ عنه - ذكروا لي أنَّ سفينةً في البحر مُوقرة فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحدٌ يحرسها، ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب، وتجيء، وتسير بنفسها، وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد.

فقالوا: هذا شيءٌ لا يقوله عاقلٌ.

فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي، والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة، ليس لها صانع فَبُهِتَ القومُ ورجعوا إلى الحق، وأسلموا على يديه.

وعن الشافعي أنه سئل: عن وجود الصانع.

فقال: هذا وَرَقُ التُّوت طَعْمُهُ واحدٌ، تأكله الدود، فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشياة والبقر والأنعام فتلقيه بعراً وروثاً، وتأكله الظِبَاء فيخرج منها المسك وهو شيءٌ واحدٌ.

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن ذلك؟

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٦٤.

فقال: ههنا حِصْنٌ حَصِيْنٌ، حَصِيْنٌ أَمْلَس، ليس له بابٌ، ولا مَنْفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره، فخرج منه حيوانٌ سميعٌ بصيرٌ ذو شكل حسن، وصوت مليح.

يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة.

وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد:

تأمّلْ في نبات اِلأرضِ وانْظُرْ ... إلى آثارِ ما صنعَ المليكُ
عيونٌ مِنْ لُجينٍ شاخصاتٌ ... بأبصارٍ هي الذهبُ السبيكُ
على قَصَبِ الزبرجدِ شاهداتٌ ... بأن الله ليس له شريكُ

وقال آخرون: من تأمل هذه السموات في ارتفاعها، واتساعها، وما فيها من الكواكب الكبار، والصغار النيرة من السيارة، ومن الثوابت، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة، ولها في أنفسها سيرٌ يَخُصُّهَا، ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب، والجبال الموضوعة في الأرض، لِتَقَرَّ ويَسْكُن ساكنوها مع اختلافِ أَشْكَالِها وألوانها كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[(١)].

وكذلك هذه الأنهار السارحة مِنْ قُطْرٍ إلى قُطْرٍ للمنافع، وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوعة، والنبات المختلف الطعوم، والأراييج، والأشكال، والألوان مع اتحاد طبيعة التربة ظاهراً، استدل على وجود الصانع، وقدرته العظيمة، وحكمته، ورحمته بخلقه، ولطفه بهم، وإحسانه إليهم، وبره بهم - لا إله غيره، ولا رب سواه، عليه توكلت وإليه أنيب والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جداً[(٢)].

(١) سورة فاطر الآيتان: ٢٧-٢٨.
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ١/ ٨٨.

القاعدة الثانية

كلُّ شيٍ يُسَبحٌ، ويُمَجدٌ خالقه جل وعلا

قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(١).

فما من شيء في الوجود إلا ويعرف ربه، وخالقه إلا الملاحدة، والزنادقة فإنهم ينكرون ولا يعترفون بخالقهم جل وعلا، بخلاف عروقهم، وأجسامهم، وكافة أعضائهم، والجمادات حولهم، والأشياء بجميع أنواعها، واختلاف أشكالها، سَواءٌ تُرى بالعين المجردة أم لا فإنها كلها تسبح، وتمجد باريها وموجدها سبحانه.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾(٢).

ومن صريح الأدلة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾(٣).

ومن الأدلة الواردة في السنة:

حديث عبد الله بن مسعود قال: كنا نَعُدُّ الآيات بركةً، وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فَقَلَّ الماء.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.
(٢) سورة النور، الآية: ٤١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

فقال: اطلبوا فَضْلَةً من ماء.

فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال:

حيَّ على الطهور المبارك، والبركةُ من الله.

فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ: «**ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤْكَل**»(١).

وحديث جابر بن عبد الله قال: كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ: «إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنِعَ له المنبر، وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشَار، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فَسَكَنَتْ»(٢).

وفيه دلالة على أن الجمادات تتعظ ولا يكون ذلك إلا فيمن يعرف ربه ويمجده.

وأخرج ابن أبي عاصم والخلال في السنة واللالكائي في اعتقاد أهل السنة وغيرهم عن عاصم بن حميد قال: إن أبا ذر قال: «إني انطلقت ألتمس رسول الله ﷺ في بعض حوائط المدينة، فإذا رسول الله ﷺ قاعد، فأقبل إليه أبو ذر حتى سلم على النبي ﷺ.

قال أبو ذر: وحصياتٌ موضوعةٌ بين يديه، فأخذهن في يده، فَسَبَّحْنَ في يده، ثم وضعهن في الأرض، فَسَكَتْنَ، ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر فَسَبَّحْنَ في يده، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فَخَرَسْنَ، ثم أخذهن، فوضعهن في يد عمر، فَسَبَّحْنَ في يده، ثم أخذهن، فوضعهن في الأرض فَخَرَسْنَ، ثم أخذهن، فوضعهن في يد عثمان فَسَبَّحْنَ، ثم أخذهن، فوضعهن في الأرض فَخَرَسْنَ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٣٣٨٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٣٣٩٢.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط رقم ١٢٤٤، ٤٠٩٧، وكذا في مسند الشاميين رقم ١٨٣٧، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة رقم ١٤٨٥، والخلال في السنة رقم ٣٥١ وغيرهم، وهذا حديث حسن لغيره.

وأدلة كثيرة في الكتاب والسنة لا يسع هذا المختصر حصرها، فسبحان الله كيف تَبَلَّدَتْ عُقولُ الملاحدة، وتَعَطَّلَت أفكارهم، وانهزمت مشاربهم، وتعجرفت معالمهم وثقافاتهم، عن أن يؤمنوا بالخالق وحده، ويتركوا ضلالهم، وإلحادهم الذي يجرهم إلى جحيم الدنيا والآخرة، فإن الطبيعةَ مخلوقةٌ، ومُسَيَّرَةٌ، فكيف يكون لجمادٍ مثلها أنْ يَخْلُقَ وهو مخلوقٌ ضعيفٌ، وجندي من جنود الله المسبحة الممجدة للواحد الأحد.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[١].

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

القاعدة الثالثة

المغيبات التي أخبر عنها الشرع لا تُدرك بالعقل، وإنما تُدرَك بالنقل

العقلُ مقيدٌ بعالم الحس، لا عملَ له في الحكم على عالم الغيب، وذلك لأن القوة العاقلة فينا التي تجمع بين المصورة، والذاكرة والمخيْلة والذكاء، تقوم بعملها الجبار في التحليل والتركيب، والجمع والتفريق، واستنتاج القواعد العامة، والكليات، وقياس الأشباه والنظائر على بعضها، بعد أن تنقل الحواس المختلفة إلى الصورة أشرطة مشاهداتها في الكون:

١ - شريط المرئيات.

٢ - شريط المسموعات.

٣ - شريط المذوقات.

٤ - شريط المشمومات.

٥ - شريط الملموسات.

٦ - شريط الوجدانيات الداخلة في الإنسان.

ثم تكون أحكامها مقيدة بحدود هذه الأشياء التي جاءتها عن طريق الحواس.

وهذه القوة العاقلة فينا لا تستطيع أبداً أن تصدر أحكامها على مغيبات لم يعرض أمامها شريط مسجل عنها، لأن كل حكم تحكم به إنما تقوله وتصدره متأثرة بواقع أشرطة الحواس الخمس التي جاءتها عن طريقها.

وعالم الغيب يختلف عن عالم الحس كل الاختلاف، فلا يمكن الحكم عليها بالتشابه.

والقاعدة الثابتة عند العلماء: أن الحكم على الشئ فرعٌ عن تصوره.

فعالم الغيب لا تستطيع عقولنا أن تحكم على شيء فيه بنفي أو إثبات استقالاً ذاتياً، إلا أن يأتيها خبر يشهد العقل بإمكان وجوده، وبصدق ناقله، وعند ذلك تسلم بمضمونها تسليماً تاماً دون مناقشة أو اعتراض.

وحيث أن عالم الحس فينا محدود، فالعقل فينا محدود أيضاً، فكما أن البصر له حد ينتهي إليه فكذلك العقل له حد ينتهي إليه.

وإذا كان العقل كما أوضحنا عاجزاً عن فهم أشياء في الكون، وعاجزاً عن إدراكها والاحاطة بها بصورتها الحقيقية فهو عن إدراك صورةٍ لحقيقة الأمور الغيبية التي هي وراء الطبيعة أضعف وأعجز(١).

فلا يمكن للعقل أن يدرك الأمور كلها وخصوصاً الشرعية وبالأخص المغيبات منها كفتنة القبر ونعيمه وجحيمه، وحوض المصطفى عليه الصلاة والسلام، والصراط الذي يمد بين الجنة والنار، والقنطرة وما إلى ذلك من المغيبات التي صحت بصرائح الكتاب والسنة الصحيحة.

فلا حيا الله الفلاسفة والمعتزلة ومَن نحا نحوهم من منكري هذه الحقائق بحجة أن العقل لا يُثْبِتُ مثل ذلك.

وقد دلت صرائح النقل السمعية على أن أمر الغيب من خصوصية الملك العلام.

فقال جل في علاه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾(٣).

وقال سبحانه: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ

---

(١) القريبي د. إبراهيم بن إبراهيم القريبي، مغني المريد في التوحيد مصدر سابق، ص٩-١٠.
(٢) سورة آل عمران الآية: ١٧٩.
(٣) سورة الأنعام الآية: ٥٠.

وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾(٢).

وغيرها من الآيات كثير.

ومن الأدلة الواردة في السنة:

حديث ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر»(٣).

وحديث الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: «جاء النبي ﷺ فدخل حين بُني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من أبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد.

فقال: دعي هذا، و قولي بالذي كنت تقولين»(٤).

بمعنى: اتركي ما يتعلق بمدحي الذي فيه الإطراء المنهي عنه مما يتعلق بالغيب ونحوه.

وقولي الذي كنت تقولين: أي من ذكر المقتولين ونحوه.

فليت شعري أيها الفلاسفة والمعتزلة ومَن نحا نحوهم متى كان العقل

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٥٩.
(٢) سورة النمل الآية: ٦٥.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٩٩٢.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٤٨٥٢.

يدرك كل شي؟!!، أَوَمَا أدركت عقولهم أن حججهم واهية، وشبههم داحضة، وأفكارهم حائرة، ومداركهم خاوية؟!!

أَوَمَا أدركت عقولهم أنهم بشرٌ لا صفاء في عقولهم، ولا استقامة في أقلامهم، ولا حقائق في أحكامهم؟!!

ولكن لا سبيل لهدايتهم إلا أن يشاء الله ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾(١).

ومِــنْ ثَــمَّ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

وهكذا حال من أعرض عن هدي رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهدي صحابته الكرام، فلا حيا الله من أعرض وتطاول.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤١.

القاعدة الرابعة

مصدر توحيد الباري ينحصر فيما جاء عن الشرع

لا يُوَحَّدُ الباري حقَّ التوحيد إلا بكتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام بفهم سلف هذه الأمة.

وكلُّ مَنْ وحَّد الله بفطرته السليمة، ثم خالط أهل الأهواء والزيغ فلا يُؤْمَنُ على توحيده فإنَّ: مَنْ جَالَسَ جانس[١].

ولأن المبتدعة أعداءٌ للتوحيد الخالص، فمصدر التوحيد عندهم العقل والهوى، وأما مصدر توحيد السلف وأتباعهم فالوحي السماوي المنزل على رسوله عليه الصلاة والسلام سواء كان قرآناً أو سنة.

قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾[٣].

وقال جل شأنه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ

---

(١) إلا مَنْ سلَّمه الله.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٩.

ٱلَّذِى يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾(١)

قال ابن كثير في تفسيره: وقوله «الذي يؤمن بالله وكلماته أي يصدق قوله عمله وهو يؤمن بما أنزل إليه من ربه - واتبعوه - أي اسلكوا طريقه واقتفوا أثره - لعلكم تهتدون أي الصراط المستقيم»(٢).

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»(٣).

فتوحيد الباري ينحصر فيما جاء به كتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

فقد بيَّنَ رسول الله ﷺ بهذا الشرع توحيد الله الخالص وأبطل كل أمور الجاهلية بلسان الشرع القويم سواء كان متعلقاً بالعقيدة أوالتوحيد أوالمنهج أوالشريعة أوالسلوك.

فقال: «**ألا كلُّ شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع**»(٤).

فكسر الأصنام والأوثان، وأبطل المقاصد والوسائل والشفاعات الشركية ونفى أن يكون لله صاحبة أو ولد، ونزل عليه القرآن الكريم لعلاج هذه الأمة وربطها بخالقها وحده لا شريك له.

قائلاً للثقلين جميعاً: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٢/ ٢٥٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم ٢٤٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم ١٢١٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

فتوحيد الله مُسَطَّرٌ، وواضحٌ بَيْنٌ، في كتاب الله، وفي سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومن أعرض عنهما فقد أعرض عن الحياة الحقة ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾(١).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

القاعدة الخامسة

أن رسولنا عليه الصلاة والسلام ما مات حتى بين لنا ما يختص بالعقيدة والتوحيد بياناً شافياً كافياً

فهو القائل صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء»(١).

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إنه ليس شيء يقربكم من الجنة، ويباعدكم من النار، إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم من النار، ويباعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه، وأن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفسي حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته»(٢).

وفي الصحيحين من حديث جابر يقول النبي عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع: «.. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأدّيت، ونصحت.

فقال: بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد ثلاث مرات»(٣).

---

(١) أخرجه ابن ما جه في سننه رقم ٥ وغيره، والحديث حسن.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف رقم ٣٤٣٣٢ وغيره والحديث صحيح لغيره.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم ١٤٧.

وأخرج مسلم في صحيحه عن سلمان قال قيل له: «قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة.

قال فقال: أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط، أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع، أو بعظم»(١).

وعن أبي الدرداء قال: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما في السماء طائر يطير بجناحيه، إلا ذكرنا منه علماً»(٢).

قال ﷺ: **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي»**(٣).

وقال ﷺ في معرض بيانه للفرقة الناجية: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»(٤).

وكل ما سبق مصداقٌ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾(٥).

ولقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١٠﴾ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ﴿١١﴾﴾(٦).

فما مات رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى تركنا على

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم ٥٧.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم ٦٥ وغيره وهو صحيح.

(٣) أخرجه الدارقطني في سننه ٤/ ٢٤٥، والبيهقي في السنن الكبرى رقم ٢٠١٢٤ وغيرهما، والحديث حسن.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه رقم ٢٦٤١، والحديث حسن.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١٩.

(٦) سورة الطلاق، الآيتان رقم: ١٠-١١.

المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فمن ابتغ الدين الحق وجده فيما جاء به هذا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، ومن أعرض عنه فقد أعرض عن سعادة الوحي.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾(١).

---

(١) سورة طه الآيات: ١٢٤ - ١٢٦.

القاعدة السادسة

اليهود والنصارى والمشركون، ومن هو على شاكلتهم معترفون بتوحيد الربوبية، وأن دعوة رسلهم كانت إلى توحيد الألوهية

وهذه قاعدة مطردة عند أهل السنة والجماعة لم يخالفهم سوى المبتدعة مِمَّنْ يَدَّعِي أن دعوة الرسل كانت إلى توحيد الربوبية ليس غير، لِيُجِيزوا للأمة الإستغاثة بالمقبور والاستعانة بالجن والموتى ونحوها، ليحققوا من رواء ذلك مآرب شتى، ومصالح دنيوية مختلفة، ولمحاربة أهل الحق [أهل السنة والجماعة] الذين منعوا ذلك بحجة أن هذا القول يمانع قيام توحيد الألوهية. التوحيد الخالص- الذي من أجله جاءت الرسل، وأنزلت الكتب، ووضع فيصلاً بين الكفر والإيمان، وبهذا التوحيد الصحيح نطقت صرائح الكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾(١).

وما من رسول إلا ودعا قومه إلى توحيد الألوهية.

فهذا خليل الله إبراهيم يدعو قومه إلى هذا التوحيد الخالص فيقول الله تعالى على لسانه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٦.

وكذلك نبي الله شعيب: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(١).

وكذا نبي الله صالح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾(٢).

وكذلك صاحب السفينة نبي الله نوح أرسله الله ليبلغ توحيد الألوهية: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(٣).

وجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام دعوا قومهم إلى عبادة الله وحده

قائلين لأقوامهم قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا.

أما توحيد الربوبية فالكل مقرٌّ به حتى عدو الله إبليس ألم يقل الله على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(٤).

وكذا المشركون ومن شاكلهم مقرون بتوحيد الربوبية كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(٥).

وقال جل ذكره: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(٧).

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٣٦.
(٢) سورة النمل، الآية: ٤٥.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٢٣.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٣٦.
(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.
(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٦٣.
(٧) سورة الزخرف، الآية: ٨٧.

وكذلك اليهود لولا أنهم قالوا عزيرٌ بن الله، وكذلك النصارى لولا أنهم قالوا عيسى بن الله، فهم مشركون في توحيد الألوهية ومقرون بتوحيد الربوبية.

فإذا كان الأمر كذلك فخلافنا مع الكفرة إنما هو في توحيد الألوهية والذي بوجوده يستلزم تنزيه الله تعالى بأسمائه وصفاته.

وقد نطقت السنة بأن دعوة رسول الله عليه الصلاة والسلام كانت إلى هذا التوحيد الخالص:

ففي الصحيحين: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ: بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن.

فقال: **«ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»**(١).

ولكن.. ماذا بعد الحق إلا الضلال؟؟ نعوذ بالله من الخذلان.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ١٣٣١، ومسلم في صحيحه رقم ١٩.

القاعدة السابعة

كل مولود يولد على فطرة الإسلام لا يخرج عن كونه مسلماً إلا باستجابته دعوة غير المسلمين

وبهذا نطق الشرع الشريف ففي الصحيحين عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟**».

ثم يقول أبو هريرة ﷺ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾(١).

قال البخاري في صحيحه: والفطرة الإسلام(٢).

قال الحافظ في الفتح: وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام.

قال ا بن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى: فطرة الله التي فطر الناس عليها الإسلام، واحتجوا بقول أبي هريرة في آخر حديث الباب اقرؤا إن شئتم:

«**فطرة الله التي فطر الناس عليها**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ١٢٩٢، ومسلم في صحيحه رقم ٢٦٥٨. والآية رقم: ٣٠ من سورة الروم.

(٢) البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى الطبعة غير مؤرخة، ٤/ ١٧٩١.

(٣) هذا لفظ مسلم برقم ٢٦٥٨.

وبحديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم**» الحديث(١).

وقد رواه غيره فزاد فيه: «**حنفاء مسلمين**»(٢).

ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى: فطرة الله لأنها إضافة مدح، وقد أمر نبيه بلزومها، فَعُلِمَ أنها الإسلام.

وقال ابن جرير قوله: «**فأقم وجهك للدين**» أي سدد لطاعته، «**حنيفاً**» أي مستقيماً، «**فطرة الله**» أي صبغة الله(٣).

قلت: ومعنى صبغة الله دينه الذي فطر الناس عليه وقد شبهه بالصبغ في الثوب، فهو من التشبيه البليغ عند علماء البلاغة لظهور أثره على صاحبه.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: عند قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٤).

يقول تعالى: فسدد وجهك، واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكَمَّلَها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها.

فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته، وتوحيده، وأنه لا إله غيره كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُوا۟ بَلَىٰۛ﴾(٥).

وفي الحديث: «**إني خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم**»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم ٢٨٦٥.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير رقم ٩٩٧.

(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، طبعة دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦م، ٣/ ٢٤٨.

(٤) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٥) سوة الأعراف، الآية رقم: ١٧٢.

(٦) سبق تخريجه صفحة ٥٦، رقم التعليقة (١).

وسنذكر في الأحاديث أن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام، ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية، والنصرانية، والمجوسية.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ﴾.

قال بعضهم: معناه لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها فيكون خبراً بمعنى الطلب كقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾(١) وهو معنى حسن صحيح.

وقال آخرون: هو خبر على بابه، ومعناه: أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحدٌ إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك، ولهذا قال ابن عباس، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وابن زيد في قوله: «لا تبديل لخلق الله» أي لدين الله.

وقال البخاري قوله: «لا تبديل لخلق الله» لدين الله.

«**خُلُقُ الأولين**»: دين الأولين، الدين والفطرة الإسلام(٢).

قلت: فعلم بهذا أن مصير الطفل الذي يموت بين أهله الجنة لأنه مازال على الإسلام والدين والفطرة، وما عَمِلَه من أعمال الكفر تقليداً لوالديه لا يؤاخذ به حتى يبلغ.

قال النووي: وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة، ويستدل له بأشياء منها حديث إبراهيم الخليل ﷺ حين رآه النبي ﷺ في الجنة، وحوله أولاد الناس؛ قالوا: يا رسول الله وأولاد المشركين؟

قال: «**وأولاد المشركين**» رواه البخاري في صحيحه(٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٣/ ٤٣٣.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٦٦٤٠.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

ولا على المولود التكليف ويلزمه قول الرسول حتى يبلغ، وهذا متفق عليه والله أعلم[١].

قال الحافظ في الفتح عن الإمام البخاري: كان متوقفاً في ذلك، وقد جزم بعد هذا في تفسير سورة الروم بما يدل على اختيار القول الصائر إلى أنهم في الجنة كما سيأتي تحريره، وقد رتب أيضاً أحاديث هذا الباب ترتيباً يشير إلى المذهب المختار فإنه صدَّره بالحديث الدال على التوقف ثم ثنى بالحديث المرجح لكونهم في الجنة ثم ثلث بالحديث المصرح بذلك فإن قوله في سياقه: «**وَأَمَّا الصِّبْيَان حوله فأولاد الناس**».

قد أخرجه في التعبير بلفظ: «**وأما الولدان الذين حوله فكل مولود يولد على الفطرة**».

فقال بعض المسلمين: وأولاد المشركين؟

فقال: وأولاد المشركين»[٢].

ويؤيده ما رواه أبو يعلى من حديث أنس مرفوعا: «سألت ربي اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم».

إسناده حسن[٣].

وورد تفسير اللاهين بأنهم الأطفال من حديث ابن عباس مرفوعا أخرجه البزار[٤].

وروى أحمد من طريق خنساء بنت معاوية بن صريم عن عمتها قالت: قلت: يا رسول الله من في الجنة؟

(١) أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ٢٠٨/١٦.
(٢) سبق تخريجه صفحة ٥٨، رقم التعليقة (١).
(٣) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده رقم ٣٥٧٠، ٣٦٣٦، ٤١٠١، وغيره وهو حسن.
(٤) لم أجد لفظ البزار في النسخة التي بحوزتي.

قال: «النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة» إسناده حسن[١]. انتهى كلام الحافظ[٢].

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم ٢٢٠٠ أحمد في مسنده رقم ٢٠٦٠٢، ٢٠٦٠٤، وهو حسن.
(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق٣، /٢٤٦.

القاعدة الثامنة

مشركو العرب في القديم والحديث يعبدون الله إلا أنهم يشركون في عبادته غيره بحجة طلب القربى أو الشفاعة

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي في القواعد الأربع:

القاعدة الثانية: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة.

فدليل القربة قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾(١).

ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾(٢) أهـ. فالمشركون في العصر القديم ما وحَّدُوا الأصنام وأفردوها بالعبادة، وإنما كانوا يعبدون الله سبحانه وتعالى، وهذه الأصنام والأوثان التي عُبِدت في زمانهم من دون الله إنما اتخذوها من أجل أن يتقربوا بها إلى الله سبحانه وتعالى لا من أجل أنها هي التي تنفع وتضر، وإنما لكونها عبارة عن صورٍ لصالحين في العهد القديم، فلما صُوِّرتْ هذه الصُور على هيئة أصنام عبدوها من دون الله من أجل أن يستغيثوا بها لتُقَربهم إلى الله سبحانه وتعالى، وأيضاً أنهم كانوا يتوسلون بها من أجل طلب الشفاعة كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٢) سورة يونس الآية: ١٨.

وبماذا يعللون؟؟

بقولهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾(١).

فهم يعبدون الله سبحانه وتعالى، وإنما جعلوا هؤلاء كوسائط وقربى يتقربون بها إلى الله.

فلو أن رجلاً مسلماً في عصرنا الحديث استغاث بمن مات من الصالحين أو تبرك بالأضرحة والأتربة من باب أن هذه الأعمال تقربه إلى الله بحجة صلاح الميت وقربه من الله لحكمنا عليه بأنه قد وقع فيما وقع فيه المشركون قديماً لأن الجميع عبد الله ولكن جعلوا بينه وبين الله واسطة بحجة أنها تنفعهم وتشفع لهم عند ربهم.

فهذه جاهلية المشركين التي نقدها الله في كتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾(٢).

ولو أدرك عقلاء التصوف خطر ما هم فيه وخصوصاً أصحاب الطريقة النقشبندية والرفاعية، وعقلوا ذلك جيداً، وكثيرٌ منهم يعقل - لولا المصالح الدنيوية - لأدركوا أنهم يأتون بأفعال المشركين أصحاب القرون الغابرة.

فهذا أحد مشايخهم يقول: : إنه رأى في منامه سيدنا الخضر فقال له:

تعال أعلمك الطريقة الوحيدة التي ستوصلك إلى الجنة وبغيرها لا تنجو من عذاب النار فعلمه المذهب الصوفي بالطريقة النقشبندية!!

وذاك يذبح للقبر.

وآخر يطوف حوله ويقول: لبيك اللهم لبيك.

وآخر يتمسح به، لعله أن يرفع ما به من ضر... وهلم جراً.

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٨.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٦.

فيا سبحان الله كيف غفلت قلوبهم، أو كيف أغفلوها عن قول الحق المألوه جل شأنه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[1].

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢، ١٦٣.

القاعدة التاسعة

مشركو زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن الأولين يُشْرِكُون في الرخاء، ويُخْلِصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة

ولا يعارض في ذلك إلا رجلٌ من رجلين:

إما جاهل فَيُعْذر حتى يعلم، وتقام عليه الحجة، وتدفع عنه الشبة، أو مكابر فشأنه شأن المعرضين عن الحق.

وهذه القاعدة من القواعد والأصول التي احتج بها شيخ الاسلام النجدي على مشركي زمانه، وحُقَّ لكل موحدٍ أن يحتج بها اليوم على المماثلين في المنهج، وإن اختلفت الأزمنة وتغيرت العادات، طالما والمنهج واحد.

فالشرك في القديم مختلف تماماً عن الشرك في الحديث، فإن الشرك في القديم إنما كان عند الرخاء، وأما في العصر الحديث فإن الشرك في الرخاء والشدة.

تأتي المناسبات، والأعياد، والأفراح، والصحة، والمواسم وكلها من الرخاء، وإذا بالناس ممن أصابه وحل الشرك يذبح الذبائح، ويقرب القربات، وينذر النذر للموتى من دون الله، وتأتي أوقات الشدة فيصاب الرجل بالبلاء في نفسه، أو أهله، أو ولده، أو ماله فيستغيث بالميت الفلاني قائلاً: يا ابن علوان أغثني، يا سيدة زينب أنا في جوارك فلا ترديني، يا جيلاني رضاك عني ونحوها من ألفاظ الشرك.

وهذا بخلاف المشركين في القرون الغابرة، فإن الله يحدثنا عنهم في غير ما آية، ويبين لنا بياناً شافياً أنهم عند الشدائد لا يدعون سوى الله جل وعلا، وأن شركهم إنما كان في الرخاء ليس غير ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣)﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾(٢)..

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾(٣).

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: ثم أخبر تعالى أنه: «هو الذي يسيركم في البر والبحر» أي يحفظكم، ويكلؤكم بحراسته «حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها» أي بسرعة سيرهم أي رافقين، فبينما هم كذلك إذ «جاءتها» أي تلك السفن «ريح عاصف» أي شديدة «وجاءهم الموج من كل مكان» أي اغتلم البحر عليهم «وظنوا أنهم أحيط بهم» أي هلكوا «دعوا الله مخلصين له الدين» أي لا يدعون معه صنماً ولا وثناً بل يفردونه بالدعاء، والإبتهال كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾(٤).

وقال ههنا: «دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه» أي هذه الحال «لنكونن من الشاكرين» أي لا نشرك بك أحداً، ولنفردنك بالعبادة هناك كما أفردناك بالدعاء ههنا.

قال الله تعالى: «فلما أنجاهم» أي من تلك الورطة «إذا هم يبغون في

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٢-٢٣.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.
(٣) سورة لقمان، الآية: ٣٢.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٦٧.

الأرض بغير الحق» أي كأن لم يكن من ذلك شيء كأن لم يدعنا إلى ضر مسه، ثم قال تعالى: «يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم» أي إنما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم، ولا تضرون به أحداً غيركم كما جاء في الحديث: **«ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»**[(١)]_[(٢)].

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم ٤٩٠٢، والترمذي في سننه رقم ٢٥١١، وابن ماجه في سننه رقم ٤٢١١، والحديث حسن.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٢/ ٤١٣.

القاعدة العاشرة

ملل الكفر واحدة، وإن اختلفت أديانهم، ويلزم دعوتهم إلى الإسلام فإن أبوا دفعوا الجزية فإن أبوا فالسيف

وهذا ما دعت إليه شريعة محمد عليه الصلاة والسلام لما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أَمَّر أميراً على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً.

ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا مَنْ كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم:

١ - ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة، والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين.

٢ - فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم.

٣ - فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا

تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك. فإنكم أن تخفروا ذممكم، وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»[١].

وأخرج الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»[٢].

والسنة بهذا الحديث تفسر قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾[٣].

قال الحافظ في الفتح: وقال أبو عبيد: ثبتت الجزية على اليهود والنصارى بالكتاب وعلى المجوس بالسنة[٤].

قلت: والجزية تؤخذ من كل كافر لم يسلم على أصح الأقوال، ولكون من فرَّقَ بين ملل الكفر لم يَسْلَمْ من اعتراض، والأدلة في هذا الباب قوية صريحة، وأما الآية السابقة فتحمل على الحديث السابق فيقال: قاتلوا من أبى الإسلام وامتنع عن دفع الجزية حتى يدفع الجزية إن أبى الإسلام بدليل الغاية في قوله جل ذكره: «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون».

قال القرطبي في تفسيره: لما حرم الله على الكفار أن يقربوا المسجد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم ١٧٣١.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٢٥، ومسلم في صحيحه رقم ٢١، ٢٢.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٩.
(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ٦/ ٢٦٠.

الحرام وجد المسلمون في أنفسهم بما قطع عنهم من التجارة التي كان المشركون يوافون بها قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾[(١)] الآية على ما تقدم، ثم أحل في هذه الآية الجزية، وكانت لم تؤخذ قبل ذلك فجعلها عوضاً مما منعهم من موافاة المشركين بتجارتهم فقال الله عز وجل: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. الآية.

فأمر سبحانه وتعالى بمقاتلة جميع الكفار لإصفاقهم على هذا الوصف، وخص أهل الكتاب بالذكر إكراماً لكتابهم، ولكونهم عالمين بالتوحيد، والرسل، والشرائع، والملل، وخصوصاً ذكر محمد ﷺ، وملته، وأمته.

فلما أنكروه تأكدت عليهم الحجة، وعظمت منهم الجريمة فنبه على محلهم، ثم جعل للقتال غاية، وهي إعطاء الجزية بدلاً من القتل وهو الصحيح.

قال ابن العربي: سمعت أبا الوفاء علي بن عقيل في مجلس النَّظْر يتلوها، ويحتج بها.

فقال: «قاتلوا» وذلك أَمْرٌ بالعقوبة، ثم قال: «الذين لا يؤمنون».

وذلك بيان للذنب الذي أوجب العقوبة.

وقوله: «ولا باليوم الآخر» تأكيد للذنب في جانب الإعتقاد.

ثم قال: «ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله» زيادة للذنب في مخالفة الأعمال، ثم قال: «ولا يدينون دين الحق» إشارة إلى تأكيد المعصية بالإنحراف، والمعاندة، والأنفة عن الإستسلام ثم قال: «من الذين أوتوا الكتاب» تأكيد للحجة لأنهم كانوا يجحدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، ثم قال: «حتى يعطوا الجزية عن يد» فبين الغاية التي تمتد وعين البدل الذي ترتفع به الثانية[(٢)].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٢) العلامة محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ، ٨/١٠٩.

القاعدة الحادية عشرة

الولاء لكل مسلم

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾(١).

والوَلاية بمعنى المحبة والنصرة، وضدها البراءة وهي بمعنى البغض، ويلزم المسلم أن يوالي أخاه المسلم بالمحبة في الله ونصرته على عدوه، فإن والى أعداء الله ضد أخيه المسلم فقد أبغض أخاه بمجرد الموالاة لأهل الكفر، وهذا جرمٌ عظيم حرمه ربنا سبحانه بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾(٢).

وقال جل شأنه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجموع الفتاوى (٣٥/ ٩٤): والواجب على كل مسلم أن يكون حبه، وبغضه، وموالاته، ومعاداته تابعاً لأمر الله ورسوله، فيحب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ - ٥٦.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥١.

الله ورسوله، ويوالي من يوالي الله ورسوله، ويعادي من يعادي الله ورسوله، ومن كان فيه ما يوالي عليه من حسنات، وما يعادي عليه من سيئات عومل بموجب ذلك كفساق أهل الملة إذ هم مستحقون للثواب والعقاب، والموالاة والمعاداة والحب والبغض بحسب ما فيهم من البر والفجور فإن: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾[(١)].

وهذا مذهب أهل السنة والجماعة بخلاف الخوارج والمعتزلة، وبخلاف المرجئة والجهمية فان أولئك يميلون إلى جانب، وهؤلاء إلى جانب، وأهل السنة والجماعة وسط. أهـ

والأمر كما ذكر شيخ الإسلام إلا أن هذا الأمر لا يعني عدم النكير على المبتدعة والتحذير منهم، وبغضهم وعلى ذلك أيضاً مذهب أهل السنة والجماعة، فإن المسلم المبتدع يُوَالَى كونه مسلماً مع إقامة الحجة عليه فيما هو فيه من البدع والتحذير من بدعته إن لم يرجع، ولكن لا يخذل إن حارب العدو أو اختلف معه بل يلزم نصرته والدفاع عنه كونه مسلماً والجهاد في صفه لدحر العدو إذ الضلال يتفاوت، ومسلم مع ضلاله خير للمسلمين من كافر حربي يحارب الله ورسوله جهاراً نهاراً.

هكذا علمنا ديننا الإسلامي ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[(٢)].

فله من الحقوق العامة والخاصة ما له وعليه من البغض والهجران ما يستحق بقدر بدعته وضلاله.

كما يخرج عن المولاة المشروعة مولاة المسلم صديقه أو شيخه أو

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧-٨.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر.

جماعته في كل شيء يوفضي إلى التحزب الذي يعادى في سبيله ويناصر في سبيله كل من وافقه على طريقته وفكره وإن خالف الشرع.

فإن هذا من البدع المضلة المفضية إلى منهج الخوارج والروافض والنعرات الجاهلية، والله يتولى الخلائق.

القاعدة الثانية عشرة

أنه يجب طاعة ولي الأمر، وإن كان فاجراً ما لم نر كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان

وأدلة هذه القاعدة كثيرةٌ لا تحصى ومنها:

أولاً: ما أخرجه الشيخان(١) عن جنادة بن أبي أمية قال دخلنا على عبادة ابن الصامت - وهو مريض -:

قلنا: أصلحك الله، حدِّث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي ﷺ.

قال «دعانا النبي ﷺ فبايعناه. فقال فيما أخذ علينا: أنْ بايعنا على السمع، والطاعة في منشطنا، ومكرهنا وعسرنا، ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان».

ثانياً: وأخرج مسلم في صحيحه(٢) عن وائل الحضرمي قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم، ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس.

وقال: «**اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حملتم**»(٢).

ثالثاً: أخرج مسلم في صحيحه أيضاً عن أبي سلام قال قال حذيفة بن

---

(١) متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت.

(٢) صحيح مسلم (٢/ ١٤٧٤، رقم ١٨٤٦، كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق).

اليمان: «يا رسول الله إنا كنا بِشَرٍ، فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل مِنْ وراء هذا الخير شرٌّ؟؟

قال: نعم.

قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟

قال: نعم.

قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟

قال: نعم.

قلت: كيف؟

قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قال: قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع، وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك فاسمع وأطع»[(١)].

رابعاً: أخرج مسلم في صحيحه أيضاً عن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم، ويحبونكم، ويصلون عليكم، وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم، ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم.

قيل: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟

فقال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة»[(٢)].

خامساً: أخرج أحمد في مسنده عن أبي ذر قال: جعل رسول الله ﷺ يتلو علي هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾[(٣)] حتى فرغ من الآية. ثم

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٤٧٥، رقم ١٨٤٧، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ١٤٨١، رقم ١٨٥٥، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم).

(٣) سورة الطّلَاق، الآية: ٢.

قال: يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم. قال: فجعل يتلو بها، ويرددها علي حتى نعست. ثم قال: يا أبا ذر كيف تصنع إن أُخْرِجت من المدينة؟ قال: قلت إلى السعة والدعة، أنطلق حتى أكون حمامة من حمام مكة؟

قال: كيف تصنع إن أخرجت من مكة؟ قال: قلت إلى السعة والدعة إلى الشام، والأرض المقدسة؟ قال: وكيف تصنع إن أخرجت من الشام؟ قال: قلت إذن والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي. قال: أو خير من ذلك؟ قال: قلت أو خير من ذلك؟ قال: تسمع وتطيع وإن كان عبداً حبشياً»(١).

والعجب العجاب أن أغلب الجماعات الإسلامية في العصر الحديث أهملت العمل بمثل هذه الأحاديث، وأخذت بمذهب من سبقهم من المعتزلة والخوارج الذين يسعون لمنابذة حكام المسلمين ركضاً للحصول على كراسي الحكم، والتسلط بحجج واهية وشبه مختلفة، سبقهم إليها المبتدعة.

وهذا شأن من ينهج خطّاً معوجاً يخالف الخط المستقيم الذي خطه لنا نبينا عليه الصلاة والسلام إلا من رحم الله.

قال الإمام الشوكاني في كتاب الدراري المضية (ص٥٠٥): وطاعة الأئمة واجبة إلا في معصية الله، ولا يجوز الخروج عليهم ماأقاموا الصلاة، ولم يظهروا كفراً بواحاً، ويجب الصبر على جورهم، وبذل النصيحة لهم، وعليهم الذب عن المسلمين، وكف يد الظالم وحفظ ثغورهم، وتدبيرهم بالشرع في الأبدان والأديان والأموال. أهـ.

---

(١) مسند أحمد (٥/ ١٧٨ رقم ٢١٥٩١، مسند أبي ذر، ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا سليل ضريب بن نفير لم يدرك أبا ذر، وليس هناك ما يعضده من الشواهد).

القاعدة الثالثة عشرة

الأصل أن يسمى الله ويوصف بما سمى ووصف به نفسه أو سماه ووصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام نفياً وإثباتاً

وهذه من القواعد المجمع عليها، ودليلها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(١)].

فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ نفي المثيل والشبيه.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ إثبات ما وصف الله به نفسه.

فكل من سمى الله أو وصفه بشيء لم يرد فيه دليل فهذا ميلان عن الصراط المستقيم، وانتقاص لما لله على الخلق، وقد ذمَّ الله كلَّ مَنْ جانَبَ الطريق السوي في أسماء الله وصفاته فقال جل شأنه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[(٢)].

وطريقة سلف هذه الأمة في أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة يقوم على ركنين أساسيين:

الأول: إثباتها على ما وردت في الكتاب والسنة فهي توقيفية.

الثاني: إمرارها على حقيقتها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في لاميته:

وجميعُ آياتِ الصِّفاتِ أُمِرُّها   حَقاً كما نَقَلَ الطِّرازُ الأوَّلُ

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

وأَرُدُّ عُـقْـبَـتَـهـا إلـى نُـقَّـالِـهـا   وأصـونُـهـا عـن كُـلِّ مـا يُـتَـخَـيَّـلُ

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما سمَّى ووصف الله به نفسه في كتابه، وبما سمَّاه ووصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، بخلاف المبتدعة فقد غيروا وبدلوا.

فمنهم مَنْ نفى الأسماء والصفات عن الله مطلقاً كما فعلت الجهمية، ومنهم مَنْ أثبت الأسماء، ونفى الصفات كما هو مذهب المعتزلة، ومنهم من أَوَّلَ الصفات كالأشعرية وكثير من المعتزلة.

فهؤلاء - المبتدعة - هم حُثالة الخلف الذين طبع الله على قلوبهم، وطمس على أبصارهم فلا يفقهون إلا قليلاً.

أما أتباع سلف هذه الأمة فمذهبهم مذهبُ سلفهم، وهو إمرار الصفات على ظاهرها حقيقةً أخذاً بظاهر النصوص.

فلا يُشَبِّهُون، ولا يمثلون، ولا يكيفون، ولا يعطلون، ولا يؤلون وعلى مذهب رسول الله عليه الصلاة والسلام يسيرون، فهم القومُ لا يَشْقَى بهم جليسُهم، ولا يَملُّ مِنْ علومِهم أنيسُهُم.

فـكلُّ خيرٍ فـي اتِّـبـاعِ مَـنْ سَـلَـفْ   وكُـلُّ شَـرٍ فـي ابـتـداعِ مَـنْ خَـلَـفْ
وكـلُّ هـديٍ لـلـنـبـيِّ قـد رَجَـحْ   فـمـا أُبِـيـحَ افْـعَـلْ ودَعْ مَـا لـم يُـبَـحْ

فإذا علمت ذلك فاعلم ما يأتي:

أولاً: أن آيات الصفات تقوم على ثلاثة أسس:

الأول: تنزيه صفات الخالق عن مشابهة صفات المخلوق للآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

الثاني: أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام نفياً وإثباتاً، فالله أعلم بصفاته من مخلوقاته، ورسوله يعلم

بما عَلَّمَهُ الله بواسطة الوحي كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾(١).

الثالث: قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(٣).

ثانياً: أن سبب نفي صفات الله هو اعتقاد التشبيه، حيث عمدت المعطلة من الجهمية والمعتزلة ونحوهما من أهل التعطيل إلى الصفات فقالوا: جاء ذكر صفاتٍ للباري في الكتاب والسنة، ولو قلنا بإثباتها للزم تشبيه الخالق بالمخلوقات فأرادوا دفع هذه الشبهة الشيطانية بشبهة التعطيل، فوقعوا في الضلال المبين، ولم يتفطنوا للأصل المطرد عقلاً وهم أرباب العقول على حد زعمهم وهو: أن الإتفاق في المسميات والصفات لا يقتضي التساوي، فالفيل له صفات كثيرة تخالف ما للنملة من الصفات وتوافق في بعضها.

فهل يلزم من وجود بعض صفات النملة الموافقة لبعض صفات الفيل أن الفيل نملة والعكس؟.

لا شك أن الجواب: لا، ولا يقول به عاقل.

ولكن: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾(٤).

ثالثاً: أن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر.

فالأشاعرة يثبتون السبع الصفات لله تعالى المجموعة في قول أحدهم:

حيٌّ عليمٌ قديرٌ والكلامُ لهُ ... إرادةٌ وكذاك السمعُ والبصرُ

ويقولون لله صفة الحياة والعلم والقدرة والكلام والإرادة والسمع والبصر

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.
(٣) سورة طه، الآية: ١١٠.
(٤) سورة غافر، الآية: ٣٣.

ويقولون هي تليق بجلاله لا يحل تعطيلها ولا تأويلها ثم يؤولون الصفات الأخرى كالمحبة والسخط والغضب والمكر والكيد.

فيقال لهم يلزمكم إثبات بقية الصفات إذ إثبات بعضها وتأويل البعض بحجج واهية يعارض لازم العقل.

فكيف يوجد خالق يملك صفات تثبتون بعضها وتؤولون البعض الآخر، والكل وارد من مشرب واحد وهو الكتاب والسنة بالإثبات!!

فالأصل الإثبات وإلا لزم البقاء على ضلال التأويل لأن هذا مقتضى العقل طالما والأدلة هي الأدلة.

رابعاً: القول في الصفات كالقول في الذات.

فمن أقر بوجود الله أُلْزِمَ بأن يقرَّ أن له صفات تليق به، فإن العقل يقتضي أنه مامن شيء إلا وله صفات يُعرف بها.

وطالما وقد عرفنا ربنا في الكتاب والسنة وكل شيء يدل على وجوده فإنه يلزمنا أن نثبت له صفاتٍ تليق بجلاله مما جاء في الكتاب والسنة.

وقد ذكر لنا القرآن والسنة صفات عديدة يلزم إقرارها وإمرارها على ما وردت في لسان الشرع.

وإلا كيف يمكن أن نثبت وجود ذات من غير صفة.

لا شك أنه يستحيل عقلاً، فما بال العقول مُعَطِلةٌ والأدلة متواترة صريحة؟!

خامساً: أن صفات الله محكمةٌ من جهة ورودها في الكتاب والسنة، ومن حيث معرفة معناها في لغة العرب، ومتشابهة من حيث الكيف لأن الكيفَ مجهولٌ لا علم لنا به.

والكيف: أن يتخيل شخص كيفية صفات الله في الذهن، وهذا ممتنع لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(١).

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٠.

فالمحكم: ما عُرِف لفظه ومعناه.

والمتشابه: ما عُرِفَ لفظه وجهل معناه.

مثال توضيحي: الاستواء عُرِفَ معناه في لغة العرب بمعنى استقر وعلا ونحوها من المعاني.

فنحن عرفنا لفظه في كتاب ربنا وسنة نبينا ولغة العرب، فهذا محكم من هذه الناحية، ولكن جهلنا كيفيته، فهذا متشابه من هذه الناحية بعينها.

سادساً: أن الله موصوف في الكتاب والسنة بالنفي والإثبات وكل منهما يكون مجملاً ومفصلاً.

فصفة الإثبات المجمل كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١).

فالآية دلت على صفة الحمد المطلق الغير مقيد لله عَزَّوَجَلَّ.

وصفة الإثبات المفصل ويقال له المقيد كقوله تعالى: «وهو السميع البصير».

فالسمع صفة معينة غير مجملة، وكذا البصر ونحو ذلك من الصفات الواردة في الكتاب والسنة.

والنفي المجمل، ويقال له المطلق كقوله تعالى: «ليس كمثله شيء».

فهذا نفي لكافة الصفات التي لا تليق بجلال ربنا من غير تعيين.

والنفي المفصل ويقال المقيد كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾(٢).

فالسِّنة وهي مقدمة النوم معينة، والنوم معين وكلاهما من المفصل وقد نفاهما ربنا عن نفسه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهى الفراغ منه ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان لعام ألف وأربعمائة وثلاث وعشرين للهجرة بمدينة العين حرسها الله آمين.

---

(١) سورة الزُّمَر، الآية: ٧٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

الرسالة الثانية

شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة

مُقَدِّمَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فهذا شرحٌ موجزٌ على منظومة شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة، كتبته استجابةً للراغبين من طلبة العلم بمسجد ومركز دار السلام بمدينة العين، أوجزت عبارته بطريقة ميسرة، يفهمها الصغار والكبار ليكون سلماً يرتقي به صغار الطلاب لمعرفة عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة.

مشيراً إلى أنه كثر الكلام حول ثبوت هذه المنظومة المباركة من عدمه، وحسبنا أنها جمعت بإيجاز مسائل العقيدة الصحيحة مع أن النفس تميل إلى عدم ثبوتها من ناحية اسنادية وسواء قالها شيخ الإسلام أم غيره، فمسائلها حق لا يتزحزح عنها إلا مبتدع أو جاهل، ولذا اعتمدتها منهجاً مقرراً لطلاب المركز لما حوته من درر المسائل والفوائد.

سائلاً المولى أن ينفع بهذا الشرح، وأن يكون لي ذخراً يوم ألقاه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

صادق بن محمد البيضاني

غفر الله له ولوالديه آمين

مقدمة الناظم

يا سَائِلي عَنْ مَذْهَبِي وعَقيدَتِي ... رُزِقَ الـهُـدى مَـنْ لِـلْـهِـدايـةِ يَـسْـأَلُ
اسـمَـعْ كَـلامَ مُـحَـقِّـقٍ فـي قَـولِـهِ ... لا يَـنْـثَـنـي عَـنـهُ ولا يَـتَـبَـدَّلُ

[الشرح]

ابتدأ شيخ الإسلام ابن تيمية منظومته بنداءِ مَنْ سأله عن العقيدة الحقة والمذهب القويم فقال: يا سَائِلي.

لينتبهَ المستمعُ ويَتيقظَ القارئ لأهمية ما سيأتي من البيان والتفصيل.

وهذا أسلوبٌ عربيٌّ محببٌ إلى النفوس، وقد درج عليه كثير من الأدباء والعلماء، ومن ذلك قول أبي سعد عبد الله بن محمد السَّرِي:

يـا سـائـلـي كـيـفَ حـالـي بـعـدَ فُـرْقَـتِـهِ
حـاشـاكَ مِـمَّـا بـقـلـبـي مِـنْ تَـنَـائِـيْـكَـا
قَدْ أَقْسَمَ الدَّمْعُ لا يجفو الجفونَ أسىً
والـنـومُ لا زَارَهَـا حـتَّـى أُلاقِـيْـكَـا[1]

والمذهب بمعنى الطريقة والمنهج الذي يُسار عليه، يقال ذهب أحمد

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١/١٢٨.

للقولِ بتكفير تارك الصلاة بمعنى تَوَجَّه حكمه الذين يدين الله به إلى هذا القول فاتخذه طريقاً لفتواه في هذه المسألة.

ومنه قولهم: المذاهب الأربعة بمعنى أصحاب الطرق الأربعة في مسائل الفروع.

وأصله في اللغة بمعنى: المُوتَّجَه ثم غلبت تسميته على مسائل الأصول والفروع عند عامة أهل العلم.

والعقيدة: مأخوذة من العَقْد، ومنه عُقْدةُ الحبل فهي وثاقه المربوط.

يقال: يَعْقِدُ الشخصُ بمعنى يربط الربطَ الوثيق على قلبه بما يعتقده حقاً كان أو باطلاً، وقد سميت بذلك لأن القلب يَعْقِدُها عَقْداً وَثِيقاً.

ولذا يمكن تعريفها في الاصطلاح الشرعي بأنها: ما يعتقده الشخص بقلبه، ويدين الله به فإن طابق الشرع فصحيحٌ، وإن خالفه فباطلٌ.

فالرجل يعتقد جواز لبس التمائم، والحروز لدفع الشرور والأمراض ونحوها فهذا اعتقاد باطل.

لأنه خالف الشرع ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام: **مَنْ عَلَّقَ تَمِيْمَةً فقد أشرك**(١).

وإذا اعتقد أن لبسها لا يجوز فهذا اعتقاد صحيح لأنه وافق الشرع، وقس أمثلة بنحو ما ذكرنا فهي كثيرةٌ في مسائل الاعتقاد.

ثم قال الناظم: رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَلُ

بمعنى كل مَنْ يسأل عن طريق الهداية لِيَتَّبِعَهُ فقد رُزِقَهُ، وذكره بلفظ الماضي ليكون آكد الوقوع وهو أبلغ مِنْ [لو قال]: يرزق بلفظ المضارع.

وهذه [أي طريقة السائلين عن ذلك] هي طريقة أهل الإيمان فإن الصحابة رضوان الله عليهم كان يسألون رسول الله عليه الصلاة والسلام عن كل ما

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٥٦ رقم ١٧٤٥٨) بإسناد حسن عن عقبة بن عامر الجهني.

ينفعهم فكان يرشدهم إلى صراط الله المستقيم ليعملوا بأحكام الله الواردة في الكتاب والسنة.

والهداية هدايتان:

الأولى: هداية إرشاد ودلالة وتُسمى بالهداية العامة، وهذه يَقْدِرُ عليها الرسل وغيرهم من أتباعهم.

ففي حق الرسول عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(١)].

وفي حق أتباعهم ما أخرجه الشيخان[(٢)] أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك مِنْ حُمْرِ النِّعَم.

وقد ترد في غير الرسل وأتباعهم، ومن ذلك ما قاله الله تعالى في حق القرآن: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[(٣)].

الثانية: هدية توفيق وإلهام وتسمى بالهداية الخاصة، وهذا لا يقدر عليه إلا الله، وفي هذا النوع يقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[(٤)].

بمعنى مَنْ يُرِدْ اللهُ هدايتهُ أزلاً فلا بد وأن يكون من المهتدين.

وبالمقابل: مَنْ يرد إضلاله فلا ينفعه إرشاد الرسل ولا أتباعهم، وإن حسنت أساليبهم وتعددت مشاربهم الفصحى لكونه مفروغاً منه أزلاً كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(٥)].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.
(٢) متفق عليه من حديث سهل بن سعد.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٩.
(٤) سورة القصص، الآية: ٤.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٣٩.

فقد طَمِعَ رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام في إيمان عمه أبي طالب، ولكن لم يتحقق له ذلك.

وطمع نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام في إيمان ولده ولم يتحقق له ذلك حتى قال الله له: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾(١).

وطمع كثير من الصحابة في إيمان بعض آباءهم وأقاربهم ولكن دون جدوى.

لماذا؟ لأن الله لم يكتب لهم طريق الهداية الخاصة في الأزل.

ثم أراد شيخ الإسلام أن يُلفت السامع والقارئ مرةً أخرى إلى أهمية ما في النظم من المسائل فالتمس ذلك بقوله: اسمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ في قَولِهِ.

والمُحقق هو المتتبع الذي يبحث عن مناط الأشياء وحقائقها ليخرج بنتيجة إيجاب.

يقال كلام مُحَقَّقٌ أي مُخرج ورصين موثق.

وابن تيمية ممن عُرِفَ بتتبع الأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف فحقق المسائل على ضوء الكتاب والسنة تحقيقاً رصيناً يخالف ما عليه أهل الأهواء والبدع.

وقوله: لا يَنْثَني عَنهُ، ولا يَتَبَدَّلُ أي أنه يرحمه الله لا يميل عنه، ولا يتبدل بغيره لأن ما قاله كلام مُتَتَبِّعٍ وباحثٍ مدقق، بخلاف المبتدعة وأهل الأهواء وزعمائهم فإنهم مُتخبطون، وفي كل ضلال يسيحون، لا يستقيم قولُهم، ولا يُعتمدُ دليلُهم، مرادهم الضلال، ودليلُهم الهوى.

فلله الحمد والمنة أنْ جعل أهل السنة على طريق الحق يسيرون، آخذين بأمر خالقهم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة

حُبُّ الصَّحابَةِ كُلُّهُمْ لي مَذْهَبٌ ... وَمَوَدَّةُ القُرْبى بِها أَتَوَسَّلُ

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ وَفَضْلٌ ساطِعٌ ... لكِنَّما الصِّديقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

[الشرح]

سبُّ الصحابة من الكبائر العظام كما ثبت ذلك عن سلفنا الصالح، فقد ثبت عن المغيرة بن مُقسّم رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «كان يقال: شتمُ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الكبائر».

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم، ولا نَصِيفَه**»(١).

فإن استحل الرجل سبهم، أو جرح في عدالتهم أو شك في إيمانهم أو أبغضهم فقد كفر وخرج عن دائرة الدين فمثلُهُ مكذِّبٌ لنصوص الكتاب والسنة الواردة في الثناء عليهم وفي ذكر نصرتهم لرسول الله ودينه الحنيف.

ويدخل في ذلك كل من قذف عائشة رضي الله عنها مما برأها الله منه اتفاقاً.

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٣٤٣ رقم ٣٤٧٠، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلا، وصحيح مسلم (٤/ ١٩٦٧ رقم ٢٥٤٠، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب تحريم سب الصحابة.

وقد رد شيخ الإسلام من خلال الشطر الأول على الروافض الذين استحلوا النقيصة في صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وبَيَّنَ أن مذهبه ومذهب كل سني حب الصحابة رضوان الله عليهم.

والصحابي هو: من لقي النبي عليه الصلاة والسلام مؤمناً ومات على ذلك، وإن تخللت ردة.

وقوله: وَمَوَدَّةُ القُرْبى بِها أَتَوَسَّلُ ظاهره أنه قصد التوسل إلى الله بمعنى التقرب إليه بحبهم لكونهم قربى لأهل الإيمان من ناحية الدين، أو أحبهم لقربهم من رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وفي الحديث: «المرء مع من أحب»(١).

ثم بين أن لكل واحد منهم فضلاً وقدراً في الاسلام، ولا يشك في ذلك أحد من أهل القبلة فهم أفضل الخلق بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأتقاهم، وأعلمهم بالحلال والحرام.

وذلك أنهم شاهدوا الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام والوحي يتنزل وعرفوا فقهه وتأويله بهذا القرب والمكانة سماعاً أو مشاهدةً.

وكيف لا يكونون بهذه المنزلة وقد أثنى الله عليهم في كتابه الكريم وامتدحهم في غير ما آية.

وجعل رضاه مقدماً لهم على غيرهم من عامة الناس.

قال جل في علاه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾(٢).

قال الشاطبي في الموافقات ٤/ ٧٩: . . ومن أبغضهم فقد أبغض النبي

---

(١) متفق عليه عن ابن مسعود.

(٢) سورة التوبة الآية: ١٠٠.

عليه الصلاة والسلام وما ذاك من جهة كونهم رأوه أو جاوروه أو حاوروه فقط.

إذ لا مزية في ذلك وإنما هو لشدة متابعتهم له وأخذهم أنفسهم بالعمل على سنته ونصرته.

ومن كان بهذه المثابة حقيقٌ أن يتخذ قدوة وتجعل سيرته قبلة. أ هـ

وهم في الفضل متفاوتون فأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.

وقد صح عن علي بن أبي طالب كما في كتاب السنة لابن أبي عاصم قال علي ﷺ: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر، ولو شئت أن أسمي لكم الثالث لفعلت»[(١)].

وفي صحيح البخاري[(٢)] عن ابن عمر ﷺ قال: «كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدلُ بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم».

قال شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية: ويُفَضِّلُون [يعني أهل السنة] من أنفق من قبل الفتح - وهو صلح الحديبية - وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل.

ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر - وكانوا ثلاث مئة وبضعة عشر: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[(٣)].

وبأنه: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»، كما أخبر به النبي ﷺ[(٤)]، بل لقد رضي الله عنهم وكانوا أكثر من ألف وأربع مئة.

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٥٧٠ رقم١٢٠١، باب ما رُوي عن علي ﷺ من تفضيله أبي بكر وعمر وإيمائه إلى عثمان بن عفان ثالثهم في الفضل).

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١٣٥٢ رقم ٣٤٩٤، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي ﷺ.

(٣) متفق عليه من حديث علي ﷺ.

(٤) أخرجه الترمذي بإسناد حسن (٥/ ٦٩٥ رقم ٣٨٦٠، كتاب المناقب، باب ٥٨ في فضل من=

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ كالعشرة، وثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة. أ. هـ

قال الطحاوي في العقيدة المسماة بالطحاوية ص٥٧: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم لعثمان رضي الله عنه ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون.

وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله ﷺ وقوله الحق وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد [بن أبي وقاص] وسعيد [بن زيد] وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، وهو أمين هذه الأمة رضي الله عنهم أجمعين.

ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق». أهـ

= بايع تحت الشجرة) عن جابر قال قال رسول الله ﷺ: لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة.

وجوب الإيمان بكل ما جاء في الكتاب المنزل

وأُقِرُّ بِالقُرآنِ ما جاءَتْ بِهِ   آياتُهُ فَهُوَ القَديمُ المُنْزَلُ

[الشرح]

الإقرار لغةً: الإعتراف يقال أقرَّ إذا اعترف.

والقرآن: كلام الله المنزل، الغير مخلوق، لفظاً ومعنى حرفاً وصوتاً منه بدأ، وإليه يعود.

فيه نبأ ما كان قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه مِنْ جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾[1] مَن قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾[(١)].

وسُمِّي القرآن: قرآناً لأن الله سماه قرآناً.

وقيل: لكونه يُقرأ.

وقال آخرون: لأنه بدأ بأول سورة تعلمها رسول الله عليه الصلاة والسلام وهي سورة اقرأ [العلق].

وقد جمع الله في القرآن العقيدة الصحيحة، والمنهج القويم، والأحكام السديدة، والآداب السليمة، والمواعظ، والقصص، وفيه ذكر علوم الدنيا والآخرة، فآيات القرآن شاملة لكل شي، فما أعظم آياته لو تدبرها المؤمن، وأخذ بعنانها فسبحان من أنزله وتكلم به.

وآيات: جمعٌ، مفرده آية، وهي لغة العلامة.

وفي علم التأويل: ما اشتملت على ألفاظ من كلامٍ الله المتلو الفصل.

ويلزم الإيمان، والاعتراف بكل ما جاءت به الآيات إيماناً يستلزم منه العمل.

إذ الاعتراف لا يكفي حتى يُتَوَّجَ بالعمل لأن الإيمان عند أهل السنة قول وعمل.

وقد جاء عن الحسن البصري أنه قال: «ليس الإيمان بالتمنِّي ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدَّقه العمل»[(٢)].

وقوله: فَهُوَ القَديمُ المُنْزَلُ: الضمير يعود على القرآن الكريم فهو القديم المنزل على رسول الله عليه الصلاة والسلام.

---

(١) سورة الجن، الآيتان: ١، ٢.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بإسناد صحيح (٦/ ١٦٣ رقم ٣٠٣٥١، كتاب الإيمان والرؤيا).

موقف أهل السنة والجماعة من آيات الصفات

وجميعُ آياتِ الصِّفاتِ أُمِرُّها ... حَقاً كما نَقَلَ الطِّرازُ الأوَّلُ
وأَرُدُّ عُقْبَتَها إلى نُقَّالِها ... وأصونُها عن كُلِّ ما يُتَخَيَّلُ
قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ الكِّتابَ وراءَهُ ... وإذا اسْتَدَلَّ يقولُ قالَ: الأخطَلُ

[الشرح]

لله جل وعلا أسماءٌ وصفاتٌ.

فالأسماء أسماؤه الحسنى البالغة الحسن.

وصفاته الصفات العلى البالغة الكمال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١).

أخرج الشيخان عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعةً وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة»(٢).

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما سمَّى ووصف الله به نفسه في كتابه، وبما سمَّاه ووصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، بخلاف المبتدعة فقد غيروا وبدلوا.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ.

فمنهم مَنْ نفى الأسماء والصفات عن الله مطلقاً كما فعلت الجهمية، ومنهم مَنْ أثبت الأسماء، ونفى الصفات كما هو مذهب المعتزلة، ومنهم من أَوَّلَ الصفات كالأشعرية وكثير من المعتزلة.

فهؤلاء - المبتدعة - هم حُثالة الخلف الذين طبع الله على قلوبهم، وطمس على أبصارهم فلا يفقهون إلا قليلاً.

أما أتباع سلف هذه الأمة فمذهبهم مذهبُ سلفهم، وهو إمرار الصفات على ظاهرها حقيقةً أخذاً بظاهر النصوص.

فلا يُشَبِّهُون، ولا يمثلون، ولا يكيفون، ولا يعطلون، ولا يؤلون وعلى مذهب رسول الله عليه الصلاة والسلام يسيرون، فهم القومُ لا يَشْقَى بهم جليسُهم، ولا يَملُّ مِنْ علومِهم أنيسُهُم.

فكلُّ خيرٍ في اتِّباعِ مَنْ سَلَفْ   وكُلُّ شَرٍ في ابتداعِ مَنْ خَلَفْ
وكلُّ هديٍ للنبيِّ قد رَجَحْ   فما أُبِيحَ افْعَلْ ودَعْ مَا لم يُبَحْ

وقوله: كما نَقَلَ الطِّرازُ الأَوَّلُ: قصد بهم صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام وتابعيهم فهم خير الناس، وفهمهم مقدمٌ على غيرهم من الخلف الذين دخلتهم العجمى.

قال الشاطبي في الموافقات ٤/ ٦٠: وبيان تعين هذا العلم ما تقدم في كتاب المقاصد من أن الشريعة عربية.

وإذا كانت عربية فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم.

لأنهما سيان في النمط ما عدا وجوه الإعجاز.

فإذا فرضنا مبتدئاً في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة أو متوسطاً فهو متوسط في فهم الشريعة والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية.

فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة فكان فهمه

فيها حجة كما كان فهم الصحابة وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآن حجة فمن لم يبلغ شأنهم فقد نقصه من فهم الشريعة بمقدار التقصير عنهم وكل من قصر فهمه لم يعد حجة ولا كان قوله فيها مقبولاً. أهـ.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تَسْبِقُ شهادةُ أحدِهم يمينَه ويمينُه شهادتَه»[1].

وأخرج أحمد بإسناد لا بأس به[2] عن أبي هريرة قال قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله أيُّ الناس خيرٌ.

قال: أنا ومَنْ معي.

قال فقيل له: ثم مَنْ يا رسول الله؟

قال: الذي على الأثر.

قيل له: ثم مَنء يا رسول الله؟

قال: فرفضهم.

فكل مَنْ خرج عن مذهب السلف دخل في الفتن، وضل الطريق فهو في غياهيب الظلام يسير.

وأنى له النور وقد أبى إلا أن يكون خَلَفياً.

وقوله: وأَرُدُّ عُقْبَتَها إلى نُقَّالِها، وأصونُها عن كُلِّ ما يُتَخَيَّلُ معناه: أنه يرد عقبتها أي هيئتها وحقيقتها إلى نقالها وهم الصحابة أنه يرد عقبتها أي هيئتها وحقيقتها إلى نقالها، وهم الصحابة الذين نقلوا لنا عن رسول الله الصلاة والسلام إمرار الصفات على ظاهرها.

ومعنى: أصونُها عن كُلِّ ما يُتَخَيَّلُ أي أحفظها عن أن أتخيل لها كيفية

(١) متفق عليه.
(٢) مسند الإمام أحمد (٢/ ٢٩٧ رقم ٧٩٤٤، مسند أبي هريرة).

معينة ما أنزل الله بها من سلطان بل أُمْسِك عن ذلك كما فعل الصحابة ﷺ فهم قدوة هذه الأمة بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ثم ردَّ شيخ الإسلام على المبتدعة، وفي مقدمتهم المؤولة الذين أولوا صفات الباري جل وعلا فقال:

قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ الكِتابَ وراءَهُ وإذا اسْتَدَلَّ يقولُ قالَ الأخطَلُ

فتأويلهم نبذٌ لكتاب الله، وإعراض عنه.

فقد رغبوا عنه بمجرد أقوال ليس عليها أثرة من علم، وشبهٍ لا تستقيم بها الحجج، ومِنْ ذلك ما رُوي عن الأخطل في تأويل الاستواء بمعنى الاستيلاء في البيت المشهور على ألسنة المبتدعة:

قد استوى بِشْرٌ على العراقِ مِنْ غيرِ سيفٍ أو دَمٍ مِهْرَاقِ

قال ابن القيم في نونيته:

ودليلهم في ذاك بيتٌ قاله فيما يُقالُ الأخطلُ النصراني

ويجاب عن ذلك بأجوبة:

الأولى: أنه لا يصح سندٌ في رواية هذا البيت عن الأخطل ولا جاء في ديوانه.

الثانية: أنه نصراني من المولدين، وليس من أرباب الفصاحة الذين لم تدخلهم العجمى.

الثالثة: أن الاستيلاء يستلزم منه وجود الغلبة، ومعنى ذلك أن الله استولى عليه وغلب مَنْ كان يملكه قبله وحاشاه وهم يمانعون من ذلك لكونه صاحب الملك المطلق.

وبذا يبطل استدلالهم وتأويلهم، فالاستواء على حقيقته، وقد ورد على أربعة معانٍ جمعها ابن القيم في نونيته بقوله:

فلهم عباراتٌ عليها أربعٌ قد حُصِّلَتْ للفارسِ الطَّعَّانِ

وهي استقرَّ وقد علا وكذلك ارْ ... تَفَعَ الذي ما فيه مِن نُكرانِ

وكذاك قد صَعَدَ الذي هو رَابِعٌ ... وأبو عبيدة صاحبُ الشيباني

يختارُ هذا القولَ في تفسيرهِ ... أدْرَى مِن الجهميِّ بالقرآنِ

وصح عن مالك أنه قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وجوب الإيمان برؤية ربنا يوم القيامة

والـمـؤمـنـون يَـرَوْنَ حـقـاً ربَّـهُـمْ   وإلـى الـسَّـمـاءِ بِـغَـيْـرِ كَـيْـفِ يَـنْـزِلُ

[الشرح]

اشتمل هذا البيت على مسألتين:

الأولى: رؤية الباري في الدار الآخرة.

الثانية: نزول الرب جلَّ وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة.

فأما رؤية الله جل وعلا فقد أجمع أهل السنة على أنه يرى يوم القيامة للأدلة المتواترة الصريحة وهي كثيرة مستفيضة منها: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[1].

فقوله: ناضرة بالضاد بمعنى بهية مشرقة.

وقوله: ناظرة بالظاء بمعنى النظر بالباصرة.

أي: أنها تنظر إلى الله تعالى حقيقة، والوجوه بهية مشرقة لفضل الله عليها في دار النعيم.

وقوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾[2].

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٢) سورة المطففين، الآية: ٢٣.

وعامة المفسرين على أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم وهم متكئون على الأرائك.

(وهي السرر) لهذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[1].

والمزيد في الآية هو النظر إلى وجه الله الكريم كما فسره جماعة من السلف.

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[2].

فالزيادة في الآية هي النظر إلى وجه الله الكريم يوم القيامة كما فسرها سلفنا الصالح، والحسنى هي الجنة للحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة.

يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدُكم؟

فيقولون: ألَمْ تبيض وجوهنا؟

ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟

قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»[3].

وساقه مسلم[4] من رواية شيخه أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون بسنده إلى صهيب مرفوعاً.

وفيه: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

قال ابن القيم: فبين عليه الصلاة والسلام أنهم مع كمال تنعمهم بما

---

(١) سورة ق، الآية: ٣٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ١/ ١٦٣ رقم١٨١.

(٤) كذا في صحيحه بنحو الرقم السابق.

أعطاهم ربهم في الجنة لم يعطهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وإنما كان ذلك أحب إليهم لأن ما يحصل لهم به من اللذة والنعيم والفرح والسرور وقرة العين فوق ما يحصل لهم من التمتع بالأكل والشرب والحور العين، ولا نسبة بين اللذتين والنعيمين ألبتة[١]. أهـ

فرؤية الله ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف هذه الأمة ولم يخالف سوى المبتدعة - من جهمية، ومعتزلة، ومَنْ شَقَّ غبارهم، وركب ضلالهم من أهل الأهواء والتعطيل.

وأما المسألة الثانية: وهي نزول الرب جلَّ وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة فدليل ذلك سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام المتواترة، وإجماع سلف هذه الأمة.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر.

يقول: مَنْ يدعوني فأستجيب له؟

مَنْ يسألني فأعطيه.

مَنْ يستغفرني فأغفر له؟[٢].

قال الذهبي في كتابه العلو للعلي الغفار (ص٧٣): إن أحاديث النزول متواترة تفيد القطع. أهـ

والمعتزلة والجهمية ومَنْ مضى على دربهم معطلون لصفة النزول فهم يقولون: لا ينزل ربنا إلى السماء الدنيا رغم وجود الأدلة الساطعة المتواترة، وهكذا شأن كل من أعرض عن صراط الله المستقيم الوقوعُ في الضلالات والتيه نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥-١٩٧٥، ١/ ٣٣.

(٢) متفق عليه.

وقوله: بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ أي لا يجوز أن نتخيل في الذهن كيفية لنزول ربنا، ولكن يلزم الإمساك والتوقف حيث وقف سلف هذه الأمة.

وجوب الإيمان بنصب الموازين ووجود الحوض في عرصات القيامة

وأُقِرُّ بالميزانِ والحَوضِ الذي ... أرجو بأنِّي مِنهُ رَيّاً أَنْهَلُ

[الشرح]

يُنْصَبُ الميزان - يوم العرض على الله - فتوزن به الأعمال وهو ميزان حقيقي له لسان وكِفْتان فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في كِفْة كما قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾(١).

وقال شأنه: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾(٢).

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده»(٣).

ثم ذكر شيخ الاسلام الحوض، وهو حوض رسول الله المورود - في

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٢) سورة القارعة الآيات: ٤-٩.

(٣) متفق عليه.

عرصات يوم القيامة - وقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثباته، وهو حوض من ماء وهو غير الكوثر فذاك نهر في الجنة، وهذا حوض في العرصات، وأنكر قوم من الجهمية والمعتزلة الحوض.

وقد جاء ذكر الحوض متواتراً في سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ومن ذلك:

ما أخرجه البخاري عن يحيى بن سعيد قال سمعت أنساً ﷺ قال: دعا النبي ﷺ الأنصار ليكتب لهم بالبحرين. فقالوا: لا والله حتى تكتب لإخواننا من قريش بمثلها. فقال: ذاك لهم ما شاء الله على ذلك يقولون له. قال: «فإنكم سترون بعدي أثرة[(١)] فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»[(٢)].

وأخرج أيضاً عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: «إني فرطكم[(٣)] على الحوض مَنْ مَرَّ علي شَرِبَ، ومَنْ شَرِبَ لم يظمأ أبداً».

لَيَرِدَنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم. فأقول: إنهم مني. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك!! فأقول: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ غَيَّرَ بعدي[(٤)].

وقوله: أرجو بأنِّي مِنْهُ رَيّاً أَنْهَلُ: دعاء ترجٍ من الناظم يسأل ربه أن يكون مِمَّنْ يَرِدُ على الحوض ويشربُ منه.

ومعنى (رَيّاً أَنْهَلُ) الريَّان الذي يرتوي من المشروب، وأنهل بمعنى أُسْقى من أول ما أَرِدُ عليه.

---

(١) بضم الهمزة وسكون الثاء وبفتحهما أيضاً بمعنى الاستئثار أي يستأثر عليكم بأمور الدنيا ويفضل عليكم غيركم، وأراد استقلال الأمراء بالأموال وحرمانكم منها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٥٤ رقم ٢٩٩٢، أبواب الجزية والموادعة، باب ما أقطع النبي ﷺ من البحرين وما وعد من مال البحرين والجزية ولمن يقسم الفيء والجزية).

(٣) فتح الفاء والراء أي السابق إليه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٤٠٦ رقم ٦٢١٢، كتاب الرقاق، باب في الحوض).

والمعنى الإجمالي: إني لأرجو أن أكون ممن يرد على الحوض ويرتوي من أول شربة.

وجوب إثبات الصراط يوم القيامة

وكذا الصِّراطُ يُمَدُّ فوقَ جَهَنَّمِ فَمُوَحِّدٌ نَاجٍ وآخَرُ مُهْمَلُ

[الشرح]

الصراط هو الجسر الذي يُمَدُّ بين الجنة والنار، وهو في اللغة بمعنى الطريق الواضح.

قال شيخ الاسلام في العقيدة الواسطية: والصراط منصوب على متن جهنم، وهو الجسر الذين بين الجنة والنار، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم مَنْ يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحفُ زحفاً، ومنهم من يُخْطَفُ ويُلْقى في جهنم، فإن الجسر عليه كلاليبُ تخطف الناس بأعمالهم. أهـ

وقد دلت الأدلة المتواترة على إثبات الصراط وأنه جسر يُمَدُّ بين الجنة والنار ومن ذلك:

ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: يُضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة.

ويقولون: اللهم سلم سلم.

قيل: يا رسول الله وما الجسر؟

قال: دَحْضٌ مَزِلَّةٌ فيه خطاطيف، وكلاليب وحَسَك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السَّعْدَان فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب.

فناج مُسلَّم ومخدوشٌ مُرسل ومَكْدُوس في نار جهنم شويكة يقال لها السَّعْدَان(١) فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب(٢).

وادعت المعتزلة أن المراد بالصراط المذكور طريق الجنة المذكور في قوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾(٣).

وهو أيضاً طريق النار المذكور في قوله تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾(٤).

وهذا من تحريف الكلم عن مقاصده وحقائقه وخصوصاً البين منها، والثابت بطريق التواتر.

وهذه طريقة أهل الزيغ والضلال نسأل الله العافية والسلامة.

---

(١) دحض مزلة: هو بتنوين دحض وداله مفتوحة والحاء ساكنة، ومزلة بفتح الميم وفي الزاى لغتان مشهورتان الفتح والكسر، والدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه الاقدام ولا تستقر.
أما الخطاطيف فجمع خطاف بضم الخاء في المفرد والكلاليب بمعناه وهي ما يُخطف به، وأما الحسك فبفتح الحاء والسين المهملتين وهو شوك صلب من حديد.
وقوله ﷺ: «فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم» معناه أنهم ثلاثة أقسام:
قسم يسلم فلا يناله شيء أصلاً.
وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص.
وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم.
وأما مكدوس فهو بالسين المهملة، ومنه تكدست الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضاً.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٦٧ رقم ١٨٣، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية).

(٣) سورة محمد، الآية: ٥.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٢٣.

وقول ابن تيمية: فَمُوَحِّدٌ نَاجٍ، وآخَرُ مُهْمَلُ يعني أن الموحدين الذين صدقوا في عقائدهم وأخلصوا دينهم لله، ناجون بفضله مِنْ أَنْ يَقَعُوا مِنْ على الصراط إلى جنهم، بخلاف أهل العقائد الفاسدة فيُهملون عن السلامة من ذلك.

وجوب الإيمان بوجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان

وَالنَّارُ يَصْلاها الشَّقيُّ بِحِكْمَةٍ   وكذا التَّقِيُّ إلى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ

[الشرح]

مآلُ الناس يوم القيامة ينتهي إما إلى نار وإما إلى جنة كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾(١).

فالنار عذاب الله، والجنة رحمته، ولكل واحدة ما يملؤها من المخلوقات ولا يظلم ربنا أحداً.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال قال النبي ﷺ: «تحاجت الجنة والنار.

فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين، والمتجبرين.

وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس، وسقطهم.

قال الله تبارك وتعالى: للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي.

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١٠٦-١٠٨.

وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها.

فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله.

فتقول: قَطْ قَطْ.

فهنالك تمتلئ، ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عَزَّوَجَلَّ من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عَزَّوَجَلَّ ينشئ لها خلقاً»(١).

والجنة والنار مخلوقتان.

وقد أراهما ربُنَا نَبِيَّهُ عليه الصلاة والسلام، وخصوصاً يوم أُسْرِيَ به فرأى في الجنة أهلها ينعمون، وفي النار أهلها يعذبون.

وكل مَنْ يدخل الجنة يخلد، وكل من يدخل النار يخلد إلا عصاة أهل القبلة فإنهم يعذبون ويهذبون ثم مآلهم إلى جنة الله بفضله وكرمه جل وعلا.

والشقي والتقي كلمتان متقابلتان متضادتان، فالشقى هو العاصي سواء كان مسلماً أو كافراً.

والتقي هو المؤمن المطيع.

قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾(٢).

فكل شقي يستحق أن يَصْلَى النار، وكل تقي يستحق أن يدخل الجنة بفضله وحده سبحانه.

وفي الصحيحين(٣) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله.

قالوا يا رسول الله: ولا أنت؟!

---

(١) متفق عليه.

(٢) سورة الليل، الآيات: ١٤-١٨.

(٣) متفق عليه.

قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل».

وفي الجنة النعيم المقيم الذي لا يخطر ببال، وفي النار الجحيم الأبدي الذي تشيب منه الولدان.

ففي الصحيحين[١] عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال قال الله تبارك وتعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[٢].

وأما النار فإنها عذابٌ شديد، وأهوالٌ مُفزعة.

قال تعالى: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾[٣].

اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ.

---

(١) متفق عليه.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٣) سورة الحج، الآيات: ١٩-٢٢.

فتنة القبر وموقف أهل السنة من ذلك

ولِكُلِّ حَيٍّ عاقِلٍ في قَبرِهِ ... عَمَلٌ يُقارِنُهُ هناك وَيُسْأَلُ

[الشرح]

القبر منزل الموتى، وفيه يُسْأَلُ الشخص عن ربه، ونبيه، ودينه.

فَمَنْ حُسُنَ جوابُه أَمِنَ العذاب، وقبره روضةٌ من رياض الجنة، ومَنْ لم يُحسن الجواب فقبره حفرةٌ مِنْ حفر النار.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بفتنة القبر وبعذابه ونعيمه.

قال شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية: فأما الفتنة فإن الناس يُفتنون في قبورهم، فيقال للرجل: من ربك؟

وما دينك؟

ومن نبيك؟

فيثبتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن: ربي الله، والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيي.

وأما المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

فيضرب بِمِرْزَبَّةٍ(١) من حديد، فيصيح صيحةً يسمعها كل شيء إلا

---

(١) المِرْزبة: المطرقة.

الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق، ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم، وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد. أهـ

وقد أنكرت الفلاسفة والمعتزلة سؤال القبر، ونعيمه، وعذابه بحجة أن العقل لا يُثْبِتُ مثل ذلك.

وهذا باطل لا يُلتفتُ إليه، إذ العقل لا يدرك كل شيء، وإن أدرك شيئاً فلا يدرك التشريع برمته.

لأن الشرع أمرٌ تعبدي لا دخل للعقل فيه، فهو كتاب وسنة وهما منزلان من عند الله وحده، ولو كان للعقل قوة التشريع لكان له نصيب من ذلك ولكن هذا محال اتفاقاً.

وقد وردت أدلة كثيرة تثبت الحياة البرزخية وما في القبر وما يحصل فيه ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾(٢).

وجاء في حديث البراء بن عازب قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولمَّا يُلْحَد فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، وفي يده عُودٌ ينكت به في الأرض. فرفع رأسه فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً.

وقال: وإنه ليسمع خَفْقَ نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال: له يا هذا مَنْ ربك؟، وما دينك؟، ومن نبيك؟

قال: ويأتيه ملكان فيجلسانه.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٥.

فيقولان له: مَنْ ربك؟

فيقول: ربي الله.

فيقولان له: ما دينك؟

فيقول: ديني الإسلام.

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟

فيقول هو رسول الله ﷺ.

فيقولان: وما يدريك؟

فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به، وصدقت.

فذلك قول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[(١)].

قال: فينادي منادٍ من السماء أنْ قد صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، وألبسوه من الجنة.

قال: فيأتيه مِن رَوْحِها وطيبها.

قال: ويُفتح له فيها مد بصره.

قال: وإن الكافر فذكر موته.

قال: وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه.

فيقولان له: من ربك؟

فيقول: هاه هاه لا أدري.

فيقولان له: ما دينك؟

فيقول: هاه هاه لا أدري.

فيقولان: ما هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟

فيقول: هاه هاه لا أدري.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

فينادي مناد من السماء أنْ كذب فافرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار.

قال: فيأتيه من حَرِّها وسَمُومِها.

قال: ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه.

قال: ثم يقيض له أعمى أبكم معه مِرْزَبَّة من حديد، لو ضُرِب بها جبل لصار تراباً.

قال: فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصير تراباً.

قال: ثم تعاد فيه الروح.

وللحديث ألفاظ وزيادات متفاوتة، وهو حديث صحيح(١).

وعذاب القبر ضربان:

الأول: دائم، وهذا عذاب الكافر لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾(٢).

الثاني: منقطع، وهذا خاص ببعض العصاة من المؤمنين فينقطع متى شاء الله، إما لكون ما عُذِّبَ بسببه قد كَفَى حسبْ جرمه، وإما أن يُرْفع عنه لدعاء أو صدقة ونحوهما، وبالله التوفيق.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه واللفظ له (٢/ ٦٥٢ رقم ٤٧٥٣، كتاب السنة، باب المسألة في القبر وعذاب القبر)، كما أخرجه أحمد في المسند وغيرهما من حديث البراء وله شواهد كثيرة.

(٢) سورة غافر، الآية: ٤٦.

الخاتمة

هـذا اعـتـقـادُ الـشـافِـعـيِّ ومـالـكٍ　　وأبـي حـنـيـفـةَ ثـم أحـمـدَ يَـنْـقِـلُ
فـإنِ اتَّـبَـعْـتَ سـبـيـلَـهُـمْ فَـمُـوَحِّـدٌ　　وإنِ ابْـتَـدَعْـتَ فَـمـا عَـلَـيْـكَ مُـعَـوَّلُ

[الشرح]

ختم شيخ الإسلام منظومته ببيان أنَّ ما يعتقده من المسائل السابقة هو عقيدة الأئمة الأربعة وهم أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد.

فأما أبو حنيفة فهو النعمان بن ثابت الكوفي إمام أهل العراق، ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٥٠ هـ، وإليه ينسب المذهب الحنفي.

يروى أن عبد الله بن المبارك قال فيه:

لـقـد زانَ الـبـلادَ ومَـنْ عـلـيـهـا　　إمـامُ الـمـسـلـمـيـنَ أبـو حـنـيـفـهْ
بـآثـارٍ وفـقـهٍ فـي حـديـثٍ　　كـآيـاتِ الزَّبُـورِ عـلـى الـصـحـيـفـهْ
فـمـا فـي الـمـشـرقـيـن لـهُ نَـظـيـرٌ　　ولا بـالـمـغـربـيـن ولا بِـكُـوفـهْ
رأيـتُ الـعـايـبـيـنَ لَـهُ سَـفَـاهـاً　　خَـلافَ الـحـقِّ مَـعْ حُـجَـجٍ ضَـعِـيْـفَـهْ

وقال آخر:

إذا مـا الـنَّـاسُ يـومـاً قـايَـسُـونـا　　بـآبـدةٍ مِـنَ الـفُـتـيَـا طَـرِيْـفَـهْ

أَتَيْنَاهُمْ بِمقياسٍ صَحيحٍ تِلادٍ مِنْ طِرَازِ أبي حَنِيْفَهْ
إذا سَمِعَ الفَقِيْهُ بِها وعَاهَا وأَثْبَتَهَا بِحبرٍ في صَحِيْفَهْ

وقال ابن المبارك: أبو حنيفة أفقه الناس.

وقال الشافعي: الناس في الفقه عيالٌ على أبي حنيفة.

وأما مالك فهو أبو عبد الله مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وصاحب الموطأ، ولد سنة ٩٣هـ، وتوفي سنة ١٧٩هـ، وإليه يُنسب المذهب المالكي.

قال الشافعي: إذا جاء الأثر فمالك النجم.

وقال مصعب بن عبد الله في مالك:

يَدَعُ الجوابَ فلا يُرَاجَعُ هَيْبَةً والسائلونَ نَواكِسُ الأذقانِ
عِزُّ الوَقارِ ونُورُ سُلْطَان التقى فهو المهيبُ وليس ذا سلطانِ

قال ابن وهب عن مالك قال: بلغني أنه ما زهد أحد في الدنيا واتقى إلا نطق بالحكمة.

وقال أيضاً عن مالك قال: إن الرجل إذا ذهب يمدح نفسه ذهب بهاؤه.

وأما الشافعي فهو: أبو عبد الله محمد بن إدريس المطلبي ولد سنة ١٥٠هـ، وتوفي سنة ٢٠٤هـ وإليه ينسب المذهب الشافعي.

قال عن نفسه: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ، وأنا ابن عشر.

قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي.

ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإنْ لم نتفق في مسألة.

وقال: لا يبلغ في هذا الشأن رجل حتى يَضُرُ به الفقر، ويؤثره على كل شيء.

وقال يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول: يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة، فكن بين المنقبض والمنبسط.

وقال لي: رضاء الناس غاية لا تدرك، وليس إلى السلامة منهم سبيل، فعليك بما ينفعك فالزمه.

وقال الشافعي: العلم ما نَفَعْ ليس العلمُ ما حُفِظْ.

وأما أحمد فهو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ولد سنة ١٦٤هـ، وتوفي سنة ٢٤١ هـ، وإليه ينسب المذهب الحنبلي.

قال علي بن المديني: أحمد بن حنبل أبو عبد الله اليوم حجةُ الله على خلقه.

قال المروذي: سمعت أبا عبد الله ذكر أخلاق الورعين.

فقال: أسال الله أن لا يمقتنا أين نحن من هؤلاء؟

وعنه أيضاً قال: لم أر الفقراء في مجلس أعز منه في مجلس أحمد، كان مائلاً إليهم مُقَصِّراً عن أهل الدنيا، وكان فيه حلم، ولم يكن بالعجول، وكان كثير التواضع تعلوه السكينة والوقار، وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر.

وقال النسائي: جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث، والفقة، والورع، والزهد، والصبر.

وعن عبد الوهاب الورَّاق قال: لما قال النبي ﷺ فردوه إلى عالمه رددناه إلى أحمد بن حنبل وكان أعلم أهل زمانه.

وقال أبو داود: كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة لا يُذكر فيها شيءٌ مِنْ أمر الدنيا ما رأيته ذكر الدنيا قط[1].

---

(١) جُلُّ ما نُقِلَ من الأقوال، والآثار عن الأئمة الأربعة نُقُولاتٌ موجزةٌ مِنْ سِيَرِ أعلام النبلاء للذهبي، ومن التهذيب للحافظ ابن حجر.

هؤلاء هم الأئمة الأربعة الذين جمعوا بين السنة، والعلم، والورع، والفضائل، والمحاسن العطرة فرحمهم الله رحمة الأبرار المتقين الأخيار وأسكنهم فسيح جناته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

فمن اتبع سبيلهم فهو الموحد الصادق، ومن ابتدع وخالف ما عليه خيار القوم فلا يُعَوَّلُ عليه، ولا يلتفت إليه، لأنه خالف سلفه الأطهار.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾(١).

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ

فعليكم بمذهب السلف، وإياكم وسبل الخلف، فسبيل الله واحد، وطريقه لا يتعدد.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(٢).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهى الفراغ منه ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان لعام ألف أربعمائة وثلاث وعشرين للهجرة بمدينة العين حرسها الله آمين.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

الرسالة الثالثة

شرح القواعد الأربع في التوحيد

مقدمة الشارح[(١)]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديه له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فهذا شرح القواعد الأربع التي جمعها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي عليه رحمة الله.

وهي قواعدُ تدعو إلى توحيد الله، وتبين خطر الشرك وخصوصاً أن المجتمعات في العصر الحديث لم تسلم من الشوائب والمعاصي و الشركيات.

ولهذا فشيخ الإسلام النجدي لمَّا عاصر في زمانه الشرك، والاستغاثة بالقبور، والاستعانة بغير الله سبحانه وتعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله قام

(١) أصل هذه الرسالة دَرْسٌ شَرَحْنا من خلاله القواعد الأربع في «شريط مسجل» وقد قام بتفريغه والتعليق عليه الأخ الكريم/ ياسين أبو الحسين البلوشي العماني، وطُبع في رسالة مستقلة، الناشر مكتبة منهاج السنة بدولة الإمارات.

بوضع هذه القواعد ليبين خطر الشرك، وأن الشرك في القديم لازلت له آثارٌ في واقعنا المعاصر.

وهذه القواعد مستنبطة من كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

مقدمة المؤلف

أسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، ويجعلك ممن إذا أُعْطِي شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

[الشرح]

هذه هي مقدمة المؤلف عليه رحمة الله.

يجوز أَنْ تقول: مُقدِمة [بكسر الدال].

ويجوز أن تقول مُقَدَّمَةَ بفتح الدال.

فإذا قلتَ: مُقدِمة بكسر الدال، وهذا المشهور عن جماهير أهل العلم فالمقصود بذلك أنها تقدم الكتاب وتعرِّف القارئ ما في باطنه.

وإذا قلتَ: مُقَدَّمةَ بفتح الدال وإليه مالَ ثعلب عليه رحمة الله، فمعنى ذلك: أنها أول ما ينبغي للقارئ أن يتعرف عليه قبل أن يخوض مسائل الكتاب وقبل أن يقرأ فيه.

وعلى العموم يجوز هذا، ويجوز ذاك، فقد ثبت في العربية بالكسر، وثبت بالفتح.

وهذه القواعد: جمعٌ، مفرده قاعدة.

والقاعدة في اللغة: بمعنى الأساس.

ومنه قيل للنساء: بأنهن ذوات قواعد - أي المرأة إذا كبُرت.

أي لكثرت قِعْدَتِهَا فكأنها كالأساس الثابت لا تمشي، ولا تقوم إلا عند الحاجة.

والقاعدة أيضاً تطلق في اللغة: على الركن الثابت.

وأما في الاصطلاح فالقاعدة عند علماء النظر: أمر كلي يندرج تحته جزئيات.

فإنك تقول: الأمر للوجوب إذا ورَدَ في الكتاب أو في السنة.

فكل أمر وردَ في الكتاب والسنة فإنه جزئية بالنسبة لهذه القاعدة.

ومن القواعد:

قول بعضهم: فاقد الشيء لا يعطيه.

ومعناه في باب الفتوى: أن كل جاهلٍ لا يملك العلم لا يستطيع أن يُفْتِيَك.

فيندرج تحت قاعدة: فاقد الشيء لا يعطيه - كل شخص ليس بعالم.

فالشخص الذي ليس بعالمٍ واحدٌ من مجموعة كبيرة.

فالقاعدة هي ما يندرج تحتها أشياء متعددة.

ثم ذكر القواعد ووصفها بأنها أربع، وهذا يفيد على أن المؤلف لن يخرج عن نطاق هذه القواعد المخصصةِ بهذا العدد.

واستفتح هذه القواعد بذكر الله سبحانه وتعالى والدعاء، وقد جاء عند ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «كل أمرٍ ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله أو بالحمد فهو أقطع» إلا أن هذا الحديث لا يثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام وقد بيناه فيما سبق في دروس عديدة(١).

وذكر في هذه المقدمة أن عنوان السعادة لكل مسلم يرجع إلى ثلاثة أمور:

---

(١) أخرجه ابن ماجه وابن حبان دون رواية الشك.
وفي إسناده: قرة بن عبد الرحمن المعافري وهو ضعيف وعامة ما يرويه من المناكير.

الأمر الأول: الشكر على العَطِيَّة.

والأمر الثاني: الصبر على الابتلاء.

والأمر الثالث: الاستغفار عند الوقوع في الذنب.

فأما بالنسبة للشكر عند العطية والصبر عند الابتلاء فهذا دأبُ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقد جاء في صحيح مسلم(١) من حديث سهل بن سعد الساعدي أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «عجباً لأمر المؤمن: إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له».

وجاء أيضاً أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يصبر، وكان يقول: «والصبر ضياء» كما في صحيح مسلم(٢).

وأما الاستغفار فقد قرنه الله سبحانه وتعالى بالتوحيد، وأمر نبيه أن يستغفر طاعةً لله وليعلم أمته الاستغفار و[يذكر لهم] أهمية الاستغفار بعد الذنب.

فقال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾(٣).

فالاستغفار مربوطٌ بالعقيدة، ولا يكون الرجل موحداً حتى يكون شاكراً لله على عطاياه، وصابراً على ما ابتُلِيَ به، ومستغفراً من ذنوبه، فمن كان كذلك فهو السعيد الذي جنبه الله الفتن ما ظهر منها وما بطن.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩٥ رقم ٢٩٩٩، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٣ رقم ٢٢٣، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء).

(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.

الحنفية هي عبادة الله

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنفية ملة إبراهيم: أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١).

فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم: أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة.

فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك هو معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله الذي قال تعالى فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(٢).

وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

[الشرح]

من عادة المؤلف في كثير من مؤلفاته أنه إذا ذكر الله سبحانه وتعالى وأثنى عليه في المقدمة أتى بلفظ اعلم، وهذا لفظ يستخدمه أهل العلم لبيان أهمية

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

ما بعد هذا اللفظ، وقد أخذوا هذا الأسلوب من كتاب الله، ومن سنة النبي صلى الله عليه و على آله وسلم فإن الله عز وجل قال لنبيه عليه الصلاة والسلام مرشداً له بقوله (فاعلم) فنبهه لأهمية ما بعد العلم ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾(١).

وقوله: أرشدك الله لطاعته دعاء من المؤلف في أن يرشد الله سبحانه وتعالى هذا المخلوق المسلم إلى طاعة الله، بمعنى أن يدله على هذا الخير، لأن الإرشاد بمعنى الدلالة.

ثم بَيَّنَ أن الحنيفية وهي ملة إبراهيم، دعوة الإسلام وهي أن نعبد الله سبحانه تعالى مخلصين له الدين وأن نتبرأ من كافة أنواع الشرك كما تبرأ خليل الله إبراهيم: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾(٢).

فهذه دعوة إلى التوحيد الخالص فملة إبراهيم: عبادة الله وحده بإخلاص من غير شرك،كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾(٣).

وبين المؤلف أن الحكمة من خلق الناس في هذه الحياة إنما يكون من أجل العبادة بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾(٤).

والعبادة كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بأنها: اسم جامع لكل ما يحبه الله، ويرضاه من الأقوال، والأفعال الظاهرة والباطنة.

فصلاتك عبادة، ومشيك إلى المسجد عبادة، وحجك عبادة، ودعاؤك عبادة، واستغاثتك عبادة، وكذلك اعتقادك الاعتقاد الصحيح عبادة.

فالعبادة أقسام: عبادة قوليه، واعتقادية، وفعلية [ونحوها من الأقسام].

فالإعتقادية أن تعتقد ما أمرك الإسلام أن تعتقده بأن الله هو الخالق، وأنه

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٢٦.
(٣) سورة البينة، الآية: ٥.
(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

المدبر، وأنه الرازق، وأنه على العرش استوى، وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير [وما إلى ذلك].

والفعلية كأن تصلي، وتحج، وتتصدق، وتمشي في طاعة الله، وتخرج في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ مجاهداً، أو داعيةً [وما إلى ذلك].

والقولية كقراءة القرآن، وذكر الله، وما أشبه ذلك، فهذه كلها من العبادات.

والظاهرة ما كانت ظاهرةً يراها الغير، والباطنةً ما كانت متعلقة بقلب المؤمن.

فإن المؤمن قد رزق القلب، فإذا صَلَحَ القلبُ صَلَحَ عملُه، كما جاء في الصحيحين(١) من حديث النعمان بن بشير أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمورٌ مُشْتَبَهَاتٌ، فمن أتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه، وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحِمَى، ألا وإنَّ لكل مَلِكٍ حِمَى، ألا وإنَّ حِمَى الله محارمُه، ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

وقد بيَّن المصنف عليه رحمة الله أن العبادة لا تُسمَّى عبادةً خالصةً إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاةً إلا مع الطهارة.

فالرجل إذا صلى من غير وضوء فصلاته باطلة لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول كما في الصحيحين(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ».

وكذلك لا يقبل الله سبحانه تعالى من الرجل المسلم أيَّ عمل إذا كان أشرك فيه غير الله.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

لأنه الله عز وجل قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(١).

وقال جل شأنه: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾(٢).

فإذا اختلط الشرك بالعبادة أفسدها مثل أن يصلي من أجل فلانٍ من الناس فهذا شرك أكبر يخرج الشخص من ملة الإسلام، أما إذا كان الشخص مصلياً فأطال قيامه وقراءته وركوعه وسجوده حتى يقال فلان خاشع فهذا رياء وهو شرك أصغر لا يخرج به من الملة وعليه التوبة من ذلك.

ويتم معرفة توحيد الله الخالص بمعرفة هذه القواعد التي أشار إليها المصنف، والتي سيأتي ذكرها.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

القاعدة الأولى

أنْ تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام.

والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(١).

[الشرح]

هذه القاعدة الأولى: أن أهل الشرك والوثنية في الزمن القديم - الزمن الجاهلي - كانوا يقرون إقراراً تاماً بتوحيد الربوبية بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر، ولكن مع هذا الإقرار لم يكونوا مسلمين.

لماذا؟

لأن الإسلام يستلزم أن يوحد اللهَ العبدُ توحيداً تاماً بأقسامه الثلاثة وهي توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

فإنه ما من شيءٍ على هذه الأرض إلا ويشهد بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق المدبر الرازق.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣١.

فالمشركون يعترفون بتوحيد الربوبية، والشواهد على ذلك تؤكد واقعهم هذا.

ويمكن القول جدلاً: لو أن المشركين تأملوا في هذا الكون وصدقوا في تأملهم لأوصلهم هذا التأمل بما هم عليه من أصل الفطرة إلى توحيد الله الخالص الذي هو الحنفية الحقة.

كما قال القائل:

تأمّلْ في نبات الأرضِ وانْظُرْ ... إلى آثارِ ما صنعَ المليكُ
عيونٌ مِنْ لُجينٍ شاخصاتٌ ... بأبصارٍ هي الذهبُ السبيكُ
على قَصَبِ الزبرجدِ شاهداتٌ ... بأن الله ليس له شريكُ

والحاصل أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل هو توحيد الله سبحانه وتعالى وهو دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، أما بالنسبة لتوحيد الربوبية فهو منتشرٌ في زمن الرسل وقبل زمن الرسل، ولذلك أستدل المصنف بأنهم موحدون بتوحيد الربوبية بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾(٢).

وقال أيضاً قبل هذه الآية: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٣).

بل إن المشركين يعلمون أن كل هذه النعم كالماء والطعام والمتاع ونحوها من عند الله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣١.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٧.
(٣) سورة الزخرف، الآية: ٩.

مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾(١).

إذاً المشركون: لا يملكون العقول السليمة بسبب عبادتهم لهذه الأصنام مما أدَّى إلى ابتعادهم عن متابعة محمد عليه الصلاة والسلام.

والتوحيد توحيدان:

[الأول] توحيد إثبات ومعرفة وهو توحيد الربوبية: بأن تثبته لله سبحانه وتعالى، وكذلك توحيد الأسماء والصفات من توحيد الإثبات.

[الثاني] توحيد الطلب وهو توحيد الألوهية، ويسمى توحيد الطاعة.

ويقال له أيضاً توحيد العبادة.

وهذا التوحيد هو الذي من أجله جاء الرسل، وله خُلِق الناس كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢).

فالقاعدة أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يأتِ من أجل أن يعلم الناس توحيد الربوبية، وإنما جاء من أجل أن يدعوهم توحيد الألوهية، كما دعاهم إلى أن يُنَزَّهُ الله سبحانه وتعالى، ويُوصف، ويُسمَّى بما وُصِفَ وما سُميَّ به في كتاب الله وفي سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٣.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

القاعدة الثانية

أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة.

فدليل القربة قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾(١).

ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢).

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية وشفاعة مثبتة.

فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

والدليل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾(٣).

والشفاعة المثبتة: هي التي تطلب من الله، والشافع مُكرَّم بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾(٤).

---

(١) سورة الزمر، الآية ٣.
(٢) سورة يونس، الآية: ١٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

[الشرح]

هذه هي القاعدة الثانية وهي أن المشركين في العصر القديم عبدوا الأصنام وأفردوها بالعبادة كي يتقربوا بها إلى الله سبحانه وتعالى لكونها في الأصل صوراً لصالحين، فلما صُوِّرتْ هذه الصُور على هيئة أصنام عبدوها من دون الله واتخذوها قربةً تُقَربهم إلى الله وتشفع لهم عند ربهم على حد زعمهم كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾(١).

وهذا بخلاف ما عليه غلاة النصارى الذين عبدوا المسيح وأشركوه في الخلق والأمر.

فهذا كفرٌ بيِّنٌ وهو أخطر من كفر وشرك العرب في الزمن الجاهلي.

لكون المشركين لم يشركوا الأصنام في الخلق والأمر وإنما كانوا يتوسلون بها من أجل طلب الشفاعة.

من أجل أن تشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾(٢).

وبماذا يعللون؟؟

﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾(٢).

لكن هذا لا يخرجهم عن كونهم عبدةَ الأصنام والأوثان.

وقد ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أقسام الشفاعة، وقسَّمها إلى قسمين:

الأولى: شفاعة منفية.

الثانية: شفاعة مثبتة.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٨.

فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وهذا من الكفر.

كأن تطلب من مخلوق حياً كان أو ميتاً أن يرفع عنك الأمراض أو يرزقك المال أو الولد فهذا كفر مخرج من الملة.

أو أن يطلب الكافر يوم القيامة من آخر أن يشفع له عند الله ويدخله الجنة فهذا محال أيضاً وغير ممكن وقوعه كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[١].

فهذه الشفاعة لا يمكن وقوعها، لأنه ليست تحت قدرته، وإنما على العبد أن يدعوَ لأخيه المسلم، وأن يستغفر له في الدنيا، ويسعى لدعوة الآخرين من بني البشرية.

أما النوع الثاني من الشفاعة، وهو الشفاعة المثبتة: وهي التي تُطلب من الله وحده.

كأن يطلب العبد من الله مثلاً شفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام لوالديه يوم العرض.

أو أن يتوجه العبد إلى الله سبحانه وتعالى ويقول اللهم اشفع لفلان، ومن ذلك شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام يوم القيامة لأهل الكبائر.

فهنا يُطْلب من العبد يتوجه بها إلى مَن؟

الجواب: إلى الله سبحانه وتعالى، والشافع وهو الذي يطلب الشفاعة مكرَّم بها إن وقعت، وهي واقعة في حق من أخبر الله عنهم كنبينا عليه الصلاة والسلام ورسل الله وملائكته وبعض المؤمنين في مواطن مختلفة.

وكذلك المشفوع له لا يُقبل له هذا الأمر إلا بعد رضا الله سبحانه وتعالى على الشافع والمشفوع معاً.

ولهذا يشترط في الشفاعة شرطان:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

الأول: أن يرضى الله سبحانه وتعالى على هذا المشفوع وكذا على الشافع.

الثاني: أن تكون هذه الشفاعة بعد الإذن.

فإذا رضيه [الله] بقي إذنه سبحانه وتعالى، فإذا رضي على هذا الذي طلب الشفاعة وأذن له بالشفاعة تمت على مراد الله لأنه قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[1].

وعليه فما كان من المشركين في القديم إلا أنهم كانوا مشركين بالله سبحانه وتعالى وكان شركهم أنهم يتوسلون بهذه الأصنام والأوثان من أجل أن تقربهم إلى الله سبحانه وتعالى، ومن أجل أن تشفع لهم يوم القيامة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

القاعدة الثالثة

أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم: منهم مَنْ يعبد الملائكة، ومنهم مَنْ يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم مَنْ يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾(١).

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(٢).

ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾(٣).

ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾(٤).

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٠.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾(١).

ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾(٢).

وحديث أبي واقد الليثي ﷺ قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين - ونحن حدثاء عهد بكفر - وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة.

فقلنا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» الحديث.

[الشرح]

القاعدة الثالثة أن النبي عليه الصلاة والسلام لما بعثه الله سبحانه وتعالى إلى الناس كافة وجد الناس يختلفون في عبادتهم فذاك يعبد حجراً، وذاك يعبد شجراً، وذاك يعبد نبياً، وآخر صالحاً، وآخر مَلَكاً، ومنهم مَنْ كان يعبد الشمس والقمر، وجعلهم النبي عليه الصلاة والسلام ملةً واحدة فقاتلهم جميعاً، ودعاهم جميعاً إلى عبادة الله وحده، ولم يفرق بين الذي عبد الحجر أو الشجر، وبين الذي عبد النبي أو الملائكة أو الجان أو ما أشبه ذلك.

لأن الجميع قد أشركوا في عبادتهم فقاتل الجميع كما قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾(٣).

أي: أنه لا بد من محاربة أهل الشرك، أن يحاربهم الشخص بقلبه، وبلسانه، [وكذا] بسيفه متى فُتِحَ باب الجهاد.

وبيان ذلك [الأمر الذي عليه المشركون] في كتاب الله في أنهم كانوا

---

(١) سورة الأسراء، الآية: ٥٧.
(٢) سورة النجم، الآيتان: ١٩-٢٠.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

يعبدون آلهة مختلفة فمنهم من يعبد الشمس والقمر من دون الله، وكانت هذه عقيدةً، وديناً لبعض الناس في ذلك العصر كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1].

ومنهم من عبد الملائكة كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾[2].

ومنهم من عبد الأنبياء كما فعل النصارى في عبادتهم عيسى بن مريم ولذا فالله سبحانه وتعالى سَيَسْأَلُ يوم القيامة عيسى بن مريم هل أَمَرَ هؤلاء المسيحيين بعبادته؟

فيتبرأ عيسى بن مريم من هؤلاء، ويُبين أنه إنما دعاهم إلى التوحيد، ونفي الشرك كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ﴾[3] أنزهك عن ذلك: ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[4].

وهذا السؤال يوجه الله عز وجل مع علمه بالجواب، ولكن من أجل أن يكون حجةً على الخليقَة، ويتبرأ عيسى بن مريم يوم القيامة من الشرك، بل ويتبرأ من الشرك وأهله في الدنيا قبل قِيام الساعة وينزل من السماء إلى الأرض ويدعو الناس إلى عبادة التوحيد[5].

ومن المشركين من عبد الصالحين حيث صوروهم على هيئة أوثان

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٠.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٦٦.

(٥) أخرج الشيخان عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ﷺ حكماً مُقْسِطاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد.

وعبدوهم من دون الله، وجعلوهم وسائل يتقربون بها إلى الله كما بين الله ذلك في كتابه الكريم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾(١).

ومن المشركين في الزمن الجاهلي وبداية العهد النبوي مَنْ يعبد الأشجار والأحجار، ويقسمون بها.

ومن هذه ما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾(٢).

وقد ذكر المفسرون أن اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها، وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله، فقالوا: اللات يعنون مؤنثة منه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وأما العزى فمشتقة من العزيز، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي بين مكة والطائف، وكانت قريش تعظموها كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم، فقال رسول الله ﷺ: **«قولوا الله مولانا، ولا مولى لكم»**(٣).

وأما مناة وهي المألوه الثالث في الآية فكانت بالمشلل(٤) عند قديد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة، وقد كان بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخرى، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها.

---

(١) سورة الأسراء، الآية: ٥٧.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ١٩-٢٠.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٠٥ رقم ٢٨٧٤، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه).

(٤) المشلل: بضم الميم وفتح الشين المعجمة وتشديد اللام الأولى المفتوحة اسم موضع قريب من قديد من جهة البحر، ويقال هو الجبل الذي يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر.

وقد خشي النبي عليه الصلاة والسلام أن يقع أهل الإسلام مستقبلاً فيما وقع فيه المشركون فقد عاش أجداهم قديماً مع الأنبياء فكان كثيرٌ منهم من أهل التوحيد، بل لما غرقت سفينة نوح لم يبق على وجه الأرض سوى الموحدين فكان أجداهم في الأصل موحدين، فلما تغير الزمان واختلفت الدهور دخل عليهم الشيطان بهذه الأفكار وهذه الدعوات حتى أشركوا بالله سبحانه وتعالى ما لم ينزل به عليهم سلطاناً فعبدوا الأصنام، فخشي النبي عليه الصلاة والسلام على أمته مستقبلاً من أن تقع في ما وقع فيه الناس في الزمن الجاهلي، فنبه أصحابه من خطر ذلك كما في حديث أبي واقد الليثي ﷺ أنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين - ونحن حدثاء عهد بكفر. وللمشركين سدرة يعكفون عندها ويُعلقون أسلحتهم أو ينوطون (روايتان وهي بمعنى يعلقون) بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط [سميت بهذا الاسم] فمررنا بسدرة، فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

فقال لهم النبي عليه الصلاة والسلام: والذي نفسي بيده لتركبن سُنَّةَ مَنْ كان قبلكم»(١).

وبالفعل تغير الزمان، ودخل الشرك على المسلمين وتتبعوا سنة من كان قبلهم، فاستغاث بعضهم بالموتى ونذروا لهم وطلبوا شفاعتهم ونحوها من الأمور الشركية.

لذا لا بد من التحذير من الشرك حتى يحذره أهل الإسلام وبالله التوفيق.

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٤٧٥ رقم ٢١٨٠، كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم) وأخرجه غيره والحديث صحيح لغيره.

القاعدة الرابعة

إن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة.

والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾(١).

[الشرح]

قصد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في القاعدة الرابعة التفريق بين الشرك القديم في زمن المصطفى عليه الصلاة والسلام والأزمنة قبله، وبين الشرك في عصره عليه رحمة الله، فبَيَّن أن الشرك في هذا العصر وفي عصره كان ولا يزال في الشدة والرخاء، فالناس يذبحون للقبور والموتى، ويكون منهم النذر لكثير من الصالحين من الموتى وغيرهم في الرخاء والشدة -، في الأعياد وفي غيرها من المناسبات.

وهذا بخلاف المشركين الذين كانوا في العهد القديم فإنهم إذا كانوا في الرخاء عبدوا هذه الأصنام وتقربوا إلى الله سبحانه وتعالى بها.

وإذا كانوا في الشدة أخلصوا الدعاء لله وحده.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

أما مشركو زماننا فإن الواحد منهم إذا أصيب بمكروه.

قد يقول: أيها الولي الفلاني لك مني كذا وكذا من المال إن شفيت ابنتي.

هذا هو الشرك الأكبر ونحوه حال الشدة، وأمثلته كثيرة.

وفي الرخاء إذا جاءت المناسبة والأعياد أو جاء الخميس أو الجمعة ذُبحت الذبائح، ومنهم للأسف من يطوف على القبور، ومنهم مَنْ يأتي إلى القبر ويتمسح به، ويصلي إليه ويطوف حوله!!

أين عقول البشر؟؟! فالأمة في غفلة.

فالشرك في القديم أهون من الشرك في الحديث من حيث القسمة هذه، فإن الشرك في القديم إنما كان عند الرخاء، وأما في [العصر] الحديث فإن الشرك عند الرخاء والشدة.

وقد قال تعالى في حق المشركين القدماء: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾(١).

سبحان الله، لما وصلوا إلى البَر، وحصلت السعادة والأمان أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً!!.

وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

الرسالة الرابعة

شرح ثلاثة الأصول في التوحيد

مقدمة الشارح[1]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمورِ محدثاتها وكل محدثةٍ بدعةٌ، وكل بدعةٍ ضلالةٌ، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد:

فثلاثة الأصول لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي عليه رحمة الله تعتبر من الأساسيات لكل مسلم؛ لأنه ما من مسلمٍ إلا ويلزم عليه أن يتعرف عليها، وذلك لأن الإسلام دعا إليها، وحث الأَنام على الدعوة إلى ذلك.

وهذه الأصول تتعلق بنا من ناحية المعرفة، ومن ناحية الاعتقاد، ومن ناحية العمل، ومن ناحية الدعوة إليها.

وكلها مستنبطة من كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(١) أصل هذه الرسالة درْسٌ شَرَحْنا من خلاله ثلاثةَ الأُصُول في «خمسة أشرطة» وقد قام بتفريغها والتعليق عليه الأخوان الكريمان/ خميس بن سويد الوحشي، وحمزة بن محمد أيوب البلوشي.

مقدمة المصنف

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[الشرح]

ابتدأ المصنف عليه رحمة الله هذا المتن بالبسملة، وذلك إقتداءً بما جاء في الحديث الذي أخرجه الرهاوي وغيره أن النبي ﷺ قال: «كل أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه: ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع».

وهذا الحديث حديثٌ ضعيف جداً لا يثبت بحال عن النبي ﷺ (١).

وقد اغترّ كثيرٌ من المصنفين بتحسين ابن الصلاح لهذا الحديث إذ لا تقوم الحجية بتصحيحه.

وعزاه بعضهم إلى ابن حبان البستي عليه رحمة الله، إلا أن ابن حبان لم يخرّجه بهذا اللفظ والذي عنده إنما هو ذكر الحمدلة.

وقد جاء هذا الحديث عند أبي داود (٢).

وجاء عند ابن ماجه بلفظ مقارب للفظ ابن حبان أن النبي ﷺ قال: «كل أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه بالحمد لله أو بالحمد فهو أقطع».

---

(١) أخرجه عبد القادر الرهاوي في الأربعين من حديث أبي هريرة. وهو ضعيف جداً. وانظر الإرواء رقم [١].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه برقم: [٤٨٤٠] بلفظ: «بالحمد لله فهو أجذم» وهو حديث مرسل. وانظر الإرواء رقم: [٢].

وهذا الحديث أيضاً ضعيف(١).

هذا هو الأمر الأول الذي يدفع كثيراً من المصنفين أن يبتدئوا كتبهم بالبسملة.

الأمر الثاني: إقتداءً بسنة النبي ﷺ فإنه كان إذا راسل أو كتب صلحاً ابتدأ ذلك بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)؛ ولذلك جاء في حديث صلح الحديبية لما صالح النبي ﷺ المشركين على الهدنة، وكان الكاتب الإمام علي بن أبي طالب قال له النبي ﷺ: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم».

فقال بعضهم: لا نعرف ذلك يا محمد، بل أكتب باسمك اللهم(٢).

فالنبي ﷺ استحب عند الكتابة أن يبدأ علي بن أبي طالب بالبسملة، وهذا هو الأمر الثاني الذي يدفع كثيراً من المصنفين إلى ابتداء كتبهم بالبسملة.

الأمر الثالث: من باب التبرك، فإن قولنا: بسم الله الرحمن الرحيم بمعنى: التبرك بهذه البسملة لأنها اشتملت على الاسم الأعظم لله سبحانه وتعالى وهو لفظ الجلالة المألوه الذي يستحق العبادة وحده.

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم [١٨٩٤] بلفظ «بالحمد فهو أقطع».
وابن حبان في «صحيحه» برقم [١، ٢] بلفظ: «بحمد لله فهو أقطع» و«بحمد الله أقطع» وهو حديث ضعيف. الإرواء رقم [٢].

(٢) يشير الشارح إلى ما أخرجه الإمام احمد في مسنده بإسناد لا بأس به من حديث عبد الله بن مغفل المزني قال: كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن وكان يقع من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله ﷺوعلي بن أبي طالب، وسهيل ابن عمرو بين يديه.
فقال رسول الله ﷺ لعلي: (اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فأخذ سهيل بن عمرو بيده.
فقال: ما نعرف بسم الله الرحمن الرحيم.
اكتب في قضيتنا ما نعرف قال: اكتب باسمك اللهم، فكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ أهل مكة، فأمسك سهيل بن عمرو بيده.
وقال: لقد ظلمناك إن كنت رسوله اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وأنا رسول الله ﷺ فكتب.

الأمر الرابع: أن الابتداء بالبسملة صار سنةً عند أهل التصنيف وصار عادة، فإذا أراد الرجل أن يؤلف كتاباً كتب في مقدمته: بسم الله الرحمن الرحيم[١].

(١) قال القرطبي في تفسيره: [١ / ٩٧]: اتفقت الأمة على جواز كَتْبِها في أول كل كتاب من كتب العلم والرسائل ا.هـ.

مقدمة عن مسائل أربع

اعلم رحمك الله: أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل.

[الشرح]

اعلم: هذا لفظ يؤتى به لتنبيه القارئ أو السامع لأهمية ما سيأتي بعده.

فإنك إذا قلت: اعلم، انتبه المستمع للكلام المهم الذي سيأتي بعد لفظ اعلم.

و(اعلم) الأصل أنها من العلم ِ، وهذا مذهب البصريين، وعند الكوفيين من (عَلِمَ) بمعنى الفعل الماضي، والصحيح هو مذهب البصريين، وقد بينا الأسباب في غير هذا الموضع، فـ(اعلم) من العلم.

والعلم هو المعرفة التي بها يعرف الشخص المعلوم على ما هو عليه، فأنت تدرك أن هذا الذي بيدك كتاب، فهذا الإدراك معرفة الشيء على ما هو عليه في الحقيقة.

وقول المصنف:

(رحمك الله): بمعنى الدعاء أي أنه يسأله للقارئ، ولكل مسلم الرحمة والعفو من الله سبحانه وتعالى، لكن كان الأولى أن يدعو المصنف لنفسه ثم يدعو لغيره، فيقول: اعلم رحمني الله وإياك.

هذا هو المستحب؛ ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله نوح عليه السلام قال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾.

فبدأ بنفسه ثم ثنى بوالديه ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1].

---

(١) سورة نوح الآية: ٢٨.

فأنت عليك أن تبدأ بنفسك ثم تثني بالرحمة لغيرك وفي الحديث الصحيح، يقول النبي ﷺ: **«الراحمون يرحمهم الرحمن»**[(١)].

والرحمة هي: ما يليق بالله سبحانه وتعالى من العفو والمغفرة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل، لكن هناك فرق بين الرحمة والمغفرة، فإذا اجتمعتا فَذُكِرَتْ الرحمة مع المغفرة فهي بمعنى مختلف كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(٢)].

فيقال: إذا اجتمعتا افترقتا، وإذا افترقتا اجتمعتا كيف هذا؟

الجواب: لو قلت: الله ﷻ رحيم؛ بمعنى أنه يرحم ويغفر، فهنا افترقتا فَذُكِرَتْ واحدة بمعنى: لم نذكر إلا شيئاً واحداً فالرحمة تعني المغفرة أيضاً.

وإذا اجتمعتا افترقتا كأن تقول: الله غفورٌ رحيم، بمعنى له الرحمة المطلقة، ويغفر الذنوب التي يعملها المسلم متى تاب إلى الله سبحانه وتعالى.

هذا هو المقصود بقولهم: إذا اجتمعتا افترقتا، وإذا افترقتا اجتمعتا.

معنى إذا افترقتا: الواحدة تدل على معنى الأخرى هذا هو الأصل.

والرحمة في اللغة بمعنى: العطف.

وفي حق الله سبحانه وتعالى: رحمة تليق بجلاله من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تأويلٍ ولا تكييفٍ.

والمغفرة في الأصل: غفران الذنوب أو طلب العبد من الرب أن يغفر له الذنوب.

وفي حق الله سبحانه وتعالى: مغفرة تليق بجلاله من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تأويلٍ ولا تكييفٍ.

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب، باب: الرحمة برقم [٤٩٤١]، والترمذي برقم [١٩٢٤]، وأحمد برقم: [٦٤٩٤]، والحاكم في مستدركه: [٤ / ١٥٩] وهو حديث صحيح لغيره، وانظر غير مأمور صحيح الجامع للألباني برقم: [٣٥٢٢]، والصحيحة برقم [٩٢٥] وأيضاً مسند الإمام أحمد تحقيق الأرناؤوط برقم [٦٤٩٤].

(٢) سورة الأحقاف الآية: ٨.

وقوله عليه رحمة الله: أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

قصد بقوله يجب أي: يلزم، لأن الواجب في لغة العرب بمعنى: الساقط واللازم الذي يلزم على الشخص أن يأتي به.

وفي الاصطلاح: ما أمر به الشرع على سبيل الإلزام.

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(١). فهذا واجبٌ يلزم شرعاً على الرجل أن يأتي هذا الشيء.

وحكمه: أنَّ مَنْ أتى بالواجب فإنه يؤجر، ومن ترك الواجب فإنه يستحق الإثمية.

قولنا: بأنه يستحق الإثمية بمعنى: أنه يستحق هذا العقاب لكن قد يغفر الله سبحانه وتعالى، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾(٢).

وأيضاً أنه سبحانه وتعالى قد جعل باب التوبة مفتوحاً، فقد يترك الرجل الواجب فترةً ثم يأتي بهذا الواجب بعد التوبة النصوح فيغفر الله سبحانه وتعالى له إن صدق في توبته.

وقد جاء في سنن ابن ماجه عن النبي ﷺ أنه قال: التائب من الذنب كمن لا ذنب له(٣).

وقبل هذا وذاك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(٤).

وقوله: تَعَلُّم: بمعنى إدراك وبمعنى المعرفة، أي أنه يجب على الشخص أن يدرك وأن يعرف هذه المسائل التي أشار إليها المصنف عليه رحمه الله.

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية: ٤٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه وهو حديث حسن. انظر صحيح الجامع برقم [٣٠٠٨].

(٤) سورة النساء، الآية: ١١٦.

وأما قوله: مسائل: فهي جمع مسألة، والمسألة: ما كان موضوع بحث أو نظر.

كيف؟

مثلاً مسألة الحيض، هل هذه المسألة مسألة بحث ونظر، بمعنى: أن هذه المسألة تحتاج من العالم أن يبحث فيها وأن ينظر في أدلتها من أجل أن يخرج بحل شرعي لها أم لا؟

الجواب: نعم.

وكذلك أيضاً هذه المسائل التي ذكرها المصنف عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومنها الدعوة إلى العلم الشرعي، فهل الدعوة إلى العلم الشرعي مسألة أم لا؟

الجواب: مسألة.

هل هذه المسألة موضوعة من أجل البحث والنظر؟

الجواب: نعم.

ولماذا البحث؟ ولماذا النظر؟

الجواب: من أجل أن يقوم الشخص بواجب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى على بصيرة.

المسألة الأولى
العلم

ابتدأ المصنف عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمسألة الأولى وهذه المسألة هي: العلم.

والعلم هو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.

لكن هذا في الشيء الذي يكون مقطوعاً به.

فنحن نقول: بأنه قد يكون إدراكاً جازماً لماذا؟

لأن العلم ينقسم إلى أربعة أقسام:

العلم الأول: العلم الضروري وهو الذي يُعْرف ضَرورةً من غير حاجة إلى بحث.

أنا لو قلت لواحدٍ منكم: هذا باب هل تتفقون معي بأن هذا باب؟

الجواب: نعم.

هل هذا يحتاج إلى بحث ونظر من أجل أن نقول الذي يترجح أن هذا يقال له باب أم لا يحتاج؟

الجواب: لا يحتاجُ،لماذا لأنه ضَروريٌ.

هل يحتاج إلى أن يكون الرجل مميزاً أم أن الصبي الصغير يدرك أن هذا باب؟

الجواب: يدرك.

فهذا صار من العلم الضروري.

وكذلك يقال هذه أرض وتلك سماء، ويقال هذا جامع وهذه أركان.

هذا علم ضروري لا يحتاج إلى بحث البته.

العلم الثاني: العلم اليقيني القطعي، وهو ما وصل إلينا بدليل القطع، بحيث لا يحتاج إلى بحث بعد ثبوته قطعاً.

مثال هذا النوع: القرآن الكريم، هل وصل إلينا بدليل القطع أم ما وصل بدليل القطع؟

الجواب: وصل إلينا بدليل القطع.

فلو قال رجل: بأن القرآن لم يصل إلينا بدليل القطع.

قلنا: هذا رجل كافر بإجماع علماء الإسلام.

أما إذا كان جاهلاً أو كان مجنوناً فالصحيح من مذاهب أهل العلم أنه معذور حتى يُعَلَّم هذا الجاهل وحتى تقام عليه الحجة،فإن أصر على ذلك فإنه كافر خارج عن ملة الإسلام، يقام عليه حد الردة.

القرآن الكريم كيف وصل إلينا؛ هل وصل إلينا بالتواتر أم لا؟

الجواب: وصل إلينا بالتواتر.

إذن هل يفيد العلم اليقيني القطعي أنه كلام الله أم لا يفيد هذا؟

الجواب: يفيد.

جميل...

هو يفيد العلم اليقيني لأنه وصل إلينا بدليل متواتر ثابت لا يحتاج إلى نقاش ولا يحتاج إلى كثرة تأويل وإلى بحثٍ، لأن هذا ثابتٌ عن الله، وثابتٌ بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منزلٌ بواسطة جبريل إلى النبي ﷺ، وهو المصدر الأول لشريعة الإسلام. فهذا هو العلم الثاني.

العلم الثالث: العلم الظني وهو تجويز راجح وضده المرجوح، وهذا يَرِدُ كثيراً في المسائل الخلافية؛ وأكثر مسائل الأحكام خلافية.

العلم الظني قلنا بأنه تجويز راجح وضده مرجوح.

مثاله: وَضْعُ اليدين على الصدر في الصلاة، أهل العلم اختلفوا؟

الجواب: اختلفوا.

فالإمام الشافعي يقول: إذا صلَّى الرجل ينبغي عليه أن يضع يديه على بطنه.

وقال أبو حنيفة: تحت السرة.

وقول لبعض الشوافع والشافعي: فوق السرة.

وقول للإمام أحمد: على الصدر.

فهذه أقوالٌ عدةٌ.

ما هو الراجح منها؟

بعد النظر في الأدلة الواردة في هذا الباب نجد أن الراجح في المسألة أن يضع الرجل يديه على صدره، لحديث وائلِ بن حُجْر(١).

وهذا يقال له تجويز راجح بمعنى أننا تجاوزنا المرجوح ورجحنا قولاً من هذه الأقوال.

هذا الترجيح يقال له: العلم الظني.

لماذا؟

لأن الظني ما كان صحيحاً.

إذن: والضعيف مرجوح ويسمى بالوَهَم، وبهذا نفهم مِنْ هذا أن:

العلم الظني يكون في المسائل الخلافية.

كخلاف أهل العلم في الفاتحة في الصلاة أيضاً؛ هل هي ركن أم هي سنة أم هي واجب؟

---

(١) حديث وائل بن حُجْر أخرجه ابن خزيمة في صحيحه: [١ / ٢٤٣] وفي إسناده مؤمل ابن إسماعيل وحديثه صالح في الشواهد والمتابعات وله شواهد عند أحمد وأبي داود يرتقي بها إلى الحسن لغيره.

فالشافعي يقول: بأنها شرط، قصد بالشرطية في الاصطلاح القديم في مقام الركن.

وقال ابن حزم: بأنها ركن.

وقال غيرهما: بأنها واجبة.

لكن بعد النظر في الأدلة نجد أن الفاتحة تعتبر ركناً من أركان الصلاة.

هل هذا تجويز أم ليس بتجويز؟

بمعنى أنّا رجحنا أم لا، وأسقطنا المذاهب الأخرى؟

الجواب: نعم.

متى؟

الجواب: بعد النظر في الأدلة، لأنه جاء في الحديث الذي أخرجه الجماعة من حديث عبادة ابن الصامت أن النبي ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»(١).

وكذلك أيضاً الباحث عندما يبحث في الأحاديث يبحث في الحديث ويترجح عنده بأن هذا الحديث حسن، وعند غيره بأنه ضعيف(٢)، فهذا يقال له تجويز راجح بمعنى أنه رجح القول الأقوى عنده؛ فهذا من العلم الظني.

العلم الرابع: العلم النظري.

ما هو العلم النظري؟

العلم النظري: هو العلم الظني إذا حُفَّ بالقرائن.

كيف إذا حُفَّ بالقرائن؟

يعني كالحديث الذي أخرجه الشيخان، إذا كان الحديث في الصحيحين هذا يقال له: مما حُف بالقرائن.

---

(١) متفق عليه عن عبادة بن الصامت.

(٢) يقصد الشيخ - حفظه الله تعالى -: أن أهل الحديث قد يختلفون في الحكم على حديث ما.

هذا علم نظري.

أصله ظني ولكن لماذا نظري؟

نظري لأن الحديث رواه البخاري ومسلم، وقد اتفق العلماء على جلالتهما وعلى أن كتابيهما أصح كتاب بعد كتاب الله سبحانه وتعالى، ولأن شرطهما أقوى من شرط غيرهما ولأن الأمة تلقت كتابيهما بالقبول.

فهل هذه تعتبر من المقويات أم لا؟

الجواب: نعم.

يعني على سبيل المثال: جاءك رجل ثقة وقال لك: ذهب أبو محمد إلى بلاد الأندلس. وأنت وثِقْتَ في هذا الرجل، لأن هذا الذي حدثك صاحب دين، وصاحب ضبط، ورجل ثقة لا يختلف في أمره اثنان، ولا ينتطح فيه عنزان، مُسَلَّمٌ له.

فجاءك رجل ثانٍ، هو أدنى منه إلا أنه ثقة.

فهل هذا يعتبر من القرائن لتقوية القول الأول الذي جاءك أم لا؟

الجواب: نعم.

إذن: هذا هو المقصود.

وعلى ذلك فهذه هي أقسام العلم.

وأراد المصنف عليه رحمة الله أن يبين ما المقصود بالعلم، وما هو الذي دفعه أن يتكلم عن المسألة الأولى وهي العلم ففسر العلم عنده بقوله: وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة وسيأتي الكلام عليها مُفَصَّلاً بمشيئة الله تعالى.

أولاً: معرفة الله

ما المقصود بالمعرفة هنا؟

الجواب: الإدراك.

وكيف يعرف الإنسان ربَّهُ؟

الجواب: يعرف الإنسان ربه بعدة أشياء.

بقلبه وذلك بالاعتقاد الجازم في أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق، المدبر، الرازق، الذي يستحق العبادة وحده، فإذا لم يعتقد الإنسان هذا الاعتقاد فهو كافر، خارج عن ملة الإسلام، لماذا؟

لأن إيمانه ليس له أصل، فأصل الإيمان في القلب، وفي القلب يكون الاعتقاد.

والإنسان الذي لا يعتقد بقلبه ولا يعرف ربه بقلبه، فقلبه فاسد، لأنه إذا صلح هذا القلب، صلحت الجوارح، وصلحت الأعمال، وإذا فسد فسدت الجوارح وفسدت الأعمال، وقد جاء في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير قال: قال: «**الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، ألا وإن لكل مَلِكٍ حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلَحت صلَح الجسد كُلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كُلّه ألا وهي القلب**»[١].

فلا إيمان ولا معرفة من العبد لله سبحانه وتعالى حتى يتأكد في قلب المسلم الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق هذا الكون وهو المدبّر له بجميع أحواله حركاته وسكناته ونحوها، فهذا ما يتعلق بالقلب.

والأمر الثاني: معرفة الله بالجوارح.

ومعرفة الله سبحانه وتعالى بالجوارح تكون باللسان وباليدين وبالرجلين وبالبصر وبالسمع وما أشبه ذلك من جوارح العبد، وذلك لأن العبد إذا ذكر الله سبحانه وتعالى فإنه قد عرف الله بجارحة اللسان، وكذلك أيضاً إذا صلّى، فإنه إذا صلّى لا يصلي هذه الصلاة إلا بجارحة اللسان و بجارحة اليدين وما أشبه ذلك من الجوارح لأنه يأتي بعبادة شرعية ويأتي بأعمال شرعية.

---

(١) متفق عليه.

والرجل العاقل لا يصلي هذه الصلاة إلا لأنه عرف ربّه وعلم أن الله سبحانه وتعالى قد كتب عليه هذه الصلاة، وكذلك أيضاً يحافظ على بصره من أن يقع في الزنا؛ بالنظر إلى ما حرّم الله سبحانه وتعالى، وعلى سمعه فلا يسمع إلا ما كان مشروعاً، فيبتعد عن الأغاني ويبتعد عن سماع اللهو وعن الكلام الفاحش، والكلام في ما يغضب الرب سبحانه وتعالى، وكذلك أيضاً أنه إذا مشى لا يمشي إلا في طاعة الله هذا كله يعتبر من معرفة الله سبحانه وتعالى بالجوارح.

ولهذا جاء في الحديث كما في البخاري عن النبي ﷺ عن ربه عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي قال الله عَزَّوَجَلَّ: **«وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، ولئنْ سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنه»**(١).

العبد إذا كان على هذه الحالة فإنه قد عرف ربّه بهذه الجوارح، فإذا عرف ربّه؛ عرفه الله سبحانه وتعالى.

بماذا؟

بالرحمة والمغفرة والجنّة في الآخرة وبكل شيء أراده الله سبحانه وتعالى.

الأمر الثالث: أن يعرف الإنسان ربّه في زمنه، وهذا يتعلق بالوقت، فلا يضيع وقتاً إلا في طاعة الله.

بمعنى أن يشغل وقته فيما يعود عليه بالنفع.

وفي حديث ابن عبّاس الذي في صحيح البخاري يقول النبي ﷺ: **«نعمتانِ مَغبُونٌ فيهما كثيرٌ من الناسِ، الصحةُ والفراغُ»**(٢).

---

(١) رواه البخاري برقم: [٦٥٠٢].

(٢) رواه البخاري في الرقاق عن ابن عباس برقم: [٦٤١٢].

بمعنى أن الإنسان لا يضيع وقته، بل عليه أن يعرف ربّه في جميع الأزمان، وهذا هو المقصود بمعرفة الله سبحانه وتعالى.

الأمر الرابع: وجوب الخضوع لحكم الله، وحكم الله ﷿ هو الإسلام، فالرجل إذا لم يخضع لأحكام الله سبحانه وتعالى، فمعناه أنه لم يعرف ربّه، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾(١).

وبطلان العمل أن تَصْرِف هذه العبادة لغير الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: معرفة نبيه

وهو أن يعرف المسلم أن الله سبحانه وتعالى قد بعث إلينا نبياً مرسلاً، وهو محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي الذي بُعِثَ بالحنفية السمحة، وما مات حتى ترك الأمة على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ويستلزم من معرفة النبي ﷺ التصديق بكل ما جاء عن النبي ﷺ.

بمعنى أن تصدق بأن كلامه حق، وأن كلامه من كلام الله ﷿ في الأحكام، لأن الله ﷿ يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥﴾(٢).

ويستلزم من معرفة النبي ﷺ أن نعتقد أنَّ مَنْ سمع به ولم يؤمن به كان من أهل النار، والمقصود بـ (سمع به) بمعنى: أنه سمع وأدرك ما جاء به النبي ﷺ، وأقيمت عليه الحجة بأن ما جاء به النبي ﷺ حق.

وذلك لحديث أبي هريرة الذي في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «ما من يهودي ولا نصراني يسمع بالذي جئت به؛ ثم لم يؤمن بي؛ إلا كان من أهل النار»(٣).

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣٣.

(٢) سورة النجم الآيتان: ٤، ٥.

(٣) رواه مسلم في الإيمان [٢١٨].

ويستلزم أيضاً من معرفة النبي ﷺ أن يسلم المسلم للأحكام الشرعية التي جاءت عن رسول الله ﷺ، لأن الله عز وجل يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١].

وأيضاً جاء في حديث أبي هريرة كما في صحيح البخاري وهو حديث حسن قال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى.

قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟

قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[٢].

فهذا يدل على الطاعة اللازمة للنبي ﷺ.

فمعرفة النبي ﷺ تَتِمُّ بالتصديق، وبالعمل بكل ما جاء به النبي ﷺ.

والنبي هنا بمعنى: الرسول.

وهنا يقال أيضاً في كلمتي النبي والرسول: إذا اجتمعتا افترقتا، وإذا افترقتا اجتمعتا.

فهنا افترقتا أم اجتمعتا؟

هل ذُكِرَ النبي والرسول أم ذكر النبي؟

الجواب: افترقتا.

إذن النبي هنا بمعنى الرسول.

والفرق بينهما:

أن النبي: هو الذي يُوْحَى إليه ولكن لا يُكَلَّفُ بتبليغ رسالة جديدة، وإنما يكلف بدعوة الناس إلى شريعة من قبله.

والرسول: ما يوحى إليه ويكلّف برسالة جديدة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) رواه البخاري في الاعتصام عن أبي هريرة برقم: [٧٢٨٠].

إذن النبي يكلف أم لا؟

الجواب: يكلف والرسول يكلف، ولكن النبي يكلف برسالةِ مَن سبقَ، والرسول يكلف بالرسالة الجديدة هذا هو الحاصل والقول الراجح وهو الخلاصة في هذا الباب وقد خاض الناس كثيراً وخاضوا خوضاً شديداً، وهذا أرجح ما يقال في هذا الباب، والله أعلم.

ثالثاً: معرفة دين الإسلام بالأدلة

الإسلام هو: دين الله سبحانه وتعالى.

ونحن كيف نَعْرِفُ الإسلام؟

نعرف الإسلام بعودتنا إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ.

فالإسلام عبارة عن: الاستسلام والخضوع لشرع الله الوارد في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(١).

إذن:

من اتبع غير الإسلام فهو على غير هدي الإسلام، بل هو على طريق الضلالة؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٢).

ويلزم المسلم في هذا الباب أن يعتقد أن الله سبحانه وتعالى قد أكمل الإسلام وأتمه، كما قال جل جلاله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٣).

ولا بد للمسلم أن يعلم بأن الله سبحانه وتعالى متعبده بجميع أحكام الإسلام سواءً كانت كبيرةً أو صغيرة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

لأنه يقول في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾(١).

بمعنى: خذوا الإسلام من جميع جوانبه.

وللإسلام خصائص:

الأولى: أنه وحيٌ سماوي، وإذا كان الوحي سماوياً فإنه يأتي من عند الله سبحانه وتعالى؛ الذي له العصمة مطلقاً فإنه يُدْرِك ما يصلح البشرية وما يفسد البشرية، بخلاف القوانين الوضعية، فإنها ليست من الوحي السماوي، وإنما هي مما وضعه البشر، وهنا يظهر فيها النقص والخلل واضحاً جلياً.

الثانية: أنه دينٌ شُمُولِيٌّ.

فهو لا يتكلم عن الاعتقاد فحسب؛ بل يتكلم عن الاعتقاد والأخلاق والآداب والأحكام الشرعية، وعن المنهج، وكذا عن السير والوعظ والإرشاد، وما إلى ذلك، فهو شامل لكل شيء ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾(٢).

ولذلك يقولُ أبو ذر: «ما مات رسول الله ﷺ وما مِنْ طائر يطير بجناحيه إلا وذكر لنا فيه علماً»(٣).

هذا هو الإسلام وهو شامل لشؤون الحياة وشؤون الأحكام التشريعية، وفيه عِلْمُ مَنْ سبق وعِلْمُ مَنْ حضر، بل ويخدم كافة الشؤون الدنيوية والأخروية.

الثالثة: أنه صالح لكل زمان و مكان.

فالإسلام الذي كان صالحاً في عهد النبي ﷺ بأحكامه هو صالح في زماننا هذا بكل أحكامه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.
(٣) رواه الطبراني ورجالهُ رجالُ الصَّحِيحِ. وجاء بنحوه عن أبي الدرداء.

لأن النبي ﷺ يقول: «**فمن يَعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي**»(١).

والحديث حديث حسن، وهو من حديث العرباض ابن سارية عند بعض أهل السنن.

فهذه من الخصائص العظمى للإسلام.

وهو يقوم على أربعة أمور:

١ - على الاعتقاد.

٢ - المنهج.

٣ - الأحكام الشرعية.

٤ - السلوك والآداب.

فالإسلام تكلم عن العقيدة والمنهج والآداب والأحكام الشرعية، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي.

المسألة الثانية

العمل بالعلم

ما زلنا نتحدث عن شرح مقدمة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي، والتي ابتدأ بها متن الأصول الثلاثة.

وقد بَيَّنَّا في درسنا السابق المقصود من العلم، ووضحنا ما المقصود بمعرفة الله ومعرفة نبيه ودين الإسلام، وذكرنا ذلك بما لا يحتاج إلى مزيد، وبقي كلامٌ يتعلق بتلك المقدمة؛ فإنه ذكر أربع مسائل في مقدمته وهي: العلم والعمل به والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه، فتكلمنا عن العلم. وحديثنا في هذه اللحظات المباركات يتعلق بالعمل بالعلم.

والعلم لا يصلح إلا بالعمل، ولذلك فقد أنكر الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل عندما علموا ولم يعملوا بذلك العلم.

فقال تعالى: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١).

ونادى أهل الإيمان وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(٢).

وعلى هذا فلا يصلح للداعية الذي يعلم الناس الخير أن يكون معلماً من غير عمل، فإن فَعَلَ شخصٌ هذا فقد شابه بني إسرائيل وما هم عليه من

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الصف، الآية: ٢.

المخالفة، وقد لعن الله عز وجل هذا الصنف من بني إسرائيل فقال جل شأنه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾(١).

لماذا استحقوا هذه اللَّعنَة؟

الجواب: لأن الواحد منهم ربما يَنْصَحُ في اليوم الأول، ثم لا يمنع أن يكون ذلك المنصوح؛ والذي لم يعمل بالنصيحة أن يكون أكيله وشريبه وخليطه.

ودين الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ إنما قام على العمل بالعلم، ورحم الله القائل:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلَّا لنفسك كان ذا التَّعليمُ
تصف الدواء لذي السقام وذي الضَّنا ... كيْ ما يصِحُّوا بهِ وأنتَ سَقِيمُ
ابدأ بنفسك فانْهَهَا عن غيِّها ... فإذا انتهَتْ منه فأنت حكيمُ
فهُناك يُسمع ما تقول ويُشْتَفَى ... بالقول منك وينفع التعليمُ
لا تَنْهَ عن خلقٍ وتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عَظِيمُ

ولأهمية هذه المسألة فقد أفردها الأئمة بمؤلفات مستقلة ومن ذلك ما ألفه الخطيب البغدادي و سماه بـ(اقتضاء العلم العمل).

فالعلم لا يصلح إلا بوجود العمل، وكان مما ذكره الخطيب: (أن شاباً كان يتردد إلى عائشة رضي الله عنها، ويأخذ عنها الحديث، فقالت يوماً له: (يا بُني أعملت بما سمعت مني؟).

قال: لا، إنما أحفظ.

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

فقالت يا بُني: لا تكثر الحُجَجَ علينا وعليك.

وقد جاء في الصحيحين أنه: «يؤتى بالرجل يلقى في نار جهنم، وتندلق أقتاب بطنه، ويدور بها كما يدور الحمار حول الرَّحى، فيقول له الناس الذين كانوا في الدنيا وكان يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، يقولون: يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى؛ ولكني كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»(١).

فهذه هي النهاية وعليه فلا يصلح لطالب العلم إلا أن يكون متعلماً، دون العمل بما عَلِم، والله المستعان.

---

(١) رواه البخاري برقم: [٣٠٢٧، ٦٥٦٩] ومسلم في الزهد عن أسامة بن زيد برقم: [٥٣٠٥].

المسألة الثالثة

الدعوة إليه

المسألة الثالثة التي ذكرها المصنف عليه رحمة الله: هي الدعوة إلى العلم.

العلم الذي يدعو إلى الإسلام، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالدعوة في كتابه الكريم، وجاء ذكر الدعوة إلى الله أيضاً على لسان محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

ولتكن منكم: أمر.

أمة: طائفة؛ أي جماعة.

لماذا قال أمة؟

بمعنى: أن من الأمة من يتعلم العلم ويدعو إليه، فما كل إنسان يصلح أن يكون عالماً وأن يكون داعية.

قال هنا: أمة.

وظيفتها: يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فإن التزموا بذلك فأولئك: هم المفلحون.

فكتب الله سبحانه وتعالى لهم الفلاح في الدنيا والآخرة بالدعوة القائمة على العلم والعمل به.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى أمة محمد ﷺ أفضل الأمم.

لماذا؟

لأنها أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر، فكتب الله عز وجل لها ذلك قبل أن يخلقها لتأكيد حدوثه أزلاً، فلما خلقها عملت بما كان مكتوباً في اللوح المحفوظ.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(١).

فالدعوة إلى العلم، والدعوة إلى الإسلام هي السبيل الأقوم لنشر هذا الدين الحنيف نشراً صحيحاً بين المجتمعات الإسلامية.

ولهذه الدعوة وهي الدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساليبُ ولها مراتب:

فأما أساليبها فثلاثة، وكذا مراتبها ثلاثة أيضاً.

فالأساليب هي المجموعة في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢).

ادع إلى سبيل ربك أي: إلى كتاب ربك، وإلى سنة نبيك التي هي من كلام الله، ولكن بأي أسلوب تكون الدعوة؟

الجواب: بالأساليب الآتية كما ورد في الآية:

الأسلوب الأول: الحكمة.

الأسلوب الثاني: الموعظة الحسنة.

الأسلوب الثالث: المجادلة بالتي هي أحسن.

فالحكمة هي: وضع الشيء في موضعه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

فأحياناً: ربما يرى الشخص منكراً فيكون من الحكمة أن يغيره بلسانه، وأحياناً قد يرى الرجل المنكر وليس من الحكمة أن يغيره بلسانه، فيغيره بقلبه.

ومن الحكمة: أن إذا رأى أن هذا المنكر سيؤدي إلى منكر أكبر إن غيَّره بيده.

فنقول: عليك أن تنكر بقلبك أو بلسانك حسب مقتضى الحال، ثم بعد ذلك: إذا رأيت الوقت المناسب غيرت هذا المنكر بلسانك أو يدك، فـ **«الحكمة ضالة المؤمن»**.

ولذلك فالحكمة أعظم تجارة، وأعظم رزق، وهي أعظم خير يحصل عليه المسلم؛ كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

وجاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين؛ رَجُلٍ» بالكسر، ويجوز أن تقول: رَجُلٌ؛ الأول على البدلية، والثاني على الخبرية إذا رفعت: **«رجلٌ آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الخير ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها، ويعلمها الناس»**[2].

ولذلك فمن صفات الله عز وجل، ومن أسمائه أنه الحكيم، لأنه وضع الأشياء كلها في موضعها، ولم يخلق الخلق عبثاً وإنما خلقهم لحكمة؛ وهي: العبادة و الابتلاء والاختيار.

الأسلوب الثاني: الموعظة، إذا رأيت منكراً عليك أن تعِظَ، فإذا وعظت وتأثَّر الناس، فبالوعظ يرتفع المنكر وبالوعظ يأتي المعروف، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال: **«كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة خشية السآمة»**[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة برقم: [٥٠٢٦] ومسلم عن ابن عمر برقم: [١٨٩٣].

(٣) رواه البخاري عن ابن مسعود برقم: [٦٨].

وجاء عند بعض أهل السنن وأحمد من حديث العرباض بن سارية قال: **«وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً وَجِلَتْ منها القلوب وذَرَفَتْ منها العيون»**(١).

ينبغي أن تكون الدعوة بالمواعظ وأن تكون مناسبة.

لا يذهب الواحد منكم إلى قرية ويتكلم عن الحزبية وهم لا يعرفون الحزبية، هذه موعظةٌ وأسلوب في غير موضعه، عليه إذا ذهب إلى منطقة أن يسأل ما هو الذي يتكيَّف من المواضيع في هذه القرية قبل أن يشرع في الوعظ.

أعني يسأل أهلها من الصالحين، فإذا كان كذلك كان حكيماً في اختيار الموضوع المناسب مع وجوب استعمال الأسلوب المناسب.

والأسلوب الثالث: أن يجادلهم بالتي هي أحسن، فإذا وجدهم على منكر؛ فلا يقول لهم: أنتم كفرة، أو أنتم فسقة، أو أنتم فجرة، ولكن عليه أن يذكر وجوه الخير والمحاسن التي فيهم؛ ثم بعد ذلك يُعَقِّب بعلاج أمراضهم بالأدلة وأجمل الأساليب، وأن يوصل العلم إلى عقولهم إيصالاً سهلاً ليناً برفق فإذا كان كذلك فقد جادلهم بالتي هي أحسن.

وإذا وجد زنديقاً، أو وجد ضالاً؛ فعليه أن يدعو هذا الضال بالتي هي أحسن، لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول لنبيه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾(٢).

ولما أرسل الله سبحانه وتعالى موسى وهارون إلى فرعون قال لهما: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾.

لماذا؟ ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود برقم [٤٦٠٧]، والترمذي برقم [٢٦٧٦]، وابن ماجه برقم [٤٣]، و[٤٤]، وأحمد في مسنده [٤/١٢٦-١٢٧] وغيرهم. وهو حديثٌ صحيح.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٣) سورة طه، الآية: ٤٤.

مع علم الله عز وجل الأزلي أن فرعون لن يتذكر ولن يخشى.

ولكن ماذا قصد الله عز وجل ؟

قصد الله عز وجل أن يؤدب موسى، وأن يؤدب الأمة على أن: «**الرفق ما كان في شيءٍ إلا زانه، وما نزع من شيءٍ إلا شانه**»[١] أراد أن يبني مدرسة للتربية الإيمانية في المجتمعات الإسلامية.

وأما المراتب وهي مراتب الدعوة فمعروفة، كما في حديث أبي سعيد في مسلم، وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[٢].

فتغيير المنكر باليد عند الحاجة عام على السلطان، وعلى الأب، وعلى عامة الناس، ولكن بشرط ألا يؤدي إلى منكر أعظم.

وباللسان على الأمير وعلى العالم وعلى الأب وعلى العامي وبشرط ألا يؤدي إلى منكر أكبر.

لأن الداعية ينبغي له أن يتخير واحدةً من هذه المراتب حسب المصلحة والمفسدة، وكذلك لا ينبغي للرجل أن ينكر المنكر بقلبه مع إمكان أن ينكره بلسانه من غير مفسدة، ولا يجوز له أن ينكر المنكر بلسانه مع استطاعته بإنكار المنكر بيده من غير مفسدة، لأن النبي ﷺ ما خير، وإنما قال: «فإن لم يستطع».

وعندما نقول أن يتخير واحدة من هذه المراتب إنما هذا إذا غلبت المفسدة فلننتبه إلى ذلك جيداً.

وهناك بعض أهل العلم من قال: بأن التغيير باليد على الوالي وباللسان على العالم وبالقلب على العامة فهذا كلام لا أساس له من الصحة!!

---

(١) رواه مسلم برقم: [٧٤٢٥].

(٢) رواه مسلم في الإيمان عن أبي سعيد برقم: [١٧٥].

ولا يجوز أن يقال، بل هو قول ضعيف والأصل على ما وضحناه؛ لأن الأدلة قامت على ذلك في كتاب الله وفي سنة النبي ﷺ.

المسألة الرابعة

الصبر على الأذى فيه

من تعلم العلم فعليه أن يتحلى بالصبر فإن الداعية لا يصلح أن يكون معلماً إلا بذلك.

والصبر لغة: حبس النفس، واصطلاحاً: الصبر صبران:

١ - صبر عن المعصية.

٢ - وصبر على الطاعة.

فالصبر عن المعصية: أن تصبر على ترك الشهوات والملذات ونحوها.

والصبر على الطاعة: أن تصبر على طاعة الله، لأنك إن صبرت فإنك تنال الخير؛ لأن «الصبر ضياء» كما في صحيح مسلم(١).

وفي صحيح مسلم أيضاً: من حديث صهيب أن النبي ﷺ، قال: **«عجباً لأمر المؤمن؛ إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»**(٢).

ولا تخفى القصة التي جاءت في الصحيحين عن النبي ﷺ لما ذهب إلى

---

(١) رواه مسلم برقم: [٢٢٣] وهو جزء من حديث أبي مالك الأشعري: «الطهور شطر الإيمان...».

(٢) رواه مسلم في الزهد برقم: [٧٤٢٥].

عبد يا ليل، وسلطوا عليه الصبيان و العبيد، ليرجموا النبي ﷺ، وبالفعل رجموه حتى سال الدم على وجهه الشريف.

فجاء جبريل إلى النبي ﷺ، وقد أصاب النبي ﷺ الكرب والهم والغم، فقال جبريل يا محمد: هذا ملك الجبال أرسله ربي إليك.

فقال ملك الجبال: يا محمد: السلام عليك، فرد عليه النبي ﷺ، ثم قال له ملك الجبال: لو شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت - وهما الجبلان العظيمان - فماذا قال النبي ﷺ؟

قال: **«لا، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله - وفي رواية -: من يقول: لا إله إلا الله»**[١].

هذا هو الصبر الذي علَّمه النبيُّ ﷺ الأمةَ؛ لأن الرجل إذا صبر وخصوصاً الداعيةُ وطالبُ العلم فإنه ينال بعد ذلك الظفر.

وحينما اشتد الكرب على النبي ﷺ، وعلى الصحابة كما في صحيح البخاري، وكانوا بمكة؛ جاء خبَّاب بن الأرَتْ إلى النبي ﷺ، وهو مُتَوَسِّدٌ بردة له في ظل الكعبة، فقال يا رسول الله: ألا تدعو لنا؟

ألا تستنصر لنا؟ فقد بلغ بنا من أذى قريش ما بلغ، فقال النبي ﷺ: **«قد كان فيمن كان قبلكم يؤتى بالرجل فيحفر له في الأرض ثم يوضع في الحفرة، ثم يؤتى بالمنشار، فيُشق نصفين» سبحان الله!!**[٢] **«ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه!، ما يصده ذلك عن دين الله، والله ليتمّنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»**[٣].

الصبر في الدعوة يعتبر من أهم الأمور، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة.

(٢) هذه جملة اعتراضية من الشارح حفظه الله.

(٣) رواه البخاري في مناقب الأنصار برقم: [٣٨٥٢].

يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(١).

هذا مُوْجَزٌ لما ذكره المصنف - عليه رحمة الله - وسيذكر الأدلة على ذلك، ويوضحها إن شاء الله تعالى كما سيأتي.

(١) سورة فصلت، ، الآية: ٣٥.

أدلة المسائل الأربع

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والدليل على ذلك قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[١].

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «لو ما أُنزل حجةً على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم».

وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «باب: العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[٢]؛ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

[الشرح]

أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنْ يُدَلِّلَ على ما سبق ذكره من المسائل الأربع؛ فقال:

والدليل قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[٣].

---

(١) سورة العصر، الآيات: ١-٣.
(٢) سورة محمّد، الآية: ١٩.
(٣) سورة العصر، الآيات: ١-٣.

هذه السورة ذكرت هذه المسائل الأربع التي ذكرها المصنف بكاملها، فذكرت العلم وهو: أن الله أخبر أن الإنسان في خسارة؛ إن لم يؤمن بما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾.

أي: إذا لم يَعْلَم ما يَلْزَمُهُ شرعاً، ولم يعمل بما ألزمه الشرع كان في خسارة، هذه هي المسألة الأولى.

والمسألة الثانية: أن هذه السورة أفادت لزوم العمل، وهذا في قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العَصر: ٣] إيمان ثم عمل، فلا ينفع الإيمان من غير عمل، لأن العمل ترجمان الإيمان، فلا يكون الرجل كامل الإيمان إلا بوجود العمل المطلوب شرعاً والذي يشترط فيه ثلاثة شروط، وهذه هي شروط قبول العمل:

الشرط الأول: العلم بمشروعية ما سيعمل من الأحكام، فإن كان جاهلاً بالحكم الشرعي لم يلزمه أن يعبد الله بما لا علم له فيه أصلاً كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(١).

والشرط الثاني: الإخلاص، لأن العمل من غير إخلاص يكون باطلاً كما قال الله عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(٢).

الشرط الثالث: الموافقة، بمعنى أن يوافق هذا العمل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لحديث: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٣).

وقال الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾(٤).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.
(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٣) متفق عليه من حديث عائشة رواه البخاري برقم: [٢٦٩٧] ومسلم برقم: [١٧١٨].
(٤) سورة محمد، الآية: ٣٣.

فبطلان العمل: أن تأتي بعملٍ لا يوافق كتاب الله وسنة النبي ﷺ.

المسألة الثالثة: الدعوة إلى الله، وهذا مأخوذ من قول الله عز وجل: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾(١).

المسألة الرابعة: الصبر، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾(٢) وعلى ذلك فالمصنف قد استدل بهذه الآية لأنها جمعت هذه المسائل الأربع التي ذكرها المصنف برمتها، ثم ذكر(٣) قول الشافعي أنه قال: «**لو ما أنزل حجةً على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم**».

وقوله لكفتهم: أي لكفتهم من حيث الوعظ، وليس من حيث الأحكام، لأن الآية ما اشتملت على كافة الأحكام الشرعية، وإنما ذكرت شيئاً من فقه الدعوة، وشيئاً من المنهج الصحيح.

وذكر المصنف أيضاً قول البخاري أنه بوَّب في صحيحه باباً، وهذا الباب هو: العلم قبل القول والعمل، وذكر البخاري قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾(٤).

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾(٥) أي: اعلم أولاً التوحيد، فإذا تعلمت التوحيد فاستغفر لذنبك.

فهنا قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾(٦) هذا العمل، متى يأتي العمل؟

يأتي بعد معرفة التوحيد، بعد معرفة الله سبحانه وتعالى؛ ولذلك فقد بدأ بالعلم قبل القول والعمل. وبالله التوفيق.

---

(١) سورة العَصر، الآية: ٣.
(٢) سورة البَلَد، الآية: ١٧.
(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره عند تفسير سورة العصر: ولكن بلفظ: (وقال الشافعي رحمه الله تعالى: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم).
(٤) سورة محمد، الآية: ١٩.
(٥) سورة محمد، الآية: ١٩.
(٦) سورة غافر، الآية: ٥٥.

المسائل الثلاث التي يجب تعلمها

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث المسائل، والعمل بهنَّ:

الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً؛ فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾(١).

الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحدٌ في عبادته؛ لا ملكٌ مقرّب ولا نبيٌ مرسل، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾(٢).

الثالثة: أن من أطاع الرسول، ووَحد الله لا يجوز له موالاة مَنْ حادَّ الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب، والدليل قوله تعالى:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ

(١) سورة المزمل، الآية: ١٦.
(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

[الشرح]

هذه المسائل الثلاث التي ذكرها شيخ الإسلام النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعتبر من الأمور الواجبة.

ومن الانصاف أن نقول: إن شيخ الإسلام النجدي جعل كلامه أسساً وأصولاً ليبين أهميتها، وأنه ينبغي للأمة أن تتعرف على الأصول قبل أن تخوض في الفروع، وأن تقدم التوحيد قبل أحكام الفروع، وذكر أن مما يجب على المسلم معرفته في هذا الباب هذه المسائل الثلاث التي سبقت، والتي حاصلها:

١ - الحكمة من الخلق.

٢ - ضرورة التوحيد الخالص.

٣ - حرمة موالاة من حاد الله ورسوله.

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

المسألة الأولى
الحكمة من خلقنا هي عبادته سبحانه

وذلك: أن الله سبحانه وتعالى ما خلق الخلقَ هملاً من غير حكمة، وإنما خلقهم لحكمة ألا وهي العبادة وكفل لهم الرزق والتدبير، وأرسل إليهم رسولاً وهو خاتم الأنبياء والمرسلين؛ ليعلمهم هذا الدين، فمن أطاعه واتبع سنته كان من أهل الجنة، ومن عصاه كان من أهل النار، ولذلك يقول الله عز وجل : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾(١).

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال ﷺ: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»**، قيل ومن يأبى يا رسول الله. قال: **«من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»**(٢).

فالذي يعصي النبي ﷺ يستحق النار، والذي يطيع النبي ﷺ يستحق الجنة؛ فالجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان، فإذا كان الله سبحانه وتعالى أرسل لهذه الأمة رسولاً موحداً يدعوهم إلى التوحيد إلى الدين الحنيف؛ فيجب على الأمة الإسلامية أن يرجعوا إلى أمرهم الأول وهو سلفهم الصالح وما كانوا عليه من حسن العبادة، وأن يحذروا كل الحذر من المخالفات التي تخالف شرع الرسول ﷺ.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٢) سبق تخريجه ص: ١٧٢].

وقد استدل المصنف عليه رحمة الله بدليلٍ واضحٍ بيّن في أن الله سبحانه وتعالى ما ترك الخلق هملاً، وإنما أرسل إليهم رسولاً ليبين لهم شرع الله حتى يعبدوا الله على بينة، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا﴾(١).

أرسل الله عز وجل الرسول ليشهد علينا، وليعلمنا هذا الدين، فإن التزمنا بهذا الدين شهد لنا، كما شهد لأجدادنا وهم الصحابة بالخيرية، أوشهد علينا إذا عصيناه، لأنه ما من نبيٍّ ولا رسول إلّا ويبعث مع قومه ويكون شاهداً عليهم، كما قال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾(٢).

أي يوم القيامة، ولذلك لما قرأ عبد الله بن مسعود هذه الآية والنبي ﷺ يسمع بكى النبي ﷺ؛ لأنه تذكر أنه سيشهد على هذه الأمة، يشهد لهم بالخير لمن يستحق، ومن خالف شرعه فإنه سيشهد عليهم.

وقد جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ يقول يوم القيامة: «**اللهم أمتي أمتي**»، فيقول الله عز وجل: «يا محمد إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، لقد غيروا وبدلوا»، فيقول المصطفى ﷺ: «**سُحْقاً سُحْقاً لمن غير وبدّل**»(٣).

فالرسول ﷺ يشهد على هذه الأمة على حسب حالها، وقد بين الله عز وجل أنه أرسل الرسول، وضرب الله مثلاً برسل الأمم السابقة كموسى لبني إسرائيل فقال: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾(٤).

فقد أرسله الله عز وجل إلى إلى بني إسرائيل وكان فيهم فرعون ملك مصر.

وفرعون: لقبٌ يطلق على كل ملكٍ حكم مصرَ في تلك العصور.

فماذا حصل من فرعون؟

---

(١) سورة المزمل، الآية: ١٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤١.
(٣) رواه البخاري رقم [٧٠٧٢] ومسلم رقم [١٩٤، ١٩٣].
(٤) سورة المزمل، الآية: ١٥.

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[١].

أي أخذاً شديداً، وكذلك أيضاً من عصى رسولنا فإن الله عز وجل سيأخذه أخذاً وبيلاً في الدنيا، وإما أن يؤخر العقاب إلى الآخرة فيكون أشد وأنكى.

(١) سورة المزمل، الآية: ١٦.

المسألة الثانية

ضرورة التوحيد الخالص

المسألة الثانية من هذه المسائل الثلاث:

أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من العبد توحيداً ملوَّثاً بالشرك إذ لا بد من التوحيد الذي يكون خالصاً لوجه الله الكريم، فلا يجوز للرجل أن يشرك في عبادة الله مَلَكاً مقرّباً، أو نبياً مرسلاً، أو ولياً صالحاً، فهؤلاء عبادٌ من عباد الله.

إذا كان الرجل سيأتي إلى هذا الولي ويذبح له ويتزلّف عنده، ويذبح للجن، ويذبح للرسول المعين وقد مات؛ فهذا كله من فعل المشركين في القديم، فالمشركون في القديم كانوا يعبدون الله سبحانه وتعالى، وكانوا يعترفون بعبوديتهم له، وبتوحيدهم لله سبحانه وتعالى من ناحية الربوبية، لكن من ناحية الألوهية كانوا يخلطون في عبادتهم، ولذلك قال المشركون كما ذكر الله عزّ وجلّ عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1].

كذلك أيضاً مَنْ استغاث بهؤلاء الخلق فإنه قد أتى بفعل المشركين، لأن الله سبحانه وتعالى أمر بالعبادة الخالصة فقال: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[2] بشرطٍ ما هو؟

قال: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[3].

---

(١) سورة الزّمر، الآية: ٣.
(٢) سور الزمر، الآية: ٣.
(٣) سورة البيّنة، الآية: ٥.

فالذبح عبادةٌ، والنذر عبادةٌ، والدعاء عبادةٌ، والاستغاثة عبادة، والاستعانة عبادة، وما أشبه ذلك؛ فلا بد وأن تكون خالصة لوجهه الكريم.

فإذا كانت متعلقة بعبدٍ فإنها مردودةٌ في وجه ذلك العاصي وكان من المشركين، كما قال جلَّ شأنه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١).

وقد استدل المؤلف بأن الله سبحانه وتعالى لا يرضى الشرك بقول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾(٢).

والمساجد في الآية لضرب المثال في نوع من أنواع الشرك، والمسجد: هو المكان الذي يُصَلَّى فيهِ، وإذا اعتمده الناس للصلاة فلا بد أن تكون هذه العبادة لله سبحانه وتعالى، والشرك: أن تجعل لله نداً في عبادة خاصة أو عامة، في عبادة مطلقة أو مقيدة.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.

المسألة الثالثة

حرمة موالاة من حاد الله ورسوله

المسألة الثالثة: أنه يلزم مَن أطاع الله، وأطاع الرسول، ووحد الله ألا يوالي من حارب الله ورسوله، لأنّ من حادّ الله ورسوله كافر، ومن أطاع الكافر ووالاه لحرب أهل الإسلام، ولحرب كتاب الله وسنة رسول الله فإنه على نهجه يسير كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾(١).

وفي الصحيحين يقول النبي ﷺ: «**المرء مع من أحب**»(٢).

الموالاة قد تكون بالحب لأهل الكفر، وبالنصرة، وبالمال وبالكلمة، ولذلك فإن مِنْ الشرك أن يوالي الرجل أعداء الله لحرب كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ إذ هذا من شرك العبادة، والوليُّ الحقُّ هو الذي: وَالَى الله ورسوله وأهل الإيمان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

من هم ٱلَّذِينَ آمَنُوا؟

الجواب: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾(٣).

وعليه فالموالاة بمعنى الحب، وبمعنى النصرة، وبمعنى التأييد، فإذا كانت هذه الأمور لأهل الإيمان فنعم الموالاة، وإن كانت لأهل الكفر، فإن الرجل قد

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٢) رواه البخاري عن أبي موسى وابن مسعود برقم [٦١٧٠، ٦١٦٨، ٦١٦٩] ومسلم برقم: [٤٠، ٣٩].

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

وقع في أمر خطير، هذا الأمر يُخشى أن يصل به إلى حد الكفر؛ لأن الموالاة تتفاوت من حالة إلى أخرى، وبيانها بالتفصيل في غير هذا الموضع.

فلا يجوز لك أن توالي والدك إذا كان كافراً، ولا أن توالي أمك إذا كانت كافرة، ولكن عليك أن تأتي بالطاعة الشرعية في غير معصية الله سبحانه وتعالى، وأن تعلن البراءة وهي ضد الموالاة، البراءة من أهل الكفر، والموالاة لأهل الإيمان.

وقد استدل المصنف على تحريم ذلك بقول الله ﷻ : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

أي يعلنون المودة والحب بمعنى لا يمكن أن يوجد في أهل الإيمان القوم الذين يعلنون هذه المحبة لأهل الكفر وهم يؤمنون بالله سبحانه وتعالى حقَّ الإيمان.

﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ إلى آخر الآية السابقة[1] أي: ولو كانوا أولئك الكفار آباءً لهم أو أبناءً أو إخواناً أو عشيرةً وهي: القبيلة.

لماذا؟

لأن الله كتب في قلوب المسلمين الإيمان وهو: التصديق والعمل على ضوء كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[2].

أي: أيدهم برحمةٍ، وأيدهم بمغفرةٍ وبتوفيق وبر كثير وذلك لأنهم تابوا إلى الله ﷻ ، وأنابوا والتزموا بشرعه، ويوم القيامة يدخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار؛ لأن هؤلاء هم حزب الله، هم طائفة الله، هم الجماعة المسلمة الحقة، وأولئك هم المفحلون أي الفائزون في الدنيا والآخرة؛ وعلى ذلك فينبغي للمسلم أن يتعرف على هذه المسائل الثلاث، وأن يتقنها حق الإتقان، وبالله التوفيق.

---

(١) سورة المجادِلة، الآية: ٢٢.

(٢) سورة المجادِلة، الآية: ٢٢.

العبادة ولزوم الإخلاص فيها

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١) ومعنى يعبدون: يوحدون، وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو: إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو: دعوة غيره معه، والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾(٢).

[الشرح]

أشار المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن العبادة الحقّة لا بد أن تكون حنيفيةً بمعنى: أن تكون مائلة إلى الحق على ملة إبراهيم، لأن إبراهيم دعا الأمة إلى الحنيفية السمحة وهي: الطريقة الشرعية التي يرضاها الله سبحانه وتعالى.

هذه الطريقة هي: أن تكون العبادة خالصة لله سبحانه وتعالى، فالعباد ما خُلِقوا إلا لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

ومعنى يعبدون: يوحدون.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة هكذا عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله.

اسم جامع: قد يكون قولاً كأذكار الصباح والمساء، هذه عبادة، وقد يكون فعلاً كالصلوات والحج والزكاة و ما أشبه ذلك.

وقد يكون باطناً كأن يعتقد الإنسان أن الله خلقه ورزقه، فهذه عبادة صحيحة، فإذا اعتقد خلاف ذلك فعبادة باطلة؛ فهي باطنة وباطلة.

والعبادة أيضاً قد تكون ظاهرة ومثالها: أن يصلي الإنسان في ظاهر الوقت الصلوات الخمس، وأن يذكر الله سبحانه وتعالى بشيءٍ يَظْهَرُ للخلق واضحاً جليّاً بإخلاص من غير رياء، وعلى ذلك فأعظم ما أمر الله سبحانه وتعالى هو: التوحيد وهو أن نفرد الله سبحانه وتعالى بالعبادة بجميع أنواعها الظاهرة والباطنة.

وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو: أن تجعل لله سبحانه وتعالى ندّاً، فتدعو غير الله، والله عَزَّوَجَلَّ يقول لك ولجميع الخلق: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[1]، وعلى ذلك فيلزم توحيد الله بمعنى أن نفرد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة.

وينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد الربوبية؛ وهو الاعتراف بأن الله هو المدبّر والرازق وهو الخالق ونحوها من معاني الربوبية.

الثاني: توحيد الألوهية: ويسمى توحيد العبادة، وتوحيد الطاعة، وهو أن نعبد الله وحده كما شرع في الكتاب والسنة.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات: بأن نثبت لله ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، من غير تعطيلٍ ولا تحريفٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيل ولا تشبيه.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

ولك أن تقسّم التوحيد إلى قسمين فتقول: التوحيد توحيد معرفة، وهذا خاص بالربوبية، والأسماء والصفات. بمعنى: عليك أن تعرف ربّك، وعليك أن توحّد ربّك بإثبات الأسماء والصفات.

وتوحيد قصد: وهو ما طلبه وقصده الشرع منك، وهذا هو توحيد الألوهية، ويلزم في توحيد الألوهية: المتابعة للنبي ﷺ وعلى ذلك فليس بصحيح أن يقال أن هناك توحيداً رابعاً، وهو: توحيد المتابعة؛ لأن المتابعة تدخل دخولاً أولياً في توحيد الألوهية؛ لأنه لا طاعة ولا عبادة إلا بمتابعة النبي ﷺ.

ثم طرح المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ سؤالاً على عامة الأمة مَا إذا سُئِلُوا عن الأصول التي يلزم معرفتها؛ فذكر هذه الأصول، وقال بأنّها: معرفة العبد ربّه ودينه ونبيّه محمدٍ ﷺ.

وقد أشرنا إلى توضيح هذا توضيحاً بيّناً في درسنا السابق، وسيعيد المؤلف الكلام عليها واحداً واحداً، ليتوسع في توضيحها، جامعاً بين الإجمال والتفصيل.

الأصل الأول

معرفة الرب عز وجل

قال رحمه الله: في الأصل الأول: وهو معرفة الرب، **(فإذا قيل لك): ما الأصول الثلاثة التي يجب على الانسان معرفتها؟ فقل معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً عليه الصلاة والسلام فإذا قيل لك مَنْ ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه.**

[الشرح]

إذا قيل لك: مَنْ ربك؟ فقل: ربي الله الذي ربَّاني وربى جميع العالمين.

الله عز وجل هو الذي ربى الخلق، بمعنى: أنه هو الذي يتولاهم بالنعم.

فإن الطعام والشراب، والهواء ونحوها من الأشياء تعتبر مِنَ النِّعم التي إذا قطعها عن الآدميين انقطعت عنهم الحياة.

فهو المدبر لهذه النعم من أجل بقاء هذه الخليقة على وجه الأرض.

وكذلك هذه المصنوعات من الملبوسات والسيارات والطائرات ونحوها، كلها مِنْ نِعَمِ الله سبحانه وتعالى؛ لأنه خلق الآدميين وجعل لهم عقولاً يفكرون بها، حتى أوجدوا هذه المصنوعات، فهي من صنع الله، وهي من أمر الله، وما أوجد هذه الأشياء إلا مِنْ أجل الآدميين؛ لأن الله عز وجل خلق الخلق من أجل حكمة وهي العبادة، فحتى تتوفر هذه العبادة أوجد لهم نِعَماً

تساعدهم وتخدمهم لإرساء هذه النعم التي قال عنها في كتابه الكريم: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾(١).

فإن شكر الله العبد فإنها تزيد، وإن عصى ربه، فإنها تزول، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾(٢).

فالله هو المعبود الذي يستحق العبادة وحده فإذا صُرِفت العبادة لغير الله فإن هذا العبد لم يقدِّر هذه النعم ولم يقدر هذا الفضل الذي مَنَّ الله سبحانه وتعالى عليه ليعبده وحده.

ومن المعلوم عقلاً: لو أن رجلاً أحسن إليك لكان هذا الإحسان في قلبك ولفكرت في رد هذا الجميل، فما بالك بالله سبحانه وتعالى الذي أحسن خلقك، وأحسن إليك بالنعم والفضائل، وطلب منك شيئاً واحداً وهو أن تعبده وحده لا شريك له.

فعنوان شكر النعم: العبادة الخالصة لله وحده.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٨.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

الدليل على معرفة الرب سبحانه وتعالى

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وكل من سوى الله عالَم، وأنا واحد من ذلك العالم.

[الشرح]

الدليل على أن الرب هو الذي ربَّى الأمة وربى العالمين هو قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ونحوها من الآيات.

والمقصود بالعَالَم: المحتوى الخارجي الذي يشمل الجن والإنس، فمن الذي يرزق الجان؟

الجواب: الله.

ومن الذي يرزق الطير والحيوان والحشرات؟ إنه الله سبحانه وتعالى، وما من شيء من هذه الكائنات إلا وخُلِقَ لخدمة هذا الإنسان.

فالله سبحانه وتعالى أوجد هذه الكائنات: الحيوانات، الطيور، الزروع، الثمار، الهواء: تكريماً للآدميين حتى يعرفوا هذه النعمة، ويعبدوا الله وحده.

قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[١].

---

(١) سورة الزُّمَر، الآية: ٧٥.

فلزم هذا العبد الذي كُرِّمَ على كافة هذه الأشياء أن يعترف بهذا الرب ويعبده فهو الذي رباه، وأوجد له هذا الخير، وأنت تعتبر واحداً من هذا العالم، وكل من سوى الله لا يستحق العبادة، وإنما الذي يستحق العبادة هو الهٌ واحدٌ جَلَّ ذِكْرُه لا إله غيره.

بماذا عرفنا الرب عَزَّوَجَلَّ ؟

فإذا قيل لك: بِمَ عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته.

[الشرح]

بم عرفت ربك؟

هذا السؤال يوجه إلى كل مخلوق، وخاصةً إلى الملحد، الذي لا يعترف لا بكتاب الله ولا بسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

بل أقول: العاقل الذي لم يبلغه هذا الدين عليه أن يفكر في هذه المخلوقات هل هي مما أوجده العقل، أو مما أوجدته الطبيعة، أم أن هناك مدبراً أوجد هذه الأشياء لِحِكَمٍ معينة.

هذه الآيات وهي العلامات كالشمس، والقمر، والليل، والنهار، والإنسان، والحيوان، والطير، والحشرات المختلفة،هذه الأشياء ونحوها علامات ودلالات على وجود مدبر وخالق يدبر هذا الكون

ولذلك قيل لأعرابي: بم عرفت ربك؟

فقال: **البعرة تدل على البعير** - البعرة لو كانت في الطريق تدل على وجود بعير كان ماشٍ في هذا الطريق - **والأثر يدل على المسير، ليل داج ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، أفلا تدل على الصانع الخبير؟**

أنظر إلى هذا الأعرابي الذي يعيش في البادية كيف استطاع أن يبين أن

الإنسان يستطيع أن يعرف ربه بالتأمل والنظر إلى هذه المخلوقات التي تعيش حوله.

فأقول: هذه تعيش، وتلك تموت وأخرى تلد، وهكذا هذه تمرض وهذه تشفى، وهذا يعالج هذه وتلك تخدم تلك، وهكذا.. فهذا كله يدل على أن هناك من يدير هذا الكون، وهو الله سبحانه وتعالى.

ولذا قال ابن المعتز:

وفـــي كـــلِّ شـــيءٍ لـــه آيـــةٌ تَـــدُلُّ عـــلـــى أَنَّـــهُ الـــواحـــدُ

ما من شيء إلا ويدل على وجود الله سبحانه وتعالى، ولهذا فالملاحدة الذين لم يدخلوا الاسلام، لو أنهم مثلاً فكروا في البصر - في هذه العدسة التي في المخلوق كيف للشخص أن ينظر بها، وكيف استحقت أن تكون في هذا الموضع، وكيف كانت لها القدرة مع صغر حجمها أن ترى أشياء كثيرة؟

وكيف يتفاوت البَصَرُ من شخصٍ لآخر؟ وكيف يكون هذا مولوداً فيكون بصره ما زال صغيراً ثم يَعْظُمُ كُلَّمَا كَبُرَ، فلو فكر هذا الملحد، وتأمل لبحث عن ما يثبت أن هناك ديناً لا بُدَّ للأمة أن ترجع إليه، وهو دين الإسلام، لكن لما كان الملحد في غفلةٍ وشُغِلَ بالطبيعيات والمدنيات، وشغل باللهو وشغل بالعصر الحديث والتكنولوجيا الحديثة، شُغِل تماماً عن ربه سبحانه.

ولذا فقد طمست بصيرته عن معرفة الله.

إذاً: إذا قيل لك: بِمَ عرفت ربك؟

فقل: بآياته ومخلوقاته. وبالله التوفيق.

البراهين الدالة على معرفة الرب عَزَّوَجَلَّ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾(٢).

[الشرح]

آيات الله التي تدل على معرفة الرب عَزَّوَجَلَّ كثيرة لا تحصى، وقد ذكر المصنف من هذه الآيات: الليل والنهار والشمس والقمر، وذكر السبع السماوات والأرضين السبع - واستدل بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة فُصّلَت، الآية: ٣٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٧.

وهذه العلامات أوجدها الله سبحانه وتعالى لمصلحة هذا العبد، كي يقوم بفرضية العبادة، الشمس للإضاءة، والقمر والنجوم للاهتداء، وفوائد أخرى لهذه الآيات لا يمكن حصرها، وما سُخِّرت هذه إلا للمخلوق

عسى أن يقوم بالعبادة التي افترضها الله سبحانه وتعالى مع أن الله غني عن عبادة عبده له كما قال شأنه: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(١).

واستدلَّ أيضاً بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾(٢).

قال: في ستة أيام.

سبحان الله ما أضعفنا!!

نحن إذا أردنا أن نبني غرفة من طابوق وأتينا بعاملين أو بأكثر وقام هؤلاء العمال ببناء هذه الغرفة لاستمر البناء لمدة يومين أو ثلاثة أو أربعة، بل وربما لمدة عشرين يوماً لأنهم يضعون الأساس، وهذه غرفة يسيرة، فما بالك بسبع سماوات و بسبع أرضين، وفيها البحار وفيها اليابسة، وفي كل سماء ملائكة، وفي الأرض حيوانات وجان وفيها جبال وإنس وطيور وحشرات وغيرها من المخلوقات المختلفة، هذه الأشياء كلها نحوها وغيرها في ستة أيام، مع أن الله سبحانه وتعالى له القدرة الكاملة في أن يبني هذه السماوات وهذه الأرضين في أقل من ثواني، ولكن ليربي الأمة على أن هذا الكون لا يعمر إلا بصبر وجهد ولا يعمر إلا بفطرة، وحتى يعلم الجميع أن الله سبحانه وتعالى هو الغني وهو يملك كل شيء، وبقدرته يفعل ما يشاء.

وأيضاً أنه سبحانه وتعالى لما أوجد هذه الأشياء جعل منها القمر وجعل أيضاً النجوم وهذه كلها مسخرات بأمره.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧.
(٢) سورة يونس، الآية: ٣.

الشمس بأمره، ومن أمره، وكذلك القمر والليل، والنهار، وكذلك النجوم، فله سبحانه وتعالى الخلق وهو الإيجاد، وله سبحانه وتعالى الأمر، وأمره هو قوله للشيء كن فيكون، لا إله إلا الله، إذا أمر جبريل أن يطبق على الأرض لأطبق، ولو أمر الله سبحانه وتعالى شيئاً كن مخلوقاً لكان مخلوقاً.

لمَّا أمر الله سبحانه وتعالى الملك أن ينفخ في رحم مريم، نفخ، فكان عيسى.

الله سبحانه وتعالى له الخلق، يخلق ما يشاء وهو التوالد وغيره، أن يتولد هذا من ذاك، أو أن يُوجِد الشيء من عدم، وكذلك له الأمر إذا أمر بشيء نُفِّذ أمره، وإذا قال لشيء كن كان كما أراد ذلكم الله رب العالمين الذي ربى هذه المخلوقات فتبارك وتعاظم، وتعالى سبحانه.

والحاصل: أن كل هذه المخلوقات براهين تدلنا على معرفة الخالق سبحانه، وهذا ما قصده المؤلف رحمه الله.

تعريف الرب، والدليل عليه

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والرب هو المعبود، والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾(١).

[الشرح]

الرب كما سبق وقلنا: بأنه المربي والمدبر، الذي يدبِّر شأن الخليقة، وهنا المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: الرب هو: المعبود، ولا إشكال في ذلك، فالذي يدبر هو الرب، وهذا المدبر، هل معبود أم ليس بمعبود؟

الجواب: معبود؛ لأنه هو الذي يستحق العبادة وحده.

ولهذا يقال للرجل في قبره كما في حديث البراء في الصحيحين: «من ربك؟ فيقول: ربي الله»(٢).

هل قصد من المدبر، أم قصد من المطاع ومن المعبود؟

---

(١) سورة البَقَرَة، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٢) متفق عليه من حديث البراء بن عازب، رواه البخاري في الجنائز برقم: [١٣٦٩] ومسلم في كتاب الجنة ونعيمها برقم: [٧١٤٨، ٧١٤٩].

قصد المطاع والمعبود والمدبر، فربنا هو المعبود سبحانه وتعالى، بمعنى: هو الذي يستحق العبادة.

والعبادة كما قلنا: اسم جامع لكل ما يحبه ربنا ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فأي شيء من التشريع العملي فهو عبادة.

والذي يستحق ذلك هو الله الرب المعبود سبحان وتعالى.

لأنه القائل جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾، اعبدوا ربكم فالعبادة لمن؟

الجواب: للرب.

من هو الرب؟

يجيب ربنا بقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾[1] أي: أوجدكم، ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[2] وخلق مَنْ قَبْلَنا سبحانه.

وأيضاً خلق الذين من قبلنا وأوجدهم على هذه الأرض المعمورة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3] أي: لعلكم إن عبدتم الله سبحانه وتعالى، تصلون إلى درجة المتقي وهو الذي عبد الله كما أمر سبحانه وجعل بينه وبين معصيته حاجزاً من الطاعات يقيه من معصية الله، ومن يصل إلى درجة المتقي فإنه ينال الجنة، ومن نال الجنة فقد نال خيراً كثيراً، وربكم هو الذي جعل لكم الأرض فراشاً مبسوطة، وثبتها بهذه الجبال من أجل الاتزان حتى لا تضطرب الأرض، كما قال في كتابه الكريم: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[4] أي لها جذور تمسك هذه الأرض من الانزلاق ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾[5] كالسقف المبني، كما قال في آية أخرى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ

(١) سورة النساء، الآية: ١.
(٢) سورة البَقَرَة، الآية: ٢١.
(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٢١ - ٢٢.
(٤) سورة النبأ، الآية: ٧.
(٥) سورة البقرة جزء من، الآية: ٢٢.

بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾(١).

لماذا؟

الجواب: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

الإنسان يفكر في هذه الأشياء، يفكر في هذه الأرض، كيف وجدت، ويفكر في هذه السماء التي بناها الله سبحانه وتعالى من غير أعمدة، أنت إذا أردت أن تبني سقفاً كسقف هذا المسجد؛ فإنك تحتاج إلى أعمدة.

والله سبحانه عندما ينى هذه السموات كلها جعلها بدون أعمده كما قال جل في علاه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾(٢).

فهذا هو ربنا المعبود القادر على كل شيء.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٧-٤٩.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٠.

فصل

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة».

[الشرح]

الله سبحانه وتعالى بنى السماء بغير عمد، هذا إن دل فإنما يدل على قدرته العظمى سبحانه وتعالى، وأيضاً أنزل من السماء ماءً وهو: المطر، وماء الأرض أصله من ماء السماء، وإلا فالأرض ليس فيها ماء، لكن لما أمطرت السماء غَذَّتِ الأرض فتغذت هذه الأرض فخرج منها الينابيع، وخرجت منها العيون وحُفِرَت الآبار، فَوجَدَ فيها الماء، ولذلك لو انقطع الماء الذي من السماء لانقطع الماء الذي في الأرض؛ لأن هذه الأرض مخلوقة، والذي يمدها بنعمة الماء هو الله سبحانه وتعالى، فإذا غضب الرب على الخلق، وأمسك هذا الماء فإنهم مهما حفروا فلن يجدوا ماءً، لهذا كلما نزل المطر كلما ازدادت المياه الجوفية في الأرض.

فمن هو الذي أنزلها؟

إنه الله سبحانه وتعالى، وجعل مع هذه النعمة أنه هو الذي أخرج الثمرات.

فأنت تزرع، والأرض تنبت.

هل هي الأرض التي أنعمت عليك بالنبات؟

الجواب: لا.

هل هو الماء؟

الجواب: لا، بل الله هو المنعم الرازق سبحانه دونما سواه.

لأن الأرض أصلاً ما ظهر منها هذا النبات إلا بوجود هذا الماء، هذا الماء من عند الله وحده.

فالله سبحانه وتعالى هو المدبر لهذه الكائنات بجميع ما فيها وهذه الثمرات إنما هي رزق الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾(١).

إذن فهذه النعم إذا كانت من واحد وهو: الرب المعبود فيلزمك شرعاً أن تفرد هذه العبادة لله سبحانه وتعالى، ولذلك نهاك عن الشرك فقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢) أي: وأنتم تعلمون أن هذه الفضائل وهذا الرزق وهذا الخير إنما هو من الواحد المنعم المعبود لا شريك له.

فلماذا احتجت إلى واسطة من أجل هذا الواحد؟

إذا احتجت إلى واسطة إلى صنم أو إلى وثن أو إلى قبر فإنك قد أتيت بعبادة المشركين.

فالمشركون يعترفون بالرب ويؤمنون بالله لكنهم أشركوا معه غيره.

فأوقعهم هذا الشرك في جهنم خالدين؟

ولذا قالوا عن أصنامهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾(٣).

إذن هم يؤمنون بالله، ولكن جعلوا بينهم وبين الله هذه الوسائط.

فهذه الوسائط من الشرك الأكبر بهذه العبادة.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣.

والوسائط هذه هي الأصنام المصنوعة من الشجر والحجر وغيره وهي أشياء والخالق له هو الله المستحق للعبادة.

ولذا قال ابن كثير كما نقل عنه شيخ الإسلام النجدي - عليه رحمة الله: **«الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة»**.

إذن لا بد أن تكون العبادة له سبحانه وتعالى.

ثم العبادة أنواعٌ كثيرةٌ سيأتي ذكرها من خلال ما ذكر المصنف - عليه رحمة الله - ثم نُعَقِّبُ عليها بالشرح، وبالله التوفيق.

تعداد لبعض أنواع العبادة، وأنها تصرف لله، وبيان حكم من صرفها لغير الله تعالى

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان، ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها، كلها لله تعالى: والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾(١).

[الشرح]

أنواع العبادة كثيرة، ولم يقم أحد بحصرها كاملة فيما نعلم، لماذا؟ لكثرتها.

وقد ذكر شيخ الإسلام النجدي هنا شيئاً مما هو مشهور من أنواع العبادات وإلا فهي كثيرة.

فالإسلام عبادة؛ لأنك تستسلم لشرع الله سبحانه وتعالى؛ لأن الإسلام هو الاستسلام لما أمر الله سبحانه وتعالى والانتهاء عن ما نهى عنه وهذا من العبادة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(٢).

(١) سورة الآية، الجن: ١٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(١)، فالإسلام بهذا المفهوم العام أم العبادات.

والإيمان عبادة، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وكذلك الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذه المراتب وهذه المنازل كلها من العبادة وأعلاها الإحسان، ولذلك من الإحسان أنك إذا ذبحت الذِّبحة ذبحت بإحسان، وإذا قتلت القتلة قتلت بإحسان، وهذا عبادة.

أخرج مسلم في صحيحه عن شداد بن أوس أن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**»(٢).

هذا كله من العبادات التي أمر الله سبحانه وتعالى، ومنها على سبيل الذكر مما صرفه كثير من الناس لغير الله ما ذكره علامة الجزيرة النجدي رحمه الله كالدعاء والخوف والرجاء، والتوكل والرغبة والرهبة والخشية والإنابة وما إلى ذلك مما ذكر عليه رحمة الله.

فهذه كلها لا بد أن تصرف لله وحده، وقد استدل المؤلف على أن هذه الأنواع تصرف لله وحده بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾(٣).

ووجه الدلالة في الآية: أن كثيراً من الناس كانوا يأتون المساجد فيصلون ويصرفون فيها عبادات لغير الله كالدعاء والخوف والرجاء، والتوكل والرغبة والرهبة والخشية والإنابة والنذر ونحوها من العبادات مع أن الله قال لهم: وأن المساجد لعبادة الله وحده، فلا تعبدوا فيها غيره، وأخلصوا له الدعاء

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٢) رواه مسلم برقم: [١٩٥٥].
(٣) سورة الجن، الآية: ١٨.

والعبادة فيها؛ فإن المساجد لم تُبْنَ إلا ليُعبَدَ اللهُ وحده، دون من سواه، وفي هذا وجوب تنزيه المساجد من كل ما يشوب الإخلاص لله، ومتابعة رسوله محمد ﷺ.

فمن ذبح لغير الله فقد أشرك مع الله وعبد مع الله مخلوقاً من مخلوقات الله، ومن نذر لغير الله فقد أشرك في عبادته، وكذلك أيضاً من صلى لفلان وعلان، ومن سجد لغير الله فقد صرف هذه العبادات لمخلوق هو من مخلوقات الله، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[1].

(١) سور الأنعام، الآية: ١٦٢.

حكم من صرف شيئاً من العبادات لغير الله

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾(١) وفي الحديث «الدعاء مخ العبادة» والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٢).

[الشرح]

اللازم الشرعي أنْ يُخْلِصَ الرجل العبادة لله؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(٣).

ومن لم يخلص في عبادته فقد أشرك شركاً أكبر يخرج من الملة أو أصغر كالرياء لا يخرج من الملة، إذ الشرك درجات كما أن الإخلاص منازل.

وهنا يقول المصنف: مَنْ صرف شيئاً من هذه الأشياء لغير الله فهو مشرك كافر، لأن الصرف بها لغير من يستحقها جحد له.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.
(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.
(٣) سورة البينة، الآية: ٥.

فإذا استغثت بغير الله سبحانه وتعالى من الأموات أو من الجان وظننت أن هذا ينفع ويضر من دون الله فهذا كفر يخرج من الملة.

يخرج الإنسان من نعمة الإسلام إلى غضب الرحيم المنان؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾(١) هذه الآية نزلت لتبين أن من دعا غير الله واعتقد أنه يضر وأنه ينفع من دون الله سبحانه وتعالى فقد حبط عمله، والله عز وجل يقول لنبيه ﷺ وحاشا للنبي أن يقع في ذلك: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾(٢).

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(٣).

ولا يقبل الله عز وجل التوبة من أي شخص حتى يترك الشرك إن كان يشرك مع الله غيره.

ثم استدل المؤلف على أن الدعاء عبادة بحديث: «الدعاء مخ العبادة»(٤) أي: أن الدعاء هو عين العبادة، وهو أصل العبادة إلا أن هذا الحديث ضعيف لا يثبت عن النبي ﷺ، وقد تكلمنا عليه وعن علله في غير هذا المجلس.

ومن الأدلة أيضاً قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٥).

إذن الذي يستجيب هو الله، أمَّا هذا المخلوق الميت فما ينفعك، كما قال جلَّ شأنه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾(٦).

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٥.
(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٤) ضعيف الجامع للألباني برقم: [٣٠٠٣]، وقد صح بلفظ: «هو العبادة».
(٥) سورة غافر، الآية: ٦٠.
(٦) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

فكيف يمكن لهذا الميت أن ينفعك أوأن يضرك؟ أوأن يقربك إلى الله سبحانه وتعالى زلفى؟

إن النافع والضار هو القائل ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(١).

لم يقل ادع الزيلعي أو البدوي أو ابن علوان أو الطيري أو السيدة زينب أو الجيلاني أو فلاناً من الأولياء أو المشعوذين أو السحرة وإنما قال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي هو وحده الذي يستجيب وإلا كنت أيها المخلوق مستكبراً لأن ربك يقول لك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

إذن نفهم من هذه الآية أن من دعا غير الله مستكبر إما عمداً أو جهلاً وأحلاهما مر.

من هو الذي يستكبر عن عبادة الله؟

من هو الذي يدعو غير الله؟

من هو الذي يستغيث بغير الله؟

هو الذي يظن ويعتقد أنه لو دعا عبداً مخلوقاً لنفعه من دون الله سبحانه وتعالى، هؤلاء سيدخلون جهنم، لأنهم خرجوا عن ملة الإسلام وخالفوا شريعة الرحمن التي جاء بها محمد ﷺ إلا أن يتوبوا.

وسيذكر المصنف رحمه الله أيضاً أنواعاً عدة من العبادة، ويذكر أدلتها على ما ورد في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

وهذا دأبه وطريقته «كتاب وسنة ليس غير».

نشهد الله على حبه وحب من يحبه فقد نفع الله به جزيرة العرب وكثيراً من بلاد المسلمين، اللهم احشرنا ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾(٢). والله المستعان.

---

(١) سورة غَافر، الآية: ٦٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

الأدلة على أنواع العبادة السابقة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

[الشرح]

الخوف من العبادات التي قام عليها الدليل في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

والخوف خوفان:

١ - خوف جائز.

٢ - وخوف محرم.

فالخوف الجائز هو: الخوف الجِبلِّي، الذي يكون في الشخص فيخاف خشية الضرر، الذي ليس فيه اعتقاد أن هذا المُخيف يضر أو ينفع من دون الله.

ومثال هذا الخوف ما حصل لموسى كما في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾(٢).

فهذا يحصل للرجل، لأنه قد يخاف من العدوِّ، لكن هذا الخوف ليس

---

(١) سورة آل عِمرَان، الآية: ١٧٥.

(٢) سورة طه، الآية: ٦٧.

مبنياً على أن هذا العدو ينفع أو يضر من دون الله، وإنما خشية وقوع ضرر، فهذا جائز والإنسان مجبول عليه، فالابن يخاف من أبيه والرجل يخاف من بطش الأمير، وفلان يخاف من فلان، فهذا خوف جبلي لا مفر منه.

وأما الخوف المحرم: فالخوف من المخلوق مع اعتقاد النفع والضرر من دون الله.

فيأتي الرجل والعياذ بالله ويذبح لهذا المخلوق خوفاً أن يضره، وتأتي المرأة إلى هذا القبر وتذبح لهذا الميت خشية أن يغضب عليها أو أن ينفعها، هذا من المحرم الذي حرمه الشرع، والذي نزل فيه التحريم، في مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

فمن خالف من الولي الفلاني من دون الله فهو ولي للشيطان كما قال تعالى في الشطر الأول من الآية السابقة ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢).

ومعنى الآية: فلا تخافوهم لأنّهم ضعاف ولا قوة لهم ولا نفع بيدهم ولا ضر، وخافوني بالإقبال على طاعتي وتوحيدي إن كنتم مصدِّقين بي، ومتبعين رسولي.

فالإنسان الموحد لا يخاف إلا الله، وفي حديث خباب بن الأرت الذي في البخاري، قال ﷺ: **«كان فيمن كان قبلكم يؤتى بالرجل فيحفر له حفرة، فيوضع فيها، ثم يؤتى بالمنشار ويُشق نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه ولحمه، ما يصده ذلك عن الله، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، والذئب على غنمه لا يخاف إلا الله»**(٣).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.
(٢) سورة آل عِمرَان، الآية: ١٧٥.
(٣) سبق تخريجه.

وعلى ذلك فإن الخوف إذا كان مبنياً على أن هذا المخلوق ينفع ويضر من دون الله فهذا هو الشرك الذي لا يجوز وإذا كان جبلياً فلا يعد من الشرك. وبالله التوفيق.

أدلة الرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(١).

ودليل التوكل قوله تعالى ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢).

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(٣).

ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾(٤).

[الشرح]

الرجاء من العبادات التي قام عليها الدليل في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

والرجاء نوعان:

١ - رجاء جائز.

٢ - ورجاء محرم.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الطلاق، الآية: : ٣.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: : ٩٠.

فالرجاء الجائز: أن ترجو من الغير منفعة هي تحت قدرة العبد كطلب العون في بناء منزل أو قرضة مال أو دعاء لك في ظهر الغيب ونحوها مما هو تحت قدرة المخلوق.

وهذا النوع من الأمور المتفق على جوازها في الشرائع كلها.

والنوع الآخر وهو المحرم: أن ترجو من الغير منفعة ليست تحت قدرته كأن ترجوه في رفع الضر عنك أو أن يغيثك بإنزال المطر أو أن يلطف الجو بالهواء البارد أو يؤخر طلوع الفجر ونحوها مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى.

فإذا اعتقد الشخص في النوعين أن النفع والضر منوطان فيمن رجاه من دون الله فقد كفر بالله وخرج عن دائرة الإسلام.

وإذا اعتقد أن النافع والضار هو الله وحده ورجا المخلوق شيئاً هو تحت قدرته فليس ذلك محرم البته.

إذن فهذه الأشياء يغلب عليها أنْ ترجع إلى الاعتقاد، فإذا رجوت من شخص أن ينفعك المنفعة المباحة مما هو تحت قدرته فلا مانع من ذلك، لكن إذا كان بنية أنه هو الذي ينفع ويضر من دون الله فهذا شرك أكبر.

أما التوكل فلا يجوز لك إذا كنت محتاجاً أن تتوكل على فلان، وتقول في نفسك لا ينفعني إلا فلان.

هذا لا يجوز.

الذي ينفع هو الله سبحانه وتعالى، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً**»(١).

---

(١) أخرجه أحمد برقم: [٢٠٥] والترمذي برقم [٢٣٤٤] والحاكم [٤ / ٣١٨].

وعليه يتنزل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾(١).

وكذلك الرغبة والرهبة والخشوع.

● الرهبة: وجود الخوف القلبي الذي يدفع الشخص إلى زيادة التضرع والمناجاة.

● والرغبة: الإنابة إلى الشيء.

● والخشوع: التذلل له.

ولا تكون هذه الأمور إلا لله سبحانه وتعالى؛ لأن هذه هي دعوة الأنبياء وهي طريقة الرسل أجمعين، ولهذا امتدحهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾: أي يرغبون فيما عندنا من الجنة، ﴿وَرَهَبًا ۖ﴾ أي: يخافون من عذاب الله، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾(٢) أي: متذللين متواضعين.

---

(١) سور الطلاق، الآية: ٣.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

الخشية والإنابة

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ودليل الخشية قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾(١).

ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾(٢).

[الشرح]

الخشية بمعنى: الخوف.

وقد سبق بيان أنواع الخوف.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾(٣).

أي لا تخف إلا من الله سبحانه وتعالى فهو النافع وهو الضار.

والإنابة: بمعنى الرجوع والتوبة إلى الله كما قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾(٤).

فهو الذي يرجع إليه العباد بالتوبة والإنابة، وما دونه من المخلوقات فلا يجوز الإنابة إليه بطلب الرضا والمغفرة، إلا إذا كان من باب نفعٍ أو دفعِ ضر هو تحت مقدور العبد فلا بأس.

(١) سورة البَقَرَة، الآية: ١٥٠.
(٢) سورة الزُّمَر، الآية: ٥٤.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٤.

وإلا فلا يجوز فهذا نبينا ﷺ يقول لعبد الله بن عباس كما في جامع الترمذي بإسناد حسن، قال: «**ولو اجتمعت الأمة على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشي قد كتبه الله عليك**».

وقال: «**ولئن اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك**»[١].

ارجعوا إلى ربكم بالطاعة والتوبة، واخضعوا له من قبل أن يقع بكم عقابه، ثم لا ينصركم أحد من دون الله فإنه وحده النافع والضار. والله المستعان.

(١) رواه الترمذي عن ابن عباس برقم: [٢٥١٦].

الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] وفي الحديث: «إذا استعنت فاستعن بالله»، ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[2]، ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[3].

[الشرح]

وكذلك الاستعانة لا يجوز لك أن تستعين بأي شخص معتقداً أنه ينفع ويضر من دون الله، بل عليك أن تستعين بالله وحده.

والاستعانة ثنتان:

١ - استعانة جائزة.

٢ - واستعانة محرمة.

إذا استعنت بالمخلوق لجلب مصلحة أودرء مفسدة، معتقداً أنه مخلوق مثلك لا ينفع ولا يضر إلا بأمر الله فهذا جائز، وإذا استعنت بمخلوق معتقداً أنه يضر وينفع من دون الله، فهذا كفر والعياذ بالله.

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٢) سورة النَّاس، الآية: ١

(٣) سورة الأنفَال، الآية: ٩.

ولذلك فقول الله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ معناه نخصك وحدك بالعبادة، ونستعين بك وحدك في جميع أمورنا، فالأمر كله بيدك، لا يملك منه أحد مثقال ذرة.

وفي هذه الآية دليل على أن العبد لا يجوز له أن يصرف شيئًا من أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة والذبح والطواف إلا لله وحده، وفيها شفاء القلوب من داء التعلق بغير الله، ومن أمراض الرياء والعجب، والكبرياء.

وكذلك أيضاً حديث عبد الله بن عباس: «**إذا استعنت فاستعن بالله**»(١).

فهو سبحانه وتعالى المستعان لا شريك له.

وكذلك أيضاً الاستعاذة، لا تقل: أعوذ بفلان من فلان؛ لأن معناه استعنت بفلان على فلان، ولكن قل: أعوذ بالله من فلان،أو قل أعوذ بالله من شر فلان؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يرفع ذلك الغضب وذلك المقت، وهو الذي يتولى عباده الصالحين ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾(٢).

استعانة واستعاذة، استعاذةٌ بالله من شرور الخلق، واستعانة بالله وحده لحصول نفع أو دفع ضر.

وعلى ذلك فينبغي للمسلم أن يتقيد بمثل هذه النصوص.

فمثلاً إذا أردت أن تستغيث وكنت في بحر وقد خشيت الغرق فلا تقل: يا فلان معتقداً أنه النافع والضار، ولكن عليك أن تستغيث بالله وحده،

فإن يونس بن متّى لما غرق في البحر قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣).

فهنا استغاث بمن؟

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سورة الناس، الآية: ١.
(٣) سورة الأنبياء: الآية: ٨٧.

الجواب: استغاث بالله، ومع ذلك نجاه الله سبحانه وتعالى، وصار آية للناس، فإذا غرقت، وقلت: يا فلان أو يا فلانة أو يا مَلَك أو يا جِني أو ونحوها فإنها خاتمة سيئة قد تموت عليها.

والنبي ﷺ يقول كما في الصحيحين، من حديث أبي هريرة: «**إنما العبرة بالخواتيم**»(١).

ولا مانع أن تقول من باب الأخذ بالأسباب: انقذوني أو خذوا بيدي أو يا فلان بنية الأخذ بالأسباب معتقداً أن المنادى مخلوق مثلك وأن النافع والضار هو الله وحده.

وليس من الأخذ بالأسباب أن تنادي ميتاً أو ملكاً أو جنياً فهو محرم لأنه شرك.

هذا توضيح وبيان حتى لا يختلط الحابل بالنابل للتفريق بين الجائز والمحرم.

فإن من استغاث بغير الله معتقداً أنه ينفع ويضر من دون الله فقد كفر، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾(٢).

ولهذا الصحابة استغاثوا بربهم يوم بدر، فأغاثهم الله بالملائكة وأيدهم بجند من عنده، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا.

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري برقم: [] ومسلم برقم: [].
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٩.

الذبح والنذر

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾(١).

ومن السنة: «لعن الله من ذبح لغير الله». ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾(٢).

[الشرح]

وكذلك الذبح لا تذبح لفلان، ولا تضيف فلاناً بنية أنه ينفع و يضر من دون الله، ولكن لا بأس إذا ذبحت له من باب الضيافة، أو من باب الكرم.

أما إذا ذبحت له من باب الاعتقاد أنه ينفع وأنه يضر من دون الله، فذا كفر، يُخرج الرجل من ملة الإسلام إلى ملة الكفر.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾ وهي: الصلاة التي يصليها الشخص، وكذلك الدعاء من الصلاة، ﴿وَنُسُكِي﴾ وهو: الذبح ﴿وَمَحْيَايَ﴾ وهو: ما يعمله الإنسان وهو حي، ﴿وَمَمَاتِي﴾ وهو: الموت وما يحصل في القبر وما بعده ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: خالصاً لله وحده فهو الخالق المدبر المنعم المتفضل المعبود

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢-١٦٣.
(٢) سورة الإنسان، الآية: ٧.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ أي لا يشاركه في ذلك أحد ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ هذا هو كلام الموحدين، وهذه هي دعوة الرسل إلى دين الإسلام.

في صحيح مسلم من حديث علي «لعن الله من ذبح لغير الله»[(١)].

بمعنى: أن من ذبح لغير الله فإنه مطرود من رحمته سبحانه، لأنه جعل الذبح لمن لا يستحقه، فلا يكون الذبح إلا لله سبحانه وتعالى.

وكذلك النذر، لا بد أن يجعل الشخص نذره لله، وإذا نذر فعليه أن يخصصه في الطاعة؛ لأن النبي ﷺ يقول كما في الحديث الصحيح: **«من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»**[(٢)] ولا بد من الوفاء بالنذر؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ جعل من صفات المؤمنين الوفاء بالنذر فقال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[(٣)].

والله المستعان.

---

(١) رواه مسلم في الأضاحي عن علي برقم: [٥٠٩٧].
(٢) رواه البخاري في الأيمان عن عائشة برقم: [٦٦٩٦].
(٣) سورة الإنسان، الآية: ٧.

الأصل الثاني
معرفة دين الإسلام

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأصل الثاني معرفة دين الإسلام بالأدلة.

[الشرح]

هذا هو الأصل الثاني وهو معرفة دين الإسلام.

والدين يَرد بمعنى الجزاء، ومنه يقال: «كما تدين تدان»(١).

وأيضاً بمعنى: اليوم الآخر، ومنه قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾(٢) بمعنى: يوم القيامة.

ويَرِدُ أيضاً بمعنى الملة والديانة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾(٣).

فلما كان الإسلام هو الدين الذي يلزم على البشرية أن يخضعوا له؛ ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يلزم على المسلم أن يتعرف على دينه، ولا يعني بهذا أن يتعرف المسلم على معنى دينه، ولا على معنى إسلامه فحسب، بل ويتعرف

(١) ذكره الشارح من باب التمثيل اللغوي لا كونه حديثاً، وقد روي مرفوعاً، رواه ابن عدي في الكامل عن ابن عمر وهو ضعيف، انظر ضعيف الجامع للألباني برقم [٤٢٧٤].

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

على أحكام الإسلام ليعمل بها؛ لأن النظر في ذلك إنما هو من حيث المآل؛ لأن الذي لا يعرف دينه بالعمل قد وقع في الضلال المبين والخسران العظيم؛ ولذا قال الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(١).

فدين الإسلام هو الدين الذي جاء به نبينا ﷺ من ربه عزوجل بواسطة جبريل، ويقوم هذا الدين على مصدرين اساسيين:

الأول: كتاب الله.

الثاني: سنة رسول الله ﷺ.

وديننا محفوظ بحفظ الله له، فلم يُنسخ ولم يُحرف بخلاف الدين النصراني والدين اليهودي فإنه قد نُسِخ وقد حُرِّف.

أما بالنسبة لدين الإسلام فقد حفظه الله بحفظ كتابه كما قال جل شأنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(٢).

حفظ الله الإسلام بحفظه لكتابه وسنة نبيه ﷺ.

وما مات النبي ﷺ حتى اكتمل هذا الدين، فمات وقد اكتملت هذه الأحكام ووصلت إلينا كاملة على مراد الله وعلى مراد رسول الله ﷺ فنزلت قبل وفاة النبي ﷺ الآية المؤكدة تمام الدين وهي قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٣).

فمات النبي ﷺ وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، هذه المحجة هي الدين الإسلامي الذي شهد الأنام بالبقاء له، ما بقي الناس على ظهر هذه الأرض لوجود الأدلة الدالة على ذلك.

فللإسلام أدلة.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

والأدلة جمع دليل، والدليل هو الذي يرشد إلى المطلوب، فإذا قلت بأن الصلاة واجبة، أقول لك ما دليلك؟

بمعنى: ما الذي يرشدني إلى وجوبها؟

فأنت تستدل إما بآية قرآنية وإما بحديث نبوي.

وللدين الإسلامي تعريفان:

تعريف في لغة العرب.

وتعريف في الاصطلاح الشرعي.

أما تعريفه في لغة العرب: فهو بمعنى: الاستسلام ومنه قوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾(١) بمعنى استسلمت.

وفي الاصطلاح الشرعي: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠.

الإسلام ومراتبه

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبة لها أركان.

[الشرح]

قوله الاستسلام لله بالتوحيد: بمعنى أن تفرد الله سبحانه وتعالى بربوبيته فلا رب سواه، وبألوهيته فلا إله سواه، وبأسمائه وصفاته فلا سمي له ولا شبيه في أسمائه وصفاته.

وفي نفس الوقت أن تنقاد له بالطاعة، بمعنى: أن تخضع لشرعه بما ورد في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١).

هذا هو الانقياد ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾(٢).

---

(١) سورة النور، الآية: ٥١.
(٢) سورة محمد، الآية: ٣٣.

بطلان العمل بماذا؟

بعدم الانقياد لشرع الله سبحانه وتعالى.

وأيضاً لا إسلام حتى تتبرأ مما عليه أهل الشرك؛ لأنك إذا لم تتبرأ من ذلك فقد تقع في الولاء، ولذا تبرأ إبراهيم من أفعال قومه المشركين فقال: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾(١).

فالبراءة التامة لا بُد منها، حتى يخضع الرجل لطاعة الله ولطاعة رسول الله ﷺ.

والإسلام له ثلاث مراتب:

- المرتبة الأولى: **الإسلام.**
- المرتبة الثانية: **الإيمان.**
- والمرتبة الثالثة: **الإحسان.**

وسيذكرها المصنف رحمه الله مفصلةً في المسائل الآتية بأدلتها.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٦.

أركان الإسلام الخمسة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

[الشرح]

سبق تعريف الإسلام بما لا يحتاج إلى مزيد، وأما أركانه فخمسة أركان كما ذكر المصنف:

- **الركن الأول:** الشهادتان وهما أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.
- **والثاني:** أن تقيم الصلاة.
- **والثالث:** أن تؤتي الزكاة.
- **والرابع:** أن تصوم رمضان.
- **والخامس:** أن تحُجَّ البيت بشرط الاستطاعة.

هكذا جاء في الحديث الذي في الصحيحين عن عمر وعن غيره في حديث جبريل الطويل، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في موضعه.

دليل شهادة «لا إله إلا الله»

قال رَحِمَهُ اللَّهُ : فدليل الشهادة قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

[الشرح]

استدل لشهادة التوحيد بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

بمعنى شهد الله أنه المتفرد بالإلهية، والملائكة مقرون بذلك، وأولو العلم كذلك مع الدعوة إليها، وحاله سبحانه وتعالى أنه قائم بالقسط أي مقيم له والقسط بمعنى العدل، ثم كرر الشهادة فقال مرة أخرى «لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ» وهذا التكرار للشهادة لتأكيد ومزيد الإعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة. ثم وصف نفسه وقال: «الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» ليعلم المخلوق أن الله هو الموصوف بالغلبة المطلقة والحكمة الكاملة، وقدم العزيز لتقديم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير أو الصفة لفاعل شهد.

فأهل العلم يشهدون بالوحدانية لله عَزَّ وَجَلَّ ، وكذلك الملائكة، وكلهم عباد الله، لا يخرجون بأعمالهم عن إرادته ومشيئته سبحانه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

معنى لا إله إلا الله

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومعناها: لا معبود بحق إلا الله وحده، لا إله: نافياً جميع ما يُعبد من دون الله، إلا الله: مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه.

وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٢).

[الشرح]

عرَّج المصنف - عليه رحمة الله - بتعريف كلمة التوحيد: وهي قولك: **(لا إله إلا الله)**.

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، وإن عُبِد غيره فبباطل.

---

(١) سورة الزخرف، الآيات: ٢٦-٢٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

لا إله إلا الله: نفيٌ لكافة المعبوداتِ، إلا اللهُ: إثبات للذي يستحق العبادة وهو الله سبحانه وتعالى.

ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ أي: أنا بريءٌ من هذا الشرك ومن هذه الأوثان التي تعبدونها من دون الله.

ثم أثبت بعد هذه البراءة الإيمان الحق الذي يعتقده فقال: ﴿فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ أي إلا إيماني بالله وحده لا شريك له فإنه سيرشدني إلى الطريق الحق الذي ينافي الشرك، وجعل هذه المقالة وهذه الشهادة في مسامعهم أمام من كان حاضراً في عصره لعلهم أن يراجعوا أنفسهم ويعودوا إلى رشدهم ويسلموا مع إبراهيم لله رب العالمين كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، هذه الكلمة هي قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ والتي يستلزم منها شهادة أن لا إله إلا الله.

كلمة قالها وما زالت تتلى على مسامع البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وعلى ذلك فإنه لا إسلام لأحد إلا بالبراءة مما عليه المشركون.

وهذا رسولنا ﷺ يُناظر أهل الكتاب ويدعوهم بما أمره الله به من التوحيد بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ ما هي هذه الكلمة؟ هي كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

هذه الكلمة وهي شهادة التوحيد: لا يختلف فيها الرسل ولا الكتب المنزلة عليهم، ومعناها ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ بمعنى أن نوحده بالعبادة ونخلص فيها ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ ولا نجعل غيره شريكاً له في استحقاق العبادة ولا نراه أهلاً لأن يُعبد ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فلا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله، ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحريم

والتحليل لأن كلاً منهم بعضنا بشر مثلنا. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الطيبة فقولوا لهم - أيها المؤمنون -: اشهدوا علينا بأنا مسلمون منقادون لربنا بالعبودية والإخلاص. والدعوة إلى كلمة سواء، كما تُوجَّه إلى اليهود والنصارى، توجَّه إلى من جرى مجراهم.

دليل شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(1).

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نها عنه وزجر، وأن لا يعبد إلا بما شرع.

[الشرح]

شرع المصنف - عليه رحمة الله - في هذه الأسطر في بيان معنى شهادة أن محمداً رسول الله، ودليل هذه الشهادة فذكر قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

لقد جاءكم أيها المؤمنون رسول من أنفسكم أي من جنسكم وعلى لغتكم، حريص على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم، يشق عليه ما تلقون من المكروه والعنت، حريص على إيمانكم وصلاح شأنكم، وهو بالمؤمنين كثير الرأفة والرحمة.

---

(1) سورة التوبَة، الآية: ١٢٨.

وهذا هو المقصود من الآية الكريمة.

وأما معنى شهادة أن محمداً رسول الله فكما ذكر المصنف: طاعته عليه الصلاة والسلام فيما أمر في سنته مما ثبت عنه بطريق صحيح، وتصديقه فيما أخبر من الأمور الغيبية كالبعث والحشر والحساب والميزان والجنة والنار ونحوها من الأمور الغيبية وكذا تصديقه في الأمور المستقبلية كفتح القسطنينية وخروج المهدي ونزول عيسى وعودة الأوثان إلى جزيرة العرب قبيل قيام الساعة وأيضاً اجتناب ما نها عنه وزجر كنهيه عن الربا والزنا وشرب الخمور ونحوها من المحرمات، وأن لا يعبد الله إلا بما شرعَ رسول الله عليه الصلاة والسلام بما تضمنه الكتاب والسنة جملةً وتفصيلاً. والله الموفق.

دليل الصلاة والزكاة والصيام وتفسير التوحيد

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾(١).

ودليل الصيام قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(٢).

[الشرح]

وكذلك أيضاً: الركن الثاني: وهو إقامة الصلاة.

والصلاة بمعنى: الدعاء في اللغة.

وفي الاصطلاح الشرعي: هي الأقوال والأذكار الشرعية المخصوصة التي تبتدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم.

ويجب أداؤها كما أداها النبي عليه الصلاة والسلام.

والزكاة لغة بمعنى الزيادة.

وفي الاصطلاح الشرعي: إخراج المال المستحق الذي شرعه الله سبحانه وتعالى لذويه.

---

(١) سورة البيّنة، الآية: ٥.

(٢) سورة البقَرَة، الآية: ١٨٣.

قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾(١)، بمعنى: ادفعوها لمستحقيها.

وهم الأصناف الثمانية التي في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

وقد استدل المصنف لهاتين الفريضتين بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ هذا هو الشرط وهو شرط الإخلاص فلا عبادة إلا به، ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ كما شرعهما سبحانه: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾(٣) أي: ذلك الدين القيم الحق الذي يلزم على المسلم أن يخضع له وأن يخضع لأحكامه على ما ورد في كتاب الله وفي سنة النبي ﷺ وأن يقوم به حق القيام.

وأما الصيام فإنه لغة: بمعنى الإمساك.

وفي الاصطلاح الشرعي: الامتناع عن الطعام والشراب والشهوات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس.

منه الواجب، ومنه أيضاً المستحب الذي يتنفل به العبد، ولكن الركن هو صيام رمضان ليس غير؛ لهذا يقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٤).

فكتب الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة الصيام كما كتبه على الذين سبقوا من الأمم السالفة والحكمة من ذلك لعل الأمة أن تتقي بمعنى: أن تجعل بينها وبين الشر وقاية، لعله يحصل التقوى الذي من حصل عليه حصل على الخير كله، والله المستعان.

---

(١) سورة البقرة جزء من، الآية: ٨٣.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٠.
(٣) سورة البينة، الآية: ٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

دليل الحج

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ودليل الحج قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(١).

[الشرح]

وأيضاً الحج، دليلة واضح في كتاب الله وفي سنة النبي ﷺ.

والحج لغة بمعنى: القصد.

وفي الاصطلاح الشرعي: قصد البيت بنية أداء ركنية الحج على مراد الله ومراد رسول الله ﷺ.

ودليل فرضيته قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾.

فالذي لا يستطيع ليس عليه حج ولكنه يَلزم من كان مستطيعاً، فيرفع عنه القلم حتى تحصل الاستطاعة، فإذا حصلت الاستطاعة لزم الحج لبيت الله الحرام.

ثم بين الله سبحانه وتعالى أن من ترك الحج وهو مستطيع فقد كفر بنعمة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

الله، فإذا أعطاك الله القوة وأعطاك الاستطاعة فيلزم عليك أن تقصد البيت الحرام، وأن تأتي بهذه المناسك التي شرعها الله سبحانه وتعالى

وإلا وقعت في كفر النعمة «الكفر الأصغر» المفضي إلى غضب الله.

قال الله تعالى اتماماً للآية السابقة: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

الله سبحانه وتعالى غني عن عبادتنا؛ لأنه هو الذي يقول: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[1].

فهو غني، وفي نفس الوقت لا يرضى لنا الشر ولا يرضى لنا الكفر، وإنما يرضى لنا الإيمان ويرضى لنا الإسلام، وعلى المسلم أن يحافظ على هذه الأركان وأن يعمل بها على مراد الله وعلى مراد رسول الله ﷺ خالصة وموافقة لشرع الله.

وبهذا نكون قد انتهينا من المرتبة الأولى من مراتب الإسلام، وهي الحديث عن الإسلام، وسنشرع إن شاء الله تعالى في الكلام عن المرتبة الثانية وهي: الإيمان، وبالله التوفيق.

(١) سورة الزمر، الآية: ٧.

المرتبة الثانية

الإيمان

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المرتبة الثانية: الإيمان.

[الشرح]

هذه المرتبة الثانية وهي الإيمان.

والإيمان في لغة العرب بمعنى: التصديق.

تقول: آمنت بوجود زيدٍ بمعنى: صدَّقْتُ أنه موجود.

وفي الاصطلاح: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

فالقول باللسان أن تقول: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله.

ومنه كافة الأذكار الواجبة والمستحبة.

وأما الإعتقاد بالجنان وهو القلب فهو أن تعتقد: أن الله وحده هو الرب الذي يستحق العبادة، وأن الرسول هو خاتم الأنبياء والمرسلين وأن ما جاء به حق لزم تصديقه.

وأما العمل بالجوارح: فالجوارح معروفة:

العين جارحة فلا يبصر إلا ما أحله الله له. والسمع جارحة فلا يسمع إلا ما جوزه الله له، واليد جارحة فلا يجوز له أن يسرق ولا أن يختلس ولا أن يبطش، والرجل جارحة فلا يمشي إلا في الخير.

وبهذه الجوارح يلزم القيام بأركان الإسلام كالصلاة والصيام ونحوهما.

هذه الجوارح ينبغي أن تكون عاملة بالدين.

وأما أن الإيمان يزيد فدليله قوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾(١)، يزداد الإيمان بماذا؟

الجواب: بالطاعات وينقص بالمعصية.

ولهذا من قال بأن الإيمان يزيد وينقص فقد برأ من الإرجاء كما يقول الإمام أحمد بن حنبل - عليه رحمة الله -.

فالمرجئة قالت: بأن الرجل لو صدَّق بأن الإيمان حق، فلا يلزمه أن يعمل، فشخص لا يصلي عندهم كامل الإيمان، وشخص لا يزكي عندهم كامل الإيمان.

المطلوب منه فقط في دين المرجئة هو الإقرار بالشهادتين.

والخوارج قالوا: من وقع في الكبيرة من المعاصي فهو كافر.

وقال غلاتهم: بل لو وقع في المعصية فهو كافر سواء كانت المعصية من الصغائر أو من الكبائر.

ومذهب السلف وسط بين المرجئة والخوارج فلا يكفرون بالمعصية كما فعل الخوارج ولا يردون ركنية العمل كما فعل المرجئة بل العمل عندهم أصل من أصول الإيمان.

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

شعب الإيمان وأركانه

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو بضعٌ وسبعون شعبة فأعلاها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

وأركانه ستة: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

[الشرح]

الإيمان بضع وسبعون شعبة، بمعنى: خلية أو خصلة، أي أن الإيمان يتفاوت، فالإيمان عند هذا يختلف عن هذا، وعند هذا يختلف عن ذاك، وهكذا كما جاء في حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين: «**الإيمان بضع وستون - وفي رواية - بضع وسبعون شعبة**».

فأعلاها قول: «لا إله إلا الله» بشرط الإخلاص، وأقل الإيمان إماطة الأذى عن الطريق.

ثم قال: «**والحياء شعبة من الإيمان**»[١]، حتى الحياء الذي يحصل وهو الاستحياء، شعبة من شعب الإيمان، وعلى ذلك فالإيمان يتفاوت.

والبضع: ما دون العشرة، وقيل: عدد مبهم مقيد بما بين الثلاث إلى

---

(١) متفق عليه.

التسع كما جزم به القزاز، وقال ابن سيده إلى العشرة، وقيل من واحد إلى تسعة، وقيل من اثنين إلى عشرة، وقيل من أربعة إلى تسعة، وعن الخليل البضع السبع، والأول حسب علمي أشهر.

وأما تخصيصه للعدد بالستين أو السبعين - شك الراوي - فإنما هو لبيان عدد حقيقة أنواع الإيمان لا عدد أفراده إذ أفراد الإيمان ألوف كثيرة فكل عمل صالح سواء كان ركناً كتكبيرة الإحرام للصلاة أو شرطاً كالوضوء للصلاة أو واجباً كقول المصلي وهو راكع سبحان رب العظيم أو مستحباً كالصدقات العامة كل ذلك من الإيمان.

وأركان الإيمان ستة:

أن تؤمن بالله بمعنى: أن تصدق بما جاء عن الله سبحانه وتعالى، وتعمل بما أمر وتنتهي عما نهى وزجر.

وأن تؤمن بالملائكة بمعنى: أن تصدق بأن الله سبحانه وتعالى خلق خلقاً من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وأنه قسم الوظائف بينهم، فهذا جعله خازناً للنار، وذاك جعله بوَّاباً على الجنة، وذاك جعله مَلَكاً للموت، وذاك جعله ملكاً من أجل أن يأتي بأخبار السماء إلى الأنبياء وهو جبريل وآخر ينفخ الصور وهكذا.

والركن الثالث: الإيمان بالكتب فنؤمن بأن الله أنزل على رسله كتباً من السماء فيها أحكامٌ سماوية منها ما ذكره في القرآن ومنها ما لم نعلمه، والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم خمسة وهي:

القرآن الذي أُنزل على محمد ﷺ، والإنجيل الذي أُنزل على عيسى، والتوراة الذي أُنزل على موسى، والزبور الذي أنزل على داود، والصحف التي أنزلت على إبراهيم.

وهي جميعها محرفة ومنسوخة، ما عدا القرآن الكريم فقد حفظه الله من التحريف ونسخ به الكتب وجعله الكتاب السماوي الذي يلزم التحاكم إليه.

وعلينا أيضاً أن نؤمن بالرسل، وقد ذكر القرآن منهم خمساً وعشرين رسولاً ونبياً، جمعها من قال:

حَتْمٌ على كل ذي التكليفِ معرفةٌ ... بأنبياءٍ على التفصيلِ قد عُلِمُوا
في تلك حجتُنا منهم ثمانيةٌ ... مِن بَعدِ عشْرٍ ويبقى سبعةٌ وهمُ
إدريسُ هودٌ شعيبٌ صالحٌ وكذا ... ذو الكفلِ آدمُ بالمختارِ قد خُتِمُوا

وليس من الأنبياء على القول الراجح: الخضر ولقمان وذو القرنين ومريم، وقد بينّا ذلك مفصلاً في مجالس مختلفة.

وأما الآيات التي ذكرت الرسل فقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾(١).

فهذه الآيات ذكرت ثمانية عشر منهم، وهناك سبعة آخرون جاء ذكرهم في آيات أخرى.

وكذلك نؤمن باليوم الآخر، وهو يوم القيامة، وهو آخر شيء وإليه المنتهى في الحساب، ثم بعد ذلك إما جنة وإما نار، واليوم الآخر هو الذي قال الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾(٢).

وكذلك نؤمن بالقدر، وهو الركن السادس، أي بما قدره الله سبحانه وتعالى للعباد، سواءٌ كان خيراً أو كان شراً، والله قدر لك الخير لعلمه بأنك ستأتي هذا الخير، وتتسبب في إيجاده، وكتب لك أيضاً الشر لعلمه بما

---

(١) سورة الأنعام الآيات: ٨٣ - ٨٦.
(٢) الفاتحة، الآية: ٤.

سيحدث منك، فجعل الله سبحانه وتعالى هذه المقادير قبل أن يخلقك وما كان الله بظلّام للعبيد.

فهذه هي أركان الإيمان، نؤمن بها على مراد الله وعلى مراد رسوله ﷺ.

أدلة هذه الأركان

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: والدليل على هذه الأركان قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾.

[الشرح]

جُمعت هذه الأركان في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ بمعنى: الخير ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(١).

وأماً دليل القدر فقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾(٢).

وقد جاء في حديث جبريل الطويل: أنه سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن الإيمان فأجابه عليه الصلاة والسلام بقوله: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.
(٢) سورة القمر، الآية: ٤٩.

ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[١].

وسيأتي الحديث بطوله من خلال كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة[٢] قال: قال رسول الله ﷺ «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان».

هكذا جاء الإيمان بأدلته في الكتاب والسنة، وبالله التوفيق.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: [٢٦٦٤] من حديث ابن عمر والحديث في الصحيحين.

(٢) المصدر السابق نفسه.

المرتبة الثالثة

الإحسان: معناه وأدلته

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المرتبة الثالثة: الإحسان ركن واحد وهو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾(٣).

[الشرح]

هذه هي المرتبة الثالثة من مراتب الدين وهي: مرتبة الإحسان.

والإحسان في اللغة: ضده الإساءة.

وفي الاصطلاح: أن تعبد الله كأنك تراه، بمعنى: أن تعمل وتدرك أن الله سبحانه وتعالى مطلع على أعمالك، وقد أراد بالإحسان الإشارةَ إلى المُراقبة وحُسْن الطاعة، فإن من راقَبَ اللهَ أَحسَن عمَله، وفي حديث جبريل قال النبي عليه الصلاة والسلام في معنى الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه،**

---

(١) سورة النّحل، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٧-٢٢٠.

(٣) سورة يونس، الآية: ٦١.

فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(١).

وهذا مآل قوله عَزَّوَجَلَّ : ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾(٢) أي ما جزاءُ مَنْ أَحْسَنَ في الدُّنيا إلا أن يُحْسَنَ إليه في الآخرة.

ويشترط في المُحسن أن يكون مخلصاً، فالإخْلاص شرطٌ في صحة الإيمان والإسلام معاً، وذلك أن من تلفَّظ بكلمة التوحيد وجاء بالعمل من غير إخْلاص لم يكن مُحْسِناً.

هذا هو الإحسان، ولا يبلغ هذه المنزلة إلا الأنبياء والرسل والأولياء والصديقون والصالحون، وفي مثلهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾(٣).

ومن لوازم الإحسان التوكل في الأمور كلها على الواحد المنان كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾(٤).

فالله معك في جميع أحوالك وهورقيب ومطلع على أفعالك، وهو الذي يقول لك: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾(٥).

فمن عقل ذلك وعمل له بلغ مرتبة الإحسان، والله الموفق.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: [٢٦٦٤] من حديث ابن عمر والحديث في الصحيحين.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢١٧.

(٥) سورة يونس، الآية: ٦١.

ذكر حديث جبريل عليه السلام
المشتمل على مراتب الدين الثالثة

قال رحمه الله: والدليل من السنة حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب قال: «بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد: أخبرني عن الإسلام فقال: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إلي سبيلاً**» قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: أخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**» قال: أخبرني عن الإحسان، قال: «**تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» قال: فأخبرني عن الساعة قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» قال: فأخبرني عن أماراتها قال: «**أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**» قال: فمضى، فلبثنا ملياً، فقال: «يا عمر: أتدرون من السائل؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم».

[الشرح]

الحديث في الصحيحين من حديث ابن عمر، ومن حديث أبي هريرة ومن

حديث عمر كما في مسلم أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ جاء على هيئة رجل يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، ويسأله أيضاً عن الساعة وعلاماتها.

يسأل النبي ﷺ ويخاطبه ويقول له يا محمد: أخبرني عن الإسلام قال: **«أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»** وقد سبق شرح هذه الأشياء كاملةً.

فقال جبريل: صدقت - فتعجب الصحابة كيف رجل جاء ليسأل النبي عليه الصلاة والسلام عن بعض الأمور، ويصدقه، تعجبوا!! وما كانوا يعرفون أن هذا جبريل.

فقال عمر: فعجبنا له يسأله ويصدقه، من يكون حتى يقول صدقت؟ أهو يعلم هذا من سابق؟ أهو يختبر النبي ﷺ؟ وإذا كان كذلك فما يدريه بالجواب إذ هذه أمور لا يعرفها إلا رسل الله.

فقال للرسول أخبرني عن الإيمان فقال له: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره»** فقال له أيضاً: صدقت.

قال: أخبرني عن الإحسان قال: **«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**.

وقد سبق بيان كل هذه الأمور.

ثم الرسول ﷺ عن الساعة فيقول له: **«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»**.

بمعنى: أنا رسول الله لا أعلم الغيب ولست بأعلم منك يا جبريل، أي: علمها عند ربي ﴿يَسْئَلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾(١).

هذا أمر غيبي لا يعلمه النبي ﷺ وإذا كان الرسول ﷺ يقول: لا أدري؛

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٣.

فينبغي أيضاً لأهل العلم إذا ما علموا شيئاً أن يقولوا: لا أدري، هذا من أدب العلم والفتوى، ومن قال لا أدري فقد أفتى.

وقد جاء عن ابن مسعود كما في صحيح البخاري أنه قال: «**أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم شيئاً فليقل الله أعلم؛ فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم الله أعلم**»(١).

ثم سأل النبي ﷺ عن علامات: أخبرني عن علاماتها أي: عن علامات هذه الساعة، فقال له من علاماتها: «**أن تلد الأمة ربتها**» بمعنى أن هذه العبدة قد تلد بنتاً فتكون هذه البنت أميرة على أمها، أو أن تلد الأمة ربتها بمعنى سيدتها، وهذا من علامات الساعة، وهذا موجود في بلاد المسلمين منذ عهد الدولة الأموية وما بعدها ثم قال النبي ﷺ : «**وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»، وهذا موجود في بلادنا هذه لهذا نجد في بعض مناطق الخليج أن الذين عُرِفُوا بأنهم رعاة للشاة وللإبل قديماً صاروا اليوم يتطاولون في البنيان، يبني الواحد منهم بيتاً طويلاً، قصراً مشيداً طوله أربعون طابقاً، فيأتي الآخر ويقول: والله لأزيدن عليه، فيزيد فيتطاول، ويقول: أنا بنيت، وذاك يقول: أنا بنيت أطول من عمارتك، هذا من علامات الساعة فهي تحققت وهم لا يعرفون هذه الأشياء إلا من رحم الله.

كانوا يعيشون قديماً على التمر واللبن في الخيم بين الرياح الجارفة والأمطار السائلة، فمنَّ الله عليهم بهذه النعم لا تحصى ولا تعد.

ثم ذهب جبريل عن النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «يا عمر أتدري من السائل؟»

قال: قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم**»(٢).

---

(١) رواه البخاري في التفسير - تفسير سورة (ص) - برقم: [٤٨٠٩].
(٢) حديث جبريل الطويل بلفظ المصنف رواه مسلم برقم: [٨].

هذا هو جبريل جاء على هيئة رجل كي يعلم الناس هذا الدين، من خلال أسئلته للنبي ﷺ.

وفيه دلالة على أن الملائكة يتشكلون بأشكال الآدميين.

وقد جاء في بعض الروايات أن بعض الصحابة خرج ليدركه فلم يجده، ووجد أن جبريل قد غاب ملياً. والله الموفق.

الأصل الثالث

معرفة النبي ﷺ ونسبه

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

[الشرح]

هذا هو الأصل الثالث، وهو معرفة النبي ﷺ، وقد ذكر شيخ الإسلام النجدي بأن النبي ﷺ هو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش وقريش من قبائل العرب، والعرب في نسبهم يعودون إلى إسماعيل بن الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وفي صحيح مسلم من حديث واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**».

مـحـمـدٌ خيرُ بـني هـاشـمِ ... فَـمَـنْ تـمـيـمٌ وبـنـو دارمِ
وهـاشـمٌ خيرُ قـريـشٍ ومـا ... مـثـلُ قـريـشٍ فـي بـنـي آدمِ

ولد النبي ﷺ على المشهور عام الفيل يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في اليوم الذي بعث الله طيراً أبابيل على أصحاب الفيل.

ونسبه عليه الصلاة أشرف الأنساب على الإطلاق بالاتفاق.

وقد بُعِث للناس أجمعين ونزلت عليه رسالة السماء وهو ابن أربعين سنة فدعا الناس إلى توحيد الخالق وعبادته فمكث بمكة ثلاثة عشر سنة ثم عزم على الهجرة لكثرة ما لقي هو أتباعه من المحن والأذى والشدائد فهاجر إلى المدينة وبها أنشأ دولة الإسلام ثم دخل مكة فاتحاً معززاً مكرماً فحج بالناس ودعاهم إلى التمسك بشرع الله ثم عاد إلى المدينة وبها توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة كما في الصحيحين ودفن في بيت عائشة في المكان الذي مات فيه، وقد توفي ودرعه مرهونة عند رجل من اليهود مقابل ثلاثين صاعاً من شعير.

هذا هو الحبيب محمد وهذا ونسبه وسيرته العطرة عليه الصلاة والسلام.

كتب أحد الأوروبيين المسيح عن عظماء الدنيا كتاباً وجعل أعظم الناس محمداً ﷺ وقال في معنى كلامه: لقد تتبعت سِيرَ العظماء في العالم فلم أجد أعظم رجل وُجد في البشرية كمحمد بن عبد الله الهاشمي النبي العربي، وإني لست مؤمناً بما جاء به ولكن الحقيقة تفرض نفسها في كونه أعظم رجل في العالم.

فهذه شهادة من هذا المسيحي في أن النبي ﷺ لم يبلغ أحد مكانته في الآداب والأخلاق والعظمة والرجولة والشجاعة وما إلى ذلك من صفات بني الإنسان بمثل ما وصلت ووقعت للنبي ﷺ.

شهد الأنام بفضله حتى العِدا   والحق ما شهدت به الأعداء

هذا نبينا ﷺ الذي عُرف بالصبر والحكمة والأخلاق والذي تحمل الشدائد والأذى في سبيل تبليغ الدعوة إلى الناس أجمعين.

عمره، نبوته، تكليفه بالرسالة، وبلده

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً، نُبئ بـ﴿اقْرَأْ﴾(١) وأرسل بـ﴿الْمُدَّثِّرُ﴾(٢)، وبلده مكة.

[الشرح]

هذا نبينا ولو تحدثنا عنه وعن عبادته وأخلاقه ومعاملاته لذكرنا شيئاً عظيماً يفوق الوصف.

سلوا الدموعَ فإنَّ الصبَّ مشغولُ ... ولا تَمِلُّوا ففي إملائِها طولُ
واستخبروا صادحاتِ الأيكِ عن شَجَنْي ... هل في الغرامِ الذي تُبديهِ تبديلُ
محمدٌ خيرُ مبعوثٍ لأمتهِ ... في الحشرِ والنشرِ تقديمٌ وتفضيلُ
وكان يُدعى نبياً حيث آدمُ لَمْ ... يكنْ لهُ قبلَ خَلْقِ الطينِ تشكيلُ
وما شَكَتْ أمُّهُ مِنْ حَمْلِهِ أَلَمَاً ... وكيفَ وهو بلطفِ اللهِ مَحْمولُ
عليك صلَّى إلهُ الخلقِ ما نَفَحتْ ... ريحُ الشَمالِ ورَوْضُ الحُزنِ مَطْلولُ
وما حكى فيك ربُّ النظمِ مُمْتدِحَاً ... بَانَتْ سعادُ فقلبي اليومَ مَتبولُ

---

(١) سورة العَلق، الآية: ١.
(٢) سورة المدَّثِّر، الآية: ١.

والمقصود برب النظم حسان بن ثابت الذي قال في رسول الله عليه الصلاة والسلام

بانتْ سعادُ فقلبي اليوم متبولُ   مُتَيَّمٌ عندها لم يُفْدِ مَكْبولُ

إلى نهاية قصيدته التي ختمها بقوله:

لا يقعُ الطعنُ إلا في نحورِهمُ   ولا لهم عن حِياضِ الموتِ تهليلُ

توفي النبي عليه الصلاة والسلام وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً، فثلاثة عشر سنة بمكة، وعشر سنوات بالمدينة.

وقد نُبئ بإقرأ عند تمام أربعين سنة من عمره حيث جاءه جبريل في شهر رمضان وهو يتعبد في غار حراء من جبل حراء وبين الجبل ومكة نحو ثلاثة أميال عن يسار الذاهب من مكة إلى منى.

فقال جبريل له «اقرأ، فقال رسول الله ﷺ: ما أنا بقارئ فقال: مرة أخرى اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، فقال - اقرأ رددها عليه ثلاثاً - فقال ما أنا بقارىء، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[1].

وهذه الأيات بشارة للنبي عليه الصلاة والسلام بالنبوة وهي أول وحي يوحى إليه، وأول ما نزل من القرآن الكريم.

ثم انقطع عنه جبريل ما شاء الله.

قال النبي عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح «فتر عني الوحي فترة فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء، قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه (بمعنى

(١) متفق عليه من حديث عائشة.

رعبت) حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي فقلت زملوني زملوني فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾(١).

فكانت سورة المدثر أمرَ الله نبيه بتبليغ رسالة الاسلام للناس أجمعين وهي أول الأيات بتبليغ رسالة الإسلام وهي بشارة للنبي عليه الصلاة والسلام بأنه رسول الله. والله الموفق.

---

(١) متفق عليه من حديث جابر.

دعوته إلى التوحيد وتحذيره من الشرك وهجرته ﷺ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ٥﴾[1] ومعنى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: عظمه بالتوحيد، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهر أعمالك عن الشرك ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾. الرجز: الأصنام، وهجرها: تركها وأهلها والبراءة منها وأهلها.

أخذ على هذا عَشْرَ سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عُرِج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة.

[الشرح]

لما أمره الله عَزَّ وَجَلَّ بالدعوة أمره بأمور عدة:

الأمر الأول: الإنذار وهو أن ينذر المشركين من عذاب الله.

الأمر الثاني: التكبير بمعنى التعظيم لله وحده، فقال له سبحانه ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ بمعنى عظم الله ولا تعظم الأصنام، والنبي ﷺ ما عظم صنماً، ولكن من باب التذكير والدعوة إلى الله حتى يتأس به الناس.

---

(١) سورة المدثر الآيات: ١ - ٧.

الأمر الثالث: الطهارة من الشرك كما قال سبحانه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾. كناية، بمعنى طهر أعمالك من الشرك واجعلها خالصةً لوجهه.

الأمر الرابع: أمره بالبراءة من الشرك فقال له: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾. أي تبرأ من الأصنام ومن أهلها.

الأمر الخامس: وأمره ألا يُعطي العطيَّة كي تلتمس أكثر منها فقال له ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾.

الأمر السادس: أمره بالصبر في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى فقال له ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

وكان قد مضى عشر سنوات، والنبي ﷺ في مكة فلما اشتد أذى قريش له ولأتباعه، أُخِذ في سياحة وعبادة إلى بلاد الشام برفقة جبريل عليه السلام فصلى بالأنبياء في بيت المقدس ثم عرج به جبريل إلى السماوات العلى وفيها فرضت على أمته خمس صلوات في اليوم والليلة، ولما نزل بهذه المفروضة لم يصدقه كفار قريش بل زادوا كفراً وأذيةً، فأُمِر بالهجرة إلى المدينة، وذلك بعد أن مكث ثلاث سنوات في مكة بعد حادثة الإسراء والمعراج.

فهاجر ﷺ ومعه المؤمنون إلى المدينة، وفي المدينة آخى بين الأنصار وهم من آمن به ونصره من أهل المدينة وبين إخوانهم المهاجرين، وقام ببناء المسجد النبوي وأسس دولة الإسلام فكثرت فتوحاته وغزواته وعم بها المشارق والمغارب حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً.

الهجرة والدليل عليها

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم الساعة، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾(١).

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان.

[الشرح]

حدث الهجرة من مكة إلى المدينة دليل على أن الهجرة واجبة من بلاد الشرك والوثنية حفاظاً على الدين وشعائره إلى بلاد الإسلام، وهناك أدلة أخرى تؤكد صحة هذا القول، ومن ذلك:

حديث: **«لا يقبل الله من مشرك عملاً بعد ما أسلم أو يفارق المشركين»**.

وهو في المسند وعند النسائي وابن ماجه بإسناد حسن.

وكذا حديث: **«أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين»** وفيه

(١) سورة النساء، الآيات: ٩٧-٩٩.

ضعف لكن له طرق أخرى ينجبر بها ويرتقي إلى الحسن لغيره. وقد أخرجه الترمذي وأبو داود.

والحديثان محمولان على من لم يأمن على دينه.

وقد أذي النبي ﷺ وأصحابه في دينهم فأمروا بالهجرة.

والهجرة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الهجرة من بلاد الحرب إلى بلاد السلام والأمان، وهذا القسم كالهجرة الأولى التي هاجر فيها الصحابة بأمر رسول الله ﷺ من مكة إلى أرض الحبشة.

الثاني: الهجرة من بلاد الشرك والوثنية إلى دار الإسلام، كهجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة.

الثالث: الهجرة المباحة كالهجرة للزواج أوالتجارة ونحوهما بنية الطاعة أو غيرها.

وقد وقع خلاف بين أهل العلم إذا كان الإنتقال لأمرٍ دنيوي هل يقال له هجرة أم لا؟

والذي يظهر أنه اختلاف لفظي ولا ممانعة من تسميته هجرة.

وأما قول النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»(١).

فالمقصود لا هجرة من أرض مكة؛ لأنها صارت داراً للمسلمين.

فإذا وُجدت أرض فيه اضطهاد وأذيةٌ لأهل الإسلام لزم الهجرة بل هذا واجب؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾(٢).

بمعنى: هاجِروا حفاظاً على الدين وشعائره. والله الموفق.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٧.

الدليل على الهجرة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**».

[الشرح]

جاء عن النبي ﷺ كما في الحديث الصحيح الذي أخرجه أحمد قال: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تتطلع الشمس من مغربها**»(١) بمعنى: لا تنقطع الهجرة حتى قيام الساعة.

فالهجرة دائمة حتى ينتهي أمر الدين على هذه الأرض، ولا ينتهي حتى تأتي ريح من أرض اليمن بنسماتها فما تصل إلى مؤمن إلا ومات، فلا يبقى فيها سوى المنافقين والملاحدة والكفار وعليهم تقوم الساعة وفي عصرهم تنقطع الهجرة لأنه لا يجد أحد من أهل الإسلام.

وقد جاء في صحيح مسلم مرفوعاً: «**لا تقام الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله**»(٢).

وقال في الحديث الآخر ﷺ: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد برقم: [١٦٩٠٦] وأبو داود وهو حديث صحيح كما قال الألباني في صحيح أبي داود برقم: [٢٤٧٩].

(٢) رواه مسلم في الإيمان برقم: [٣٧٣].

(٣) رواه مسلم في الفتن برقم: [٧٣٢٨].

فالهجرة دائمة إلى قيام الساعة؛ لأنه لا يمكن أن يعيش الناس في هذه الدنيا وهم على الإسلام في أمن وأمان في جميع أماكن الأرض بسبب انتشار الوثنية والشرك والمعاصي العظمى وأذية المسلمين.

إذ مثل ذلك يدفع كثيراً من المسلمين إلى الهجرة.

استقرار النبي ﷺ في المدينة، وأمر الله سبحانه وتعالى للنبي ﷺ ببقية الشرائع ووفاته ﷺ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلما استقر في المدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة والصوم والحج والآذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام أخذ على هذا عَشْرَ سنين.

وبعدها توفي صلاة الله وسلامه عليه ودينه باقٍ، وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه.

والخير الذي دلها عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرها منه: الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه.

[الشرح]

لما استقر النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة فُرِضت عليه بقية الشرائع مثل الزكاة والصوم والحج والآذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام أخذ على هذا عَشْرَ سنين ثم مات ودينه باقٍ إلى قيام الساعة، وما مات ﷺ حتى كَمُلَ هذا الدين، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(١).

ولا يوجد خير إلا وقد دلنا عليه، ولا شر إلا وحذرنا منه.

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

وهو القائل صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء**»(١).

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إنه ليس شيء يقربكم من الجنة، ويباعدكم من النار، إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم من النار، ويباعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه، وأن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفسي حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته**»(٢).

وفي الصحيحين من حديث جابر يقول النبي عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع: «.. **وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟**».

قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأدّيت، ونصحت.

فقال: **بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات**»(٣).

وأخرج مسلم في صحيحه عن سلمان قال: قيل له: «قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة، قال فقال: أجل»(٤).

وعن أبي الدرداء قال: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما في السماء طائر يطير بجناحيه، إلا ذكرنا منه علماً. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وجاء بنحوه عن أبي ذر.

وكل ما سبق مصداقٌ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم [٥]، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف رقم [٢٠١٠٠].
(٣) متفق عليه.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم [٢٦٢].

عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

ولقوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾[٢].

فما مات رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فمن ابتغ الدين الحق، وجده فيما جاء به هذا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، ومن أعرض عنه فقد أعرض عن سعادة الوحي فهو على غير الطريق يسير نسأل الله السلامة والعافية.

فالخير كل الخير في اتباع محمد عليه الصلاة والسلام من غير زيادة في الدين مع الدعوة إلى التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والتحذير من الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٩.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ١٠-١١.

عموم رسالة النبي ﷺ للثقلين، واكتمال الدين به ﷺ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(١).

وكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٢).

[الشرح]

رسالة النبي ﷺ كانت إلى الثقلين ولا زالت، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٣).

الخطاب للناس، وهم الخليقة من الجن والإنس، أمرهم الله سبحانه وتعالى بأن يعبدوا الله وحده.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(٤).

والناس لفظ عام يطلق على بني آدم وعلى الجن.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٢) المائدة، الآية: ٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

وهناك أدلة كثيرة صريحة بدعوة الجن إلى عبادة الله وحده.

منها قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[(٢)].

من هو داعي الله؟

إنه: محمد رسول الله ﷺ.

ونزلت سورة كاملة في دعوة الجن إلى دين الإسلام، وإلى أنهم آمنوا برسالة النبي ﷺ كما قال تعالى في سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾[(٣)].

إذن أهل التوحيد: من الإنس والجن.

فالله سبحانه وتعالى بعثه إلى الثقلين قائلاً للجميع: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[(٤)]، وطلب منهم الإيمان وبين لهم هذا الشرع وأتمه، وذكر لهم فيه أحكام الله التي فرضها وأوجبها وحببها إلى النفوس.

وبالله التوفيق.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الأحقاف، الآيات: ٢٩-٣١.

(٣) سورة الجن، الآية: ١-٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

موت النبي ﷺ، وبعث الناس بعد موتهم

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾(١).

والناس إذا ماتوا يبعثون والدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾(٢) وقوله تعالى:

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨﴾(٣).

[الشرح]

ثم بعد ذلك هو بشر ونهاية البشر الموت، فلما أكمل الله هذا الدين مات النبي؟ وانتقل إلى الدار الآخرة، ولما سمع عمر بن الخطاب خبر موته ﷺ أنكر أن يكون النبي ﷺ قد مات، تقول عائشة رضي الله عنها قال عمر «والله ما مات رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر خطيباً في الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:» ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(٤)، وقوله

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٣٠-٣١.
(٢) سورة طه، الآية: ٥٥.
(٣) سورة نوح، الآيتان: ١٧-١٨.
(٤) سورة الزُّمَر، الآية: ٣٠.

تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ﴾(١) فنشج الناس يبكون(٢).

وفي رواية تقول عائشة «والله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزلها حتى تلاها أبو بكر ﷺ فتلقاها منه الناس فما يسمع بشر إلا يتلوها»(٣).

محمدٌ ﷺ توفاه الله سبحانه وتعالى وترك هذه الأمة بعد أن بيَّنَ أن دعوة الإسلام قائمة إلى أن تقوم الساعة كما في حديث معاوية وحديث ثوبان والحديث في الصحيحين: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»(٤).

ونزل على رسول الله إخبارسماوي قبل موته بأنه سيموت وستموت البشرية كلها قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾(٥).

ثم ماذا بعد الموت؟

والجواب: حساب وسؤال عن هذا الدين وعن موقف كل شخص منه.

وسينادي الله البشرية جمعاء قائلاً لهم: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾(٦).

فأنت يا ابن آدم تموت وتدفن تحت الأرض، ثم تبعث: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾(٧).

---

(١) سورة آل عِمرَان، الآية: ١٤٤.
(٢) رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رقم [٣٤٦٧].
(٣) رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رقم [١١٨٥].
(٤) رواه البخاري عن المغيرة بن شعبة برقم: [٧٣١١] ومسلم في الإمارة عن ثوبان برقم: [٤٩٢٧].
(٥) سورة الزمر الآيتان: ٣٠ - ٣١.
(٦) سورة القصص، الآية: ٦٥.
(٧) سورة طه، الآية: ٥٥.

فإذا بعثك الله فاعلم أنه سيسألك عن هذا الدين وعن متابعة النبي عليه الصلاة والسلام.

فإن كان خيراً فخير وإن كانت شراً فشر. والله المستعان.

حساب الناس بأعمالهم بعد البعث وكفر من أنكر البعث

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾(١).

ومن كذَّب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٢).

[الشرح]

من أركان الإيمان أن يؤمن الشخص بالدار الآخرة، ويؤمن بالبعث وهو بعث الناس من قبورهم بعد الموت.

فإذا بعث الله سبحانه وتعالى الناس كان بعثهم للمجازاة، كما قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾(٣).

فمن عمل خيراً فلا ينال إلا خيراً، ومن عمل شراً فلا ينال إلا شراً كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾(٤).

---

(١) سورة النّجم، الآية: ٣١.
(٢) سورة التّغابُن، الآية: ٧.
(٣) سورة النجم، الآية: ٣١.
(٤) سورة الزلزلة، الآية: ٨،٧.

وفي ذلك اليوم يأمر الله عَزَّوَجَلَّ الملائكة بأن يُوقِفُوا المخلوقين كلاً على حده كما في قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[١]، ويسأل الشخص عن أبيه وعن أمه وعن ابنه وعن من استرعاه الله، وعن كل شيء.

وفي الحديث «ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالاً؟

فليقولن: بلى.

ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولاً؟

فليقولن: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة»[٢].

ولا ينكر البعث أحد إلا كفر وخرج عن ملة الإسلام كما قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٣].

فحكم سبحانه بالكفر على كل من ادعى انكاره أو كذب به، والله المستعان.

(١) سورة الصافات، الآية: ٢٤.
(٢) متفق عليه من حديث عدي.
(٣) سورة التغابن، الآية: ٧.

سبب إرسال الله تعالى للرسل عليهم الصلاة والسلام

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾(١).

[الشرح]

لقد أرسل الله جميع الرسل مبشرين برضوان الله، ومنذرين من عقاب الله كما قال تعالى ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

ولهذا يأتي النبي يوم القيامة ويُسأل هل بلَّغت؟

فيقول: نعم يا رب لقد بلغت.

وكذا الأنبياء يُسألون يوم القيامة هل قمتم بمهمة البشارة والنذارة وبلغتم دين الله على أكمل وجه؟

فيقولون: نعم يا رب لقد قمنا يذلك.

ولذا جاء في حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يارب.

فيقول: هل بلغت؟

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

فيقول: نعم.

فيقال لأمته: هل بلغكم؟

فيقولون: ما أتانا من نذير.

فيقول: من يشهد لك؟

فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ»(١).

وذلك لأن القرآن قص علينا قصة نوح وقومه فيشهد قرآوا القرآن وأتباع رسول الله عليه الصلاة والسلام بتبليغ نوح قومه دعوة الله، وفي مقدمة الشهود النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام.

فقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(٢) بمعنى لئلا يكون للبشر حجة يعتذرون بها بعد إرسال الرسل فيقولوا: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾(٣) فبعثناهم لقطع عذرهم. وبالله التوفيق.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عدي رقم [٣١٦١، ٤٢١٧].

(٢) سورة النِّساء، الآية: ١٦٥.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣٤.

أول الرسل نوح عليه السلام وآخرهم نبينا محمد ﷺ

قال رحمه الله : وأولهم نوح عليه السلام ، وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين ، والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾(١) .

[الشرح]

أول رسول أرسله الله سبحانه وتعالى إلى هذه الأمة بالدعوة إلى الله عز وجل هو: نوح عليه الصلاة والسلام كما قال جلَّ في علاه: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ فكان الوحي إلى نوح ثم بعد ذلك، تلا النبيون بعد نوح عليه الصلاة والسلام، ودعوتهم جميعاً دعوةٌ واحدة، وهي الدعوة إلى دين الإسلام وترك الوثنية والشرك.

ولنبي الله نوح عدة خصائص ومن أهمها: أنه أول نبي من أنبياء الشريعة، وأول نذير على الشرك، وأول من عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الأرض بدعائه، وكان أطول الأنبياء عمراً، وجعلت معجزته في نفسه لأنه عمر ألف سنة وقيل: لم يصبر نبي على أذى قومه ما صبر هو على طول عمره.

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

وأما خاتم الأنبياء والمرسلين فنبينا محمد عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(١).

وبالله التوفيق.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

بَعْثُ اللهِ الرسُلَ إلى جميع الأمم، ودعوتُهمْ إلى التوحيدِ واجتنابِ عبادةِ الطاغوتِ ومعنى الطاغوت

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكلُّ أمة بعث الله إليها رسولاً من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(١)، وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

[الشرح]

في هذا الفصل يبين شيخ الإسلام أنه ما من أمة إلا وقد بعث الله سبحانه وتعالى إليها رسولاً، وما من رسول إلا ويقول لأمته: اعبدوا الله وحده، فيأمرهم بعبادة الله وحده وبترك عبادة الأوثان والطواغيت.

ومعنى الطاغوت: المعبود أو المتبوع من دون الله سبحانه وتعالى.

فالصنم طاغوت، ومن ألَّهَ رسولاً أو نبياً أو مَلَكاً أو ميتاً فقد شابه هذه المؤلِّه عبادته بعبادة الطواغيت، وهذه العبادة ليست طاغوتية في حق المعبود

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

ولكنها طاغوتية في حق العابد، الذي أله الرسول أو النبي أو الملَكَ من دون الله سبحانه وتعالى.

والرسل دَعَوْا جميعاً إلى عبادة الله وحده، وإقامة التوحيد إقامةً صحيحةً على ضوء شريعة هذا الدين كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(١).

وقد عرَّف ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الطاغوت، وقال: هو ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوعٍ أو مطاع، هذا كله من عبادة الطواغيت.

وما أكثر هذه الأشياء في عصرنا الحاضر فإن كثيراً من الناس في غفلةٍ، يقول نذرت لفلانٍ الفلاني إن شفى ابنتي فإني سأذبح له بقرة، ومن هو الشافي؟

أذلك العبد الفقير أم ذلك الميت الحقير؟ أم هو الله سبحانه وتعالى؟ الذي يقول على لسان إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾(٢).

الذي بيده القدرة في الشفاء هو الله سبحانه وتعالى.

وذاك آخر يأتي إلى القبر ويسأله ويستحلفه أن يقضي عنه دَيْنهُ وهو لا يملك لنفسه لا نفعاً ولا ضراً، فكيف يمكن أن يُستعان بميت؟ والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾(٣).

ويقول ﷺ كما في جامع الترمذي لعبد الله بن عباس: «وإذا استعنت فاستعن بالله»(٤).

لا بُدَّ من اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى فإنك إذا لجئت إلى شخص وعظمته من دون الله أو اتبعته من دون الله فإنك قد أتيت بعبادة الطواغيت، وصرفت هذه العبادة الشرعية في مسلك غير شرعي ومن كان كذلك فقد أشرك

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٨٠.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٢.
(٤) سبق تخريجه.

بالله سبحانه وتعالى، ومن أشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة، حتى يرجع ويتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ ويترك عبادة الطواغيت؛ لأن الله جل في علاه يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[1].

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

تعداد لبعض الطواغيت، وذكر رأسهم والدليل على ذلك

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: والطواغيت كثيرون، رؤوسهم خمسة: إبليس لَعَنَهُ الله.

ومن عُبد وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]. وهذا هو معنى لا إله إلا الله.

وفي الحديث: «**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**» والله أعلم.

[الشرح]

هذه هي خاتمة الكتاب، وفي هذا الفصل بَيَّنَ شيخ الإسلام أن الطواغيت كثيرون، بل لو قلنا أن الطواغيت آلافٌ لما أبعدنا عن الصواب.

فإن الرجل إذا ذهب إلى بلاد الهند لوجد فيها الطواغيت والأديان التي ما أنزل الله بها من سلطان:

فذاك يعبد هرَّة، وذاك يعبد فأراً، وآخر يعبد فرجاً، وذاك يعبد الشمس،

(١) سورة البَقَرَة، الآية: ٢٥٦.

وآخر يعبد النجم، وذاك يعبد القمر، وذاك يعبد الصنم، وذاك يعبد الماء، وأديان تُضحكُ البقر إن كانت البقر ممن يضحك، وهذه كلها طواغيت؛ لأنها معبودة ومتبوعة من دون الله سبحانه وتعالى.

وشيخ الإسلام يقول بأن رؤوس الطواغيت خمسة، وذكر أولهم إبليس وهو في الحقيقة رأس الطواغيت جميعاً ومرجِعهم، فإن الأصنام لم تعبد إلا بسبب إضلال إبليس الذي أقسم على نفسه بإضلال البشرية كما قال الله عَزَّوَجَلَّ على لسانه: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾(١).

إبليس هو الذي أخذ اليمين على نفسه، وقال لرب العزة والجلال: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٢).

ويلي إبليس: مَنْ عُبد وهو راض كالهندي المدعو محمد برهان الدين رأس مكارمة العصر وقد رأيناه والناس يسجدون له من دون الله وهذه هي التحية كي يرضى على الساجدين.

وكهذا الذي في باكستان: (محمد الأَتكِيُّ) الذي في مكران، هذا رجل في مكران عُرف بأنه يدعو الناس إلى عبادته، ويقول أحياناً بأنه نبي، وأحياناً يقول بأنه إلَهٌ، وقد جعل له كعبةً في أرض باكستان واتبعه ما يزيد على مائة ألف رجل.

وقد رد عليه فضيلة الشيخ: عبد الغفار الضامراني(٣) - حفظه الله ورعاه - وهو من الدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ الموحدين في بلاد مكران.

فمن عُبد من دون الله وهو راضٍ فقد جعل نفسه طاغوتاً من الطواغيت.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٩.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(٣) في رسالته: (الفئةُ الذِّكْرِيَّةُ وَفِتَنُهَا في مَكْران - طبعة دار الفتح بالشارقة بتقديم الشيخ عبد الله السبت)، ننصح بقراءتها لما نلحظه من انتشار هؤلاء الذِّكْرِيَّةِ في بعض الدول.

والمرتبة الثالثة: ذاك الذي يدعو الناس إلى أن يعبدوه ويتبعوه ويسلموا له في كل ما يقول أو قال: اتبعوني وأطيعوني، هذا طاغوت.

من هو الذي دفعه إلى ذلك؟ الجواب: إبليس، فهو رأس الطواغيت.

وذكر هنا وقال: لعنه الله، والله سبحانه وتعالى لعنه في كتابه بمعنى طرده من رحمة الله فصار من المطرودين.

والمرتبة الرابعة: من ادعى شيئاً من علم الغيب، فهذا كافر بالإجماع؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾(١).

علم الغيب من الخصوصيات التي خص بها رب العزة والجلال نفسه.

المرتبة الخامسة: من حكم بغير ما أنزل الله مستحلاً الحكم فهو كافر بإجماع المسلمين، بخلاف ما إذا حكم بغير ما أنزل الله وهو جاهل أو حكم بغير ما أنزل الله وهو مُقِرٌّ بأنه على معصية ولم يستحل وإنما لدفع مفاسد عظيمة عن المسلمين وفي قرارته نفسه أن الحكم لا يكون إلا بما أنزل الله فهذا ليس بكافر، ولكنه وقع في الكفر الأصغر وهو على خطر عظيم وعليه أن يتقي الله؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٢)، وقال: ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٣)، وقال: ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(٤).

وفي ذلك دلالة على أن الحاكم بما أنزل الله على مراتب مختلفة.

وقد استدل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن تحكيم الطواغيب وعبادتهم كفر وشرك بقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾(٥)، والعروة هي: الدين

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٧.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

الإسلامي الحنيف الذي دعا إليه سيد الأنبياء والمرسلين، ونزل في ذلك كتاب الله سبحانه وتعالى.

وهذا هو معنى لا إله إلا الله، وهو: أن تترك الطواغيت وأن تعبد رباً ومعبوداً واحداً سبحانه.

كما استدل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بحديث: **«رأس الأمر وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد»**(١).

وهذا حديث ثابت عنه عليه الصلاة والسلام وهو في المسند وغيره عن معاذ وجاء عن غيره وهو صحيح لغيره.

فقوله: «رأس الأمر الإسلام» بمعنى: أعظم الأشياء الإسلام، أي لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، فالإسلام المتضمن الشهادتين بمنزلة الرأس من الجسد.

«وعموده الصلاة» لا يمكن للبنيان أن تقوم إلا بأعمدة، فإذا انعدمت الصلاة انعدم هذا العمود.

فالصلاة في الدين بمنزلة العمود في البيت.

وقد جاء في المسند من حديث بُريدة عن النبي ﷺ قال: **«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»**(٢).

«وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» السنام بالفتح ما ارتفع من ظهر الجمل، وذروة بضم الذال وكسرها أعلاه، أي بما هو للدين بمنزلة ذروة السنام للجمل في العلو والارتفاع.

فالجهاد في سبيل الله هو السبيل الأقوم الذي بواسطته تحصل التصفية من الشرك والوثنية حتى يعود الناس إلى الإسلام.

ولهذا كان النبي ﷺ إذا أمر الصحابة أن يجاهدوا؛ أمرهم أن يدعوا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم [٢٢٠٦٩].

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم [٢٢٩٨٧].

الناس إلى الإسلام فإن أبوا أمرهم بدفع الجزية، فإن أبوا أمرهم بالقتال - السيف - هذه هي دعوة النبي ﷺ وهي قائمة على هذا الحال إلى أن تقوم الساعة.

ثم ختم المصنف كتابه بقوله: «**الله أعلم**» وهذا من أدبه وعلمه وتواضعه.

ولذا ينبغي لمن كتب شيئاً أو أفتى أن يفوَض العلم لله سبحانه وتعالى؛

ولا يدعي الكمال في فتواه أو ما كتب، لأنه ما من شخص إلا وقد يقع في الخطأ ويرى أنه لن يصيب في بعض المسائل فيفوض الكمال في العلم لله وحده.

ولذلك روي عن ابن عباس وغيره من السلف أن: «**من قال الله أعلم فقد أفتى**».

أسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد وأن يعيننا وإياكم على طاعته، وأنصحكم بمراجعة هذه الدروس وحفظ هذه الأدلة التي ذكرناها؛ فإن حفظ الدليل يساعد الطالب على معرفة كثير من الأحكام وعلى تثبيت العلم الشرعي.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الرسالة الخامسة

شرح الأصول الستة

مقدمة الشارح[١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمورِ محدثاتها وكل محدثةٍ بدعةٌ، وكل بدعةٍ ضلالةٌ، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فهذا شرحٌ ميسرٌ على متن الأصول الستة التي جمعها شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب التميمي النجدي، وتتعلق هذه الأصول الستة بأمرين مهمين: -

الأمر الأول: التوحيد.

والأمر الثاني: العقيدة.

و قد يتساءل البعض هل هناك فرق بين العقيدة والتوحيد أم هما بمعنى واحد؟

و الجواب أن التوحيد من العقيدة، والعقيدة تشمل التوحيد وتشمل غيره.

فإن الرجل لو وحَّد الله سبحانه وتعالى بمعنى أفرده بالعبادة فهذا توحيد وفي نفس الوقت هو عقيدة لأن الرجل يعتقد أن العبادة لا تكون إلا لله وحده.

---

(١) أصل هذه الرسالة درْسٌ شَرَحْنا من خلاله الأُصُول الستة في «ثلاثة أشرطة» وقد قام بتفريغها والتعليق عليه أحد طلبة العلم ممن نحسبه على خير، والله حسيبه.

لكن لو اعتقد الرجل المسلم أن الصراط «وهو الجسر الذي على متن جهنم» يمر عليه الخلق يوم القيامة سواء كانوا مسلمين أو كانوا كافرين لكان هذا من العقيدة ولم يكن من التوحيد الذي يستلزم منه الإفراد لأنك في هذا الباب ما أفردت الله سبحانه وتعالى بشيء من ذلك، وإنما اعتقدت أن الصراط يوجد على متن جهنم، فهذا من العقيدة، وقد يدخل في قسم من أقسام التوحيد ضِمْناً أي في الألوهية لأنك إذا عبدت الله لزم أن تكون عبادتك بالأقوال والأفعال وكذلك بالاعتقاد، فبينهما عموم وخصوص، إلا أن الأصل أن التوحيد جزء أو أصل من أصول العقيدة.

وإذا أردنا أن نتعرف على حقيقة التوحيد وعلى حقيقة العقيدة.

فالتوحيد في اللغة بمعنى الإفراد، فلو انك قلت فلان وحَّد الله لكان المعنى: أنه جعل العبادة لله الواحد الأحد، فأفرده بالربوبية وبالألوهية وبالأسماء والصفات.

فوحَّد بمعنى أفرد، فالتوحيد لغة بمعنى الإفراد.

وفي الاصطلاح الشرعي: إفراد الله سبحانه وتعالى بالربوبية والألوهية و الأسماء والصفات.

ومعنى ذلك في باب الربوبية: أن تعتقد أن الله عز وجل هو المدبر والخالق والرازق والمالك، وهو على كل شيء قدير.

وهذا التوحيد لو حققه الشخص لا يكون بإفراده هذا مسلماً بل لابد من تحقيق التوحيد الذي يليه وهو توحيد الألوهية.

الذي بمعنى: عبادة الله وحده، ويسمى توحيد الطاعة.

ولا يكفي هذان النوعان في مسمى الإيمان إذ لا بدَّ من توحيد الأسماء والصفات.

وتوحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله بكل ما سمَّى ووصف به نفسه في كتابه، وبما سمَّاه ووصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

وليكن في علم الجميع أن إبليس يعترف بتوحيد الربوبية، ودليل ذلك ما قاله الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم على لسان إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[(١)] فقوله «رب» اعترافٌ منه بتوحيد الربوبية، وكذلك الكفار المشركون واليهود والنصارى هؤلاء جميعاً يعترفون بتوحيد الربوبية لكن ليسوا بمسلمين لأنهم لم يحققوا بقية أقسام التوحيد ولهذا قال الله عنهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[(٢)].

فهم يعترفون بتوحيد الربوبية.

وإنما وقع الخلل في الجملة عند إبليس وأتباعه من المشركين واليهود والنصارى والمجوس ونحوها من ملل الكفر في توحيد الألوهية والأسماء

والصفات وقد أشرنا إلى ذلك مفصلاً في دروسٍ مختلفة بما لا يحتاج إلى مزيد.

ونفهم مما سبق أن التوحيد ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد الربوبية.

الثاني: توحيد الألوهية.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

وبعض العلماء يقسمون التوحيد إلى قسمين فيقولون:

الأول: توحيد المعرفة والإثبات وقصدوا به: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، بمعنى يلزمك أن تعترف بوجود الرب الواحد الرازق، وأن تثبت له الأسماء والصفات من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

الثاني: توحيد الطلب وقصدوا به توحيد الألوهية، لأنه طلبُ الله من عبده في أن يعبده سبحانه لا شريك له.

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٦.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.

وكلا طريقتي التقسيم تؤدي إلى مراد واحد، فلا مشاحة في الاصطلاح.

أما تعريف العقيدة في اللغة فمأخوذة من العقد بمعنى الربط والشد، ومن ذلك عَقدةُ الحبل.

فأنت إذا اعتقدت شيئاً انعقد عندك هذا الشيء بمنزلة عقدة الحبل على الحبل.

كقولك: حائط وساعة وكتاب فهذه الأشياء لا تحتمل معنى أخر غير ما سميت له لأن القلب قد عقد ذلك، ولأن القول بخلاف ذلك دليل على ذهاب عقل المتكلم.

وفي الاصطلاح الشرعي: العقيدة هي ما يعتقده الشخص في صحة ما يدين الله به، فإن وافق الواقع فصحيح وإن خالف الواقع فباطل.

فلو أن رجلاً اعتقد أن الله عَزَّوَجَلَّ في السماء على عرشه استوى فهل هذه عقيدة وافقت واقع الكتاب والسنة أم لا؟

الجواب: نعم عقيدة وافقت واقع الكتاب والسنة.

إذاً هي عقيدة صحيحة.

لكن لو أن رجلاً اعتقد أن الوليَّ الفلاني ينفع ويضر من دون الله،فهل هذه عقيدة صحيحة أم باطلة؟

الجواب: باطلة لأنها خالفت الواقع.

والمقصود بالواقع هنا واقع الكتاب والسنة.

هذه المقدمة ابتدأت بها لتكون مدخلاً لهذا الدرس، ونشرع الآن في ما كتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله في الأصول الستة، وبالله التوفيق.

مقدمة المصنف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أعجب العجاب وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب؛ ستة أصول بيَّنها الله تعالى بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظن الظانون، ثم بعد هذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل.

[الشرح]

هذه هي مقدمة المؤلف، يجوز أن تقول مُقَدِّمَة بكسر الدال، ويجوز أن تقول مُقَدَّمَة بفتح الدال، فإن قلتَ مُقَدِّمَة وهذا مذهب جمهور اللغويين فمعناه أنها تُقَدِّم الكتاب وتُعَرِّف القارئ بما في باطنه، وإن قلتَ مُقدَّمة بفتح الدال وهذا مذهب ثعلب فمعناها أنها أولى ما ينبغي أن يتعرف عليه القارئ، فيجوز هذا وذاك إلا أنها بالكسر أشهر.

وعادةً نجد أن المصنفين يبتدئون مصنفاتهم بالبسملة لماذا؟

الجواب: لأن البسملة تعتبر ذكراً لله فيتبركون بالابتداء بها.

ولكون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يكتب الرسائل والكتب ويبتدئ ذلك ببسم الله الرحمن الرحيم، وجاء في الحديث الذي أخرجه الرهاوي في الأربعينيات أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «كل أمرٍ ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع»[1] بمعنى لا

(١) أخرجه عبد القادر الرهاوي في الأربعين من حديث أبي هريرة، وهو ضعيف جداً.

بركة فيه، وهذا الحديث لا يثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام، وإنما صح من فعله وفعل السلف الصالح رضوان الله عليهم، ولهذا أجمع أهل العلم كما نقل هذا القرطبي في الجزء الأول من تفسيره أجمعوا على جواز كتابتها في بداية المصنفات(١).

وقول المصنف عليه رحمة الله «من أعجب العجاب وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول».

الأصول: جَمْعٌ مفردها أصل، والأصل في اللغة بمعنى الأساس كما قال تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾(٢).

ويرد الأصل عند علماء الشرع على القاعدة بمعنى الشيء الذي له فروع، وعلى سبيل المثال يقولون: الأصل في الأوامر الواردة في الكتاب والسنة الدلالة على الوجوب.

وفروع هذه القاعدة عند الفقهاء: أنَّ أي أمر ورد في الكتاب أو السنة فإنه يدل على الوجوب، لأن الأحكام ترجع في الأوامر إلى هذه القاعدة.

فقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(٢) أمر.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾(٣) أمر.

وكذلك ما ورد في السنة من أوامر كلها تعود إلى أصل واحد مُطَّرد وهو: الأصل في الأمر الوجوب إلا أن يصرف بصارف.

فشيخ الإسلام عليه رحمة الله استخرج هذه الأصول وهي الستة من مضمون الكتاب والسنة، وبيَّن أنها تعتبر مراجعَ للأمة، كي ترجع إليها حتى تعتقد العقيدة الصحيحة وحتى توحد الله عَزَّوَجَلَّ توحيداً صحيحاً.

---

(١) قال القرطبي في تفسيره [١ / ٩٧]: اتفقت الأمة على جواز كَتْبِها في أول كل كتاب من كتب العلم والرسائل ا.هـ.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

وقوله: «**من أعجب العجاب**» بمعنى أن من المدهش أن الناظر في الآيات.

الواردة في كتاب الله سبحانه وتعالى والتي تدل على قدرته لكونه المالك لهذا الكون والخالق والمدبر له يجد أن الله عَزَّوَجَلَّ ذكر هذه الأصول الستة وبينها في كتابه وفي سنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

لهذا قال «وبينها» بمعني وضحها بياناً بمعنى فصلاً واضحاً بحيث أن العامي والعالم يظهر له معرفتها إلا من زاغ عن الحق واتبع الهوى.

لكن مع هذا قد لا يدرك أحياناً العالم ذلك بسبب الهوى أو التعصب المذهبي.

فإنك لو سألت رجلاً جهمياً أو صوفياً أين الله؟

لقال لك: الله في كل مكان، وقد يكون المجيب من العلماء الكبار اللذين درسوا الكتاب والسنة، ولكن درسوا الكتاب والسنة دراسةً على غير هدى.

فكذلك العامي بفطرته يدرك هذه الأشياء ولكن بسبب هذه الأهواء وهذه الضلالات يقع فيما وقع فيه من الضلال.

ولذا شيخ الإسلام يقول [فوق ما يظنه الظانون] بمعنى أن وجود هذه الأصول الستة التي سيأتي ذكرها واضحة جليلة بأدلتها في الكتاب والسنة فوق ما يتصوره العامة من الوضوح والبيان فضلاً عن غيرهم من العلماء.

ومع ذلك [غلط فيها كثير من أذكياء العالم].

ولا شك أن في الصوفيين وغيرهم من أهل الأهواء أذكياء وفيهم دعاة وفيهم عقلاء،ولكن ما نفعهم هذا الذكاء ولا هذا العقل لماذا؟

لأنهم لم يسلكوا طريق الجادة فشذوا عن الحق فوقعوا في الضلال وهذا عين خطئهم.

فالذكاء وحده لا ينفع ما لم يُتوَّج صاحبه بالهداية.

لكن يستثني شيخ الإسلام النجدي عليه رحمة الله بعض العلماء ومن نهج منهجهم من طلبة العلم وبعض العامة، فقال: [إلا أقل القليل] من هم هؤلاء؟

هؤلاء هم أهل السنة والجماعة.

فهم الذين يدركون هذه الأصول التي ذكرها شيخ الإسلام، لأنهم أقاموا اعتقادهم وعقيدتهم على الهدى الذي جاء به محمد ﷺ والهدى نوعان:

هدى إرشاد وهدى إلهام.

فهدى الإرشاد: باستطاعة العبد أن يهدي غيره بإذن الله جل وعلا وذلك لأنه بمعنى بيان الحق من خلال الوعظ، فالنبي ﷺ وعظ وقد هدى الله على يديه كثيراً من الأمة وفي مقدمتهم الصحابة رضوان الله عليهم حيث علَّمهم هذا الدين بعد أن كانوا مشركين، ولذا قال عزوجل: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١) كذلك القرآن هداية إرشاد لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾(٢).

أما هداية الإلهام وهي الهداية التي لا يملكها إلا الله وحده فهي المقصودة من قول الله عزوجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾(٣).

فلو كان النبي عليه الصلاة والسلام مستطيعاً أن يهدي من شاء لما بخل على عمه أبي طالب ومع ذلك مات كافراً، ولما بخل على أبي لهب الذي شهر بأبي الحكم في الجاهلية وكان النبي عليه الصلاة والسلام يطمع في إيمانه وخصوصاً أنه عمه ومع ذلك مات كافراً وغيرهم كثير، فهذه الهداية ليست تحت قدرة العبد بخلاف هداية الإرشاد. وبالله التوفيق.

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩.
(٣) سورة القصص، الآية: ٥٦.

الأصل الأول

إخلاص الدين لله وحده لا شريك له

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: الأصل الأول: إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى، بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار، أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين، والتقصير في حقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتِّباعهم.

[الشرح]

هذا الأصل الأول وهو الإخلاص في العبادة، وكما قلنا في دروس كثيرة لا تكون العبادة مقبولة إلا بشرطين: هما الإخلاص والمتابعة.

والمقصود بالإخلاص: أن تخلص العبادة لله سبحانه وتعالى لا شريك له.

فلو أن رجلاً عبد الله عَزَّوَجَلَّ ولم يخلص بمعنى أشرك مع الله غيره فهذا مشرك منافٍ بعمله حقيقة الإخلاص، لأن الإخلاص شرط في العبادة كما قال سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1].

ومن كان كذلك فقد شابه مشركي العرب في نوعٍ من أنواع الشرك

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

المخرج من الملة أو غير المخرج من الملة فالأول الأصغر كالرياء، والثاني الأكبر: وهو أن تجعل لله نداً وهو خلقك، ومنه قوله تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[(١)].

إذن الإخلاص ينافي شيئين اثنين:

الأول: الشرك الأكبر.

والثاني: الشرك الأصغر.

فالشرك بنوعيه ينافي الإخلاص تماماً لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[(٢)].

فالذبح عبادة فمن ذبح لغير الله فقد أشرك، والنذر عبادة فمن نذر لغير الله فقد أشرك، وأيضاً من اعتقد أن الصنم الفلاني أو الحجر الفلاني

أو الشجر الفلاني ينفع من دون الله فهذا من الشرك الأكبر.

وكذلك لو أن رجلاً استغاث بغير الله، جاء إلى ولي من أولياء الله، وقال: اشفِ لي ولدي، أو جاء إلى قبرٍ من القبور فقال للميت يناديه: اشفِ لي ولدي و سأذبح لك كذا وكذا.

هذا كله والعياذ بالله يعتبر من الشرك الأكبر.

وأما الشرك الأصغر كالرياء فهو ينافي كمال التوحيد ولا يعتبر صاحبه خارجاً عن ملة الدين كأن يصلي الشخص لله عَزَّوَجَلَّ لكن يطيل في قيامه وركوعه وسجوده على غير عادته من أجل أن يمدحه الناس في هذه الزيادة بعينها، أما إذا صلى من أجل فلان فهذا شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام والعياذ بالله.

ومن الأصغر أن يصلي من أجل أن يقال عنه مصلي، ويصوم من أجل أن يقال عنه صائم، ويجاهد من أجل أن يقال مجاهد ويتعلم العلم من أجل أن يقال عالم فهذا من الرياء وهو من الشرك الأصغر.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.
(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **«إن أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في ثلاثة، رجل قاتل في سبيل الله حتى قتل يؤتى به فيقال له يا فلان - بعد أن يعرفه الله عَزَّوَجَلَّ النعم - ما فعلت بها؟ فيقول قاتلت في سبيلك حتى قتلت، فيقال له كذبت إنما قاتلت ليقال فلان جريء وقد قيل ثم يسحب على وجهه فيلقى في نار جهنم، ورجل آتاه الله مالاً فأنفقه في وجوه شتى يؤتى بها - ويعرفه الله عَزَّوَجَلَّ بالنعم عليه - فيقال له ما فعلت بها فيقول يا رب ما وجدت باباً من أبواب النفقة إلا وأنفقت فيك، فيقال له كذبت إنما أنفقت ليقال جواد وقد قيل ثم يسحب على وجهه فيلقى في نار جهنم، و رجل تعلم العلم وقرأ القرآن وعلمه يؤتى به يوم القيامة ويعرفه الله عَزَّوَجَلَّ بالنعم عليه فيقال له يا فلان لماذا تعلمت العلم وقرأت القرآن، فيقول يا رب تعلمت العلم فيك وقرأت القرآن فيك، في بعض الروايات تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن وعلمته فيك، فيقال له كذبت إنما تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ وقد قيل ثم يسحب على وجهه فيلقى في نار جهنم»**.

هؤلاء الثلاثة عبدوا الله عَزَّوَجَلَّ فذاك قاتل مع المسلمين ضد الكفار، وذاك أنفق أموالا عدة، وذاك تعلم العلم وعلمه الناس، ولكن لما كان الرياء ديدنهم ما نفعهم ما عملوا من الأعمال، بل صار الحال كما قال الجبار «وقدمنا إلى ما عملوا....».

إذن الإخلاص ينافي التوحيد، وقد ذكر المؤلف أن كثيراً من آيات القرآن الكريم هذا الأصيل الأصيل وهو: إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله.

ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾[1].

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

وغيرها آيات كثيرة.

بل ربع القرآن توحيد وتحذير من الشرك، لأن القرآن الكريم أحكامٌ وعقيدةٌ ومواعظُ وقصصٌ، فهذه أقسام أربعة اشتملت عليها آيات القرآن الكريم.

وقد كانت دعوة الأنبياء جمعياً إلى هذا الأصل بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٣).

فكل الرسل عليهم الصلاة والسلام قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ بمعنى اخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له.

وهذه الآيات جاءت بألفاظ واضحة جليلة لكل مسلم كما قال المصنف «بكلام يفهمه أبلد العامة».

والبليد يطلق في العربية على معانٍ منها الذي لا يفهم.

فشيخ الإسلام يقول إذا كان البليد يفهمها على ظاهرها ويعقل مدلولها فكيف بمن تبلَّد من أهل الشرك والأهواء والبدع وخالف مدلول ما ورد عن الله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار، أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين، والتقصير في حقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتِّباعهم».

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

ذكر شيخ الإسلام النجدي أن الشيطان أظهر للمشركين القدماء الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقهم حتى أوقعهم في الشرك بالله.

وقد ذكر المفسرون عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[1] أن هذه أسماء رجال صالحين صوَّرها الناس قديماً معتقدين أن من حق الصالحين عليهم تعظيمهم وتصويرهم، ولما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن يقيموا لهم التماثيل والصور; لينشطوا- بزعمهم- على الطاعة إذا رأوها، فلما ذهب هؤلاء القوم وطال الأمد، وخَلَفهم غيرهم، وسوس لهم الشيطان بأن أسلافهم كانوا يعبدون التماثيل والصور، ويتوسلون بها، وهذه هي الحكمة من تحريم التماثيل، وتحريم بناء القباب على القبور; لأنها تصير مع تطاول الزمن معبودة للجهال.

واليوم بعض الناس وخصوصاً الصوفية يعتقدون أن التوحيد أن تعترف بتوحيد الربوبية وأن تعظيم الموتى والأولياء والذبح لهم والإستغاثة بهم من الأمور المشروعة التي لا تنافي التوحيد الخالص، فمن زين لهم هذا الأمر؟

إنه الشيطان الذي دخل على المشركين من هذا المدخل.

فما أشبه الليلة بالبارحة!!

ولذا تجد الصوفي يظهر أنه مخلص وهو مشرك أو ضال أو مبتدع، بل صوروا للناس طرقاً شركية ما أنزل الله بها من سلطان مثل الطريقة النقشبندية والرفاعية والحفاصية والشاذلية ونحوها من الطرق المبتدعة عياذاً بالله من الضلال والعمى.

قلبوا الموازين وغيروا الأصول التي دعا الإسلام إليها، ولهذا كانت هذه الأصول بمثابة الرد على هؤلاء المبتدعة الذين غيروا وبدلوا فسحقاً لمن غيَّر وبدل.

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢٣.

الأصل الثاني

أَمْرُ الله بالاجتماع ونهيه عن الافتراق

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: الأصل الثاني أَمَرَ الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق فيه، فبين الله هذا بياناً شافيا تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المرسلين بالاجتماع في الدين ونهاهم عن التفرق فيه، ويزيده وضوحاً ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الأمر بالاجتماع في الدين لا يقول به إلا زنديق أو مجنون!.

[الشرح]

الاختلاف في الدين شر تأباه الشرائع ولا تألفه النفوس، وقد حذر سبحانه وتعالى منه في كثير من آياته ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

وقوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[(١)].

وقوله تعالى: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾[(٢)].

وأخرج الإمام أبو داود في سننه بسند لا بأس به وكذا أخرجه الإمام أحمد في مسنده وأصله في الصحيحين: أن عبد الله بن مسعود صلى أربعاً في منى في موسم الحج، قال فقيل له عبت على عثمان ثم صليت أربعاً قال: «الخلاف شر».

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ذروني ما تركتكم فإنما أهلك أهل الكتاب قبلكم أو من كان قبلكم بكثرة اختلافهم على أنبيائهم وكثرة سؤالهم فانظروا ما أمرتكم به فاتبعوه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فدعوه أو ذروه».

وقد أجمع علماء الأمة على أن الخلاف شر لا يجوز في دين الله.

ولذا جعله ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصلاً من أصول الإسلام، وقال فيه: «فبين الله هذا بياناً شافيا تفهمه العوام».

لو جئت إلى عامي لا يقرأ ولا يكتب أو هو يقرأ ولا يكتب، وقلت له هل يجوز للأمة أن تكون متفرقة أو هل ترضى التفرق؟

لقال لك: لا يجوز للأمة أن تكون متفرقة ولا نرضى التفرق، لماذا؟ لأن التفرق متى ما وجد في المجتمعات فلا يمكن أن يوجد الأمن ولا الاستقرار ولا الأمان.

ولذا فالنبي عليه الصلاة والسلام عندما بدأ دعوته في قريش بدأها بالأمر الأول وهو الإخلاص، إخلاص الدين لله سبحانه وتعالى فلما دخلت الطائفة المنصورة في دين الله وانتظمت مع رسول الله عليه الصلاة والسلام من

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.
(٢) سورة الروم، الآيتان: ٣١، ٣٢.

المهاجرين و الأنصار وغيرهم أوجد الاجتماع وآخى بين المهاجرين والأنصار، وكذلك لما وحَّد الله الأوس والخزرج في أرض المدينة قام النبي ﷺ بالعمل الثاني وهو الاجتماع إذاً التفرق منبوذ في شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، بل وفي كافة الشرائع، ولذلك يقول الله عز وجل في كتابه الكريم ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

فاللذين تفرقوا واختلفوا هم اللذين خرجوا عن السير الصحيح الذي سنه الأنبياء قبل محمدٍ عليه الصلاة والسلام.

وللأسف أن التفرق قد حصل حتى ظن بعض الناس أن هذا التفرق يمكن أن يَجمع الأمة وإن اختلفت العقائد، كما قال بعضهم: «نتعاون في ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»، وهذا خطأ، والصحيح أن يقال: «نتعاون في ما اتفقنا عليه وينصح بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»، لماذا؟

الجواب: هذا صوفي وذاك شيعي رافضي وآخر جهمي وذاك أشعري فقوموا جميعاً نتكاتف من أجل أن نكون يداً واحدة، هل يصلح هذا الاجتماع؟ الجواب: لا يصلح لأن هذه فرق هالكة خرجت عن الاجتماع الذي دعا إليه النبي عليه الصلاة والسلام ولأنها أخذت بطريقة اليهود والنصارى عندما تفرقوا واختلفوا على أنبيائهم فصاروا فرقاً متعددة تجمعهم المصالح الدنيوية ليس غير، وهذا ما أخبر عنه النبي عليه الصلاة والسلام كما في حديث معاوية وحديث عوف بن مالك أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.

قالوا: وما هي يا رسول الله؟

قال: ما كنت عليه أنا وأصحابي».

هذا الأشعري الذي أوَّل الصفات هل هو على منهج رسول الله؟أو منهج الصحابة حاشا لله، وهذا الرافضي الذي يسب الصحابة ويكفر الصحابة هل هو على منهج رسول الله؟ حاشا لله، وهذا أيضاً المتصوف الذي أتى برهبانية

ما قبل الإسلام والتي ما أنزل الله بها من سلطان هل هو على منهج النبي وأصحابه؟

الجواب: لا، لأن الأصل الأول وهو الإخلاص ينافي ما عليه أهل الأهواء والضلال، فمن أجل أن نحقق الأصل الثاني وهو الإجتماع نقول لهم اخلصوا لله وحده، وذلك بنبذ هذه العقائد التي تنافي شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ثم لنتحد على الكتاب والسنة لأن القلوب حينها ستكون واحدة، فصلاح الداخل مقدم على صلاح الخارج.

أما اجتماع ووحدة من أجل الحزب أو الجماعة أو المنصب أو الأغراض الشخصية فلا وحدة ولا اجتماع.

لأن النبي عليه الصلاة والسلام يُسأل كما في مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة والحديث لا بأس بسنده «قيل يا رسول الله أي الناس خير؟

قال: أنا ومن معي.

قيل: يا رسول الله ثم من؟

قال: اللذين على الأثر - بمعنى اللذين يتتبعون آثار المصطفى وآثار الصحابة ويكون نهجهم وطريقتهم ما كان عليه الرعيل الأول.

قيل: ثم من يا رسول الله؟

قال: اللذين على الأثر.

قيل ثم من؟

فرفض، بمعنى أنه لم يزد على ذلك.

إذن من أميرنا؟ الجواب: محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، ولما مات محمد بن عبد الله خلفه الذي يليه حتى تعددت البلدان الإسلامية وصار لكل بلدة أمير، فأميرنا في هذه البلاد هو ولي الأمر الذي يحكم البلاد حتى وإن كان فاجراً أو فاسقاً لأن النبي عليه الصلاة والسلام أمرنا بالسمع والطاعة كما سيأتي في الأصل الثالث.

فالخلاف شر وسبب لهلاك الأمم والشعوب.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين».

هناك بلية أصابت بعض المسلمين حتى تمكنت من بعض علمائهم وهي انشغال كثير منهم ببسط الخلاف في الأصول والفروع على اعتبار أن الخلاف من الفقه والعلم وأنه رحمة الله في هذه الأمة مستدلاً بحديث: «اختلاف أمتي رحمة»(١) وهو حديث ضعيف جداً.

والأصل أن الخلاف شر ونقمة كما سلف وليس بسط مسائل الخلاف من العلم في شيء إلا في حالة ما إذا أراد العالم أن يبين وجوه الاختلاف ليحقق المسألة ويأتي بالقول الراجح فيها، أما أن يكون ذلك لاشغال الأمة واشعال نار الفتنة بينها والتشهي والإختيار ولو كان القول ضلالاً أو كفراً فليس من العلم بل ذلك سبيل خطير لمحاربة أتباع محمد عليه الصلاة والسلام.

وقد نقل جماعة من أهل العلم بعض النقول التي يؤكد فيها أئمة العلم والاجتهاد حرمة التقليد متى ما صح الدليل، وأنه لا يقدم إلا قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وبالمقابل صار عند بعض الجهال: «الأمر بالاجتماع في الدين لا يقول به إلا زنديق أو مجنون» بسبب مشايخ الضلال الذين أخذوا عنهم في علماء الملة الصحيحة بغير حق وقد اتهمو شيخ الإسلام النجدي وقبله ابن تيمية بالزندقة والجنون بسبب الدعوة إلى الاجتماع والدين الحق.

وهكذا تنقلب الموازين عند دعاة الضلال كي يشعلوا نار الفتن بين المجتمعات الإسلامية وحتى لا يسقطوا عند أتباعهم ممن يرى أن التفرقة والاختلاف رحمة ومن دين الله اتباعاً للهوى وحرصاً على الدنيا وشهواتها.

---

(١) عزاه الهندي كما في الكنز: (١٠/ ٢٣٨) لنصر المقدسي في الحجة والبيهقي في رسالة الأشعرية، وقال المناوي: لم أقف له على سند صحيح، وقال العراقي: سنده ضعيف. اهـ

والحاصل: أن الاجتماع وهو الأصل الثاني لا يمكن أن يتحقق إلا بتحقق الأصل الأول وهو الإخلاص على مراد الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، وبالله التوفيق.

الأصل الثالث

السمع والطاعة لولاة الأمر في المعروف

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: الأصل الثالث أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبداً حبشياً، فبيَّن الله هذا بياناً شائعاً كافياً بوجوه من أنواع البيان شرعاً وقدراً، ثم صار هذا الأصل لا يُعرف عند أكثر ممن يدعي العلم فكيف العمل به؟!

[الشرح]

إذا وجد الإخلاص كما قلنا آنفاً وجد الاجتماع، وإذا وجد الاجتماع لزم جماعة المسلمين الأمير الذي يرجعون إليه، وإذا وجد الأمير لزم السمع والطاعة في المعروف، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أمر بذلك كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي ذر قال: «وصَّاني خليلي أن أسمع للأمير ولو كان عبداً حبشياً مجدب الأطراف».

بمعنى أن الأمة لو اتفقت على عبد حبشي وهو أميرها فيلزمها السمع والطاعة.

والسمع والطاعة يشترط له شرط وهو أن تكون الطاعة فيما هو معروف من الدين، ولا نخرج حتى نرى كفراً بواحاً لحديث عبادة كما في الصحيحين قال: «بايعنا النبي عليه الصلاة والسلام على السمع والطاعة وعلى أثرة منا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان».

في بعض الروايات «بايعنا النبي عليه الصلاة والسلام على السمع والطاعة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»، وفي بعضها «في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا» وهكذا النبي عليه الصلاة والسلام يأخذ هذه البيعة بهذه الأمور

وجاء في صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك أن النبي عليه الصلاة والسلام قال «خيار أئمتكم اللذين تحبونهم ويحبونكم. ونحن نحبهم لماذا؟ لأنهم منعوا سفك الدماء، وأوجدوا الأمن والاستقرار، ولأنهم أمراء مسلمون، جمعوا الله بهم شمل الأمة ودفعوا عنها كثيراً من الفتن» ويحبونكم «حكامنا يحبوننا إن سمعنا وأطعنا وتفطنا لواقعنا وواقع الأمة ولخطر الخروج عليهم، «ويصلون عليكم وتصلون عليهم» بمعنى تدعون لهم ويدعون لكم، وشرار أئمتكم اللذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، فقيل يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف «أي هؤلاء اللذين نبغضهم بسبب بعض المعاصي وبعض الأخطاء والمخالفات» أفلا ننابذهم بالسيف، قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة «ثم قال عليه الصلاة والسلام «وإن كرهتم شيئاً منهم فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة».

هكذا النبي عليه الصلاة والسلام يعلم الصحابة رضوان الله عليهم أنه من تمام الاجتماع وجود السمع والطاعة.

فأنت إذا ذهبت إلى السعودية فأميرك في تلك البلاد هو الحاكم هناك، ولو ذهبت إلى الإمارات فأميرك هو حاكم الإمارات، إذا ذهبت إلى اليمن فأميرك هو ذلك، لأنك ما دخلت إلا بتأشيرة، وهذه التأشيرة معناها أنك أثبت الولاء والطاعة لأمير البلد المسلم.

أما إذا ذهب الرجل إلى غير بلاد المسلمين فذاك الكافر النصراني أو اليهودي ليس بأمير لك، ولكن عليك أن تحافظ على قاعدة درء المفسدة وجلب المصلحة وأن تنظر إلى كيفية التعامل مع أُولئك القوم كما كان السلف يفعلون في عهد رسول الله وبعده.

وللأسف أنه وجد في زماننا اليوم من يقول بأن حكام المسلمين اليوم لا سمع لهم ولا طاعة لماذا؟

قال: لأن البيعة إنما تكون لأمير العامة أي الذي يحكم البلاد من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها، نقول هذا أمر غير معقول، وأهل السنة والجماعة متفقون أنه متى ما وجد أي والٍ في أي منطقة فيلزم الطاعة وأميرك هو أمير تلك المنطقة ذاك.

ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام كان يبايع وتقام له البيعة لما كان أميراً على هذه الدول التي عنده اليمن والشام والمدينة ومكة ونحوها ثم لما حصلت الفتنة وحصل التفرق في الدولة العباسية ووجدت الدويلات المتعددة، أجتمعت كلمة أهل السنة والجماعة على السمع والطاعة لكل وال في منطقة أو بلدة من البلدان وإن انفصل فله حق البيعة دفعاً للدماء حتى وإن وجد الظلم أو الفجور وإن بيعت الخمور وإن سفكت الدماء، وأمره لله وحده وعلى علماء الملة نصحه وتحذيره وتخويفه بالتي هي أحسن كما شرع الله جل وعلا ما لم نر كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان.

هذا عبد الله بن عمر ﷺ عاش في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي والحجاج بن يوسف معروف بسفك الدماء وبقتل الأبرياء وبالظلم حتى قيل بأنه قتل مائة ألف صبراً، ومع ذلك لم يقل عبد الله بن عمر لابد أن ننزع يد الطاعة من هذا الرجل ولابد من الخروج عليه، لماذا؟ لأنه فقه البيعة ووفقه السمع والطاعة، ولما كان علي بن أبي طالب أميراً ثم حصلت الفتنة ثم انتقلت الإمارة إلى الحسن ثم بعد ذلك تحولت إلى معاوية ذهب بعد ذلك عبد الله بن عمر مع بنيه إلى معاوية من أجل إقامة البيعة فبايع معاوية، هذا هو المنهج السليم في هذا الباب.

والدولة الأموية والعباسية وجد فيهما الفجور وبيع الخمور والفسق والظلم، وكان من الأئمة الأعلام في أواخر العصر الأموي ودنو العصر العباسي الإمام مالك إمام دار الهجرة والليث بن سعد المصري الفهمي

والأوزاعي والزهري محمد بن مسلم وأئمة كثيرون، ومع ذلك ما قالوا للناس هؤلاء فجرة وهؤلاء باعوا الخمور وهؤلاء فعلوا من المعاصي كذا وكذا، بل بايعوا وأقاموا الطاعة والولاء لأولئك الولاة مع النصح والتخويف من مخالفة شرع الله.

أهل السنة والحمد لله دعتهم دعوة حكيمة ودعوة لين وتسامح وعطف ولا يمضون إلا على ضوء كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ذكر ابن مفلح عليه رحمة الله في كتابه المعروف الآداب الشرعية أن جماعة من الفقهاء جاءوا إلى الإمام أحمد بن حنبل وقالوا له: يا أبا عبد الله لا يخفاك ما ظهر من الحاكم من الظلم والجور ومن الفسق والمعاصي، ومن نصرته للمبتدعة فما رأيك لو خرجنا؟

فقال: لا تفعلوا، لا تسفكوا دمائكم ودماء المسلمين معكم، ولا تنزعوا يداً من طاعة هذا مخالف للآثار.

هكذا يقول: هذا مخالف للآثار.

الآثار التي جاءت عن النبي عليه الصلاة والسلام.

لا يخفى على الجميع أن الأمر كما قال المصنف أن النبي علي الصلاة والسلام بيَّنَ أن من تمام الاجتماع وجود السمع والطاعة وهذا البيان كان من رسول الله عليه الصلاة والسلام بياناً شائعاً أي انتشر «شرعاً وقدراً» شرعه الله في كتابه وفي سنة النبي ﷺ، وقدراً: أي قدَّره في الأزل كما قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(١).

وستبقى على هذا الخير إلى قيام الساعة كما جاء في الصحيحين من حديث معاوية، وجاء من حديث ثوبان عند مسلم قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك».

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

فالله عَزَّوَجَلَّ قدر في الأزل أنه لابد من وجود الاجتماع ولا اجتماع إلا بسمع وطاعة.

لكن: صار هذا الأصل وهو الاجتماع لا يعرف عند كثير ممن يدعي العلم.

هل ينتسب إلى هذه الفرق الموجودة والجماعات المتعددة علماء أم لا؟

الجواب: بعضهم ينتسب إلى أهل العلم ويدعي أنه من أهل العلم ويتأمر على جماعة أو يتأمر على حزب أو يتأمر على طائفة، ويدعي العلم لكنه ما عرف حقيقة الاجتماع بل تسامح بوجود هذه الجماعات وأنها من دين الله.

حتى قال بعضهم: «الجماعات من الدين وإن كان فيها أمراء».

فتفرقت كلمة الأمة وبقي العامة في حيرة من هو صاحب الحق؟ هذا أم هذا أم هذا؟

فكلٌ يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

كلٌ يقول بأنه صاحب الحق على ما كان عليه النبي وأصحابه.

إذاً فالعمل بالسمع والطاعة يتعذر تمامه إن وجد في المجتمعات من يقول لا مانع من تعدد الجماعات الحزبية، فهي مسميات متعددة ومنوالها واحد

وهو نصرة الدين، هذا خطأ يجب علاجه ولكن بالعلم والحكمة والنصيحة الصادقة. وبالله التوفيق.

الأصل الرابع

بيان العلم والعلماء والفقه والفقهاء

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: الأصل الرابع بيان العلم والعلماء، والفقه والفقهاء، وبيان من تشبه بهم وليس منهم. وقد بين الله هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾(١)، إلى قوله قبل ذكر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ﴾(٢) كالآية الأولى، ويزيده وضوحاً: ما صرَّحتْ به السنة في هذا من الكلام الكثير البيِّن الواضح للعامي البليد، ثم صار هذا أغرب الأشياء! وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم: لبس الحق بالباطل وصار العلم الذي فرضه الله على الخلق ومدحه، لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه وجدَّ في التحذير عنه، والنهي عنه هو الفقيه العالم.

[الشرح]

هذا الأصل مهم جداً، الأصل الأول إخلاص الدين لله، والأصل الثاني اجتماع كلمة المسلمين، والأصل الثالث السمع والطاعة للأمير، والأصل الرابع معرفة العالم من غيره، لماذا هذا الأصل الذي ذكره المصنف؟

الجواب: لأن العلم الصحيح عند العالم الرباني الذي يعرف التوحيد

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٢.

الخالص ومن كان كذلك كان معتقداً بالاجتماع والسمع والطاعة ومن لم يكن من أهل العلم الموحدين وأتباعهم فلا شك أنه سيخلط في بعض المفاهيم وسيورد الأمة إلى الجحيم.

فالمصنف يقول لك: لا بد من أمر رابع وهو أن تكون من أهل العلم الربانيين أو قريباً منهم بالسير بسيرهم وعلى طريقتهم وإن كنت من العامة، لأن العامة ثلاثة: قسم قريب من العلماء الربانيين وقسم متبع للمبتدعة وقسم ليس له همٌّ سوى مصالحه الشخصية، فهو بعيدٌ عن القسمين السابقين فالقسم الأول على خير، وأما الثاني والثالث فعلى خطر عظيم.

ومقصد المؤلف أنه يجب على الموحدين أن بينوا للناس «ما هو العلم ومنهم العلماء، وما هو الفقه ومن هم الفقهاء، مع بيان من تشبه بهم وليس منهم» حتى لا تخلط الأوراق وتتغير المفاهيم.

إذن ما هو العلم؟

العلم هو: إدراك المعلوم على ما هو عليه.

هذا هو العلم باختصار، وهو تعريف نظري لغوي.

وأما في الاصطلاح الشرعي: فالعلم هو الكتاب والسنة بطرق صحيحة على فهم السلف الصالح.

ولإيضاح قولنا «إدراك المعلوم» أقول: ما حكم الصلاة؟

الجواب: واجبة، هذا علم، لأنه إدراك حقيقة الشيء على ما هو عليه في الشريعة، فأدركنا من ناحية شرعية أن الصلاة واجبة هو علم.

أيضاً ما حكم شرب الخمر؟

الجواب: حرام، هذا شيء معلوم في الكتاب والسنة، فقولنا حرام إدراك الشيء على ما هو عليه في الشريعة.

وهنا نقول إدراك المعلوم على ما هو عليه، وأحياناً قد يكون الإدراك ليس صحيحاً فمثلاً ما حكم الصلاة؟

قال لك رجل: الصلاة ليست بواجبة، هل هذا إدراك المعلوم على حقيقته أم إدراك المعلوم على غير حقيقته؟

الجواب: على غير حقيقته فهو جهل مركب.

أيضاً رجل بيده قلم، قلت له ما هذا يا فلان؟

قال: قلم، فقال آخر: بل حمار، هذا جهل مركب لو قال لا أدري نعذره.

إذاً من أجل ردع هذا الفهم الخاطئ لابد من معرفة ما هو العلم وما هو العالم.

إذاً من هو العالم؟

والجواب هو: العالم الرباني الذي جمع بين العلم الصحيح والعمل النافع على فهم السلف الصالح.

وما هو العلم الصحيح؟

الجواب: هو علم الكتاب والسنة على ما أراد الله وأراد رسوله عليه الصلاة والسلام، والنافع الذي ينفع صاحبه.

لذلك جاء عن الإمام الشافعي عليه رحمة الله أنه قال: «ليس العلم بالحفظ وإنما العلم ما نفع».

أحياناً قد يتعلم الرجل ويكثر العلم لكنه ما يستفيد شيئاً لأنه ما نفعه وهذا لا يصلح أن يكون عالماً ربانياً، وأحياناً قد يتعلم الرجل التصوف أو الزندقة أو الرفض فهل هذا يقال له عالم؟

هذا جاهل بصورة عالم، وأمثال هذا الصنف كثير في المجتمعات الإسلامية بل وعند النصارى وعند اليهود.

فأحبارهم ورهبانهم علماء بالنسبة لهم، وفي الحقيقة هم جُهَّال وإنما لبسوا ثوب العلم.

والحاصل: ليس العلم بكثرة المعلوم فحسب بل لا بد أن يكون العلم

نافعاً بفهم السلف الصالح، فرب قليل علم وهو صحيح خير من كثير يخالف الدين، ولهذا قال الشافعي مقولته السالفة الذكر: «ليس العلم بالحفظ وإنما العلم ما نفع».

اليوم انقلبت الموازين عكسياً في كثير من المجتمعات فإنك قد تجد متصوفاً أو زنديقاً أو رافضياً يدعو إلى البدع وإلى الاستغاثة بالقبور وإلى العقائد الفاسدة ويسمى بعالم فيُبجَّل اجلال العالم، والموحد المتواضع ولو كان من كبار العلماء يعتبر عند بعض المجتمعات الجاهلية جاهلاً وربما قالوا عنه زنديق أو مجنون.

هذا الأمر هو الذي عاصره شيخ الإسلام النجدي فإنه لما ظهر قالوا عنه مجنون وقالوا زنديق وقالوا كافر وطالبوا بقتله.

وما زلنا حتى اليوم نعاني من هؤلاء الأقوام الذين يصفون علماء الإسلام الربانيين بأسوأ الألقاب، بل ربما بالكفر والزندقة، بل بعضهم في بعض البلدان أجاز للعامة إراقة دم بعض العلماء الربانيين وأنه حلال الدم، وقالوا قال النبي عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ بدل دينه فاقتلوه»**(١).

لأنه دعا إلى التوحيد ودعا إلى العلم الصحيح، وهذا يذكرني بشيخنا الوادعي عليه رحمة الله لما جاء إلى بلده وهي بلد كثر فيها في ذلك الزمان الضلال والاستغاثة بغير الله سبحانه وتعالى والتشيع والرفض فدعاهم إلى التوحيد وإلى الدين الخالص.

فاختلفت فيه الشيعة على مذهبين: فمذهب قالوا لابد أن يُمنع من الدعوة ومن تعليم الناس لأنه سيفسد عقائدهم، فلابد من سجنه ومنعه، وقوم قالوا: كان عندنا ومنا وفينا ثم بدَّل دينه بدين الوهابية والنبي يقول: **«من بدل دينه فاقتلوه»**، فأجاز للعامة إراقة دمه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٦٥٢٤ من حديث ابن عباس.

فيا سبحان الله أمران أحلاهما مر، وهذا هو الذي عاصره شيخ الإسلام النجدي عليه رحمة الله فأراد أن يبين للأمة أنه لابد من معرفة العالم ومعرفة العلم ولابد من معرفة الفقه ومعرفة الفقيه.

والفقه: لغةً الفهم، وفي التشريع النظري عند الأصوليين: هو معرفة الأحكام الفرعية بأدلتها التفصيلية، فالصلاة مثلاً واجبة هذا حكم فرعي، دليله التفصيلي قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(١)

وكذا الزنا محرم، هذا فقه، دليله التفصيلي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾(٢) وهكذا المسائل.

فالفقيه: هو الذي عرف الفقه وأدرك الأحكام الشرعية بأدلتها التفصيلية من كتاب الله ومن سنة النبي ﷺ.

لا يقال للفقيه بأنه فقيه إذا كان مقلداً، أو استدل بالرأي ولم يستدل بالدليل الشرعي.

هذا فقيه على ضلالة وإن كان يطلق عند بعضهم بأنه فقيه.

لأن الفقيه هو الذي يسند قوله إلى الكتاب والسنة، وكذلك الفقه هو الذي يؤخذ من الكتاب والسنة، فالفقيه هو الذي يدرك الأحكام الشرعية بأدلتها التفصيلية، والفقه هو معرفة الأحكام الشرعية العملية بأدلتها التفصيلية، وبهذا نتعرف على الفقيه ونتعرف على العالم.

لكن وصف العالم أعظم والفقيه أدنى لأن الفقيه في الأصل أنه يتخصص في معرفة الأحكام العملية الشرعية، والعالم يشمل الفقه ويشمل غير الفقه، فنحن إذا تعرفنا على هذا الباب وأدركناه حقيقةً فإننا بهذه الملكة نكون قد جعلنا حاجزاً بيننا وبين ما وقع فيه بنو إسرائيل.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٣.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

فبنو إسرائيل اختلط عليهم الحابل بالنابل ولم يفرقوا بين الحبر الذي كان على الهدى في الزمن القديم في زمن النبوة وبين الحبر الذي بعد موت أنبيائهم.

فالأدعياء منهم هم أولئك الأحبار الذين خالفوا شريعة الإسلام وحرفوا التوراة والإنجيل، وأتوا بأشياء وبدلوها وغيروها على خلاف ما جاء به الإسلام.

وقد ذكرهم الله بنعمه وفضله عليهم لعلهم أن يراجعوا أنفسهم فقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[1] إلى قوله قبل ذكر إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

ولكن دون جدوى حيث أقاموا العداء للإسلام وأهله وسعوا في محاربة الكتاب والسنة منذ بزوغ رسالة الإسلام حتى يومنا هذا.

وقد ذكر المصنف أيضاً أن السنة بينت العلم وبينت العالم بياناً واضحاً، وقد جاء في الكتاب والسنة كافة الأحكام الشرعية والعقدية والسلوك والآداب هذا هو بعينه العلم.

والفقه فقهان: فقه أكبر وفقه أصغر، فالفقه الأكبر هو أصول الدين وهو العقيدة، والفقه الأصغر هو معرفة الأحكام الشرعية العملية وهو بمعنى الفقه عند الإطلاق.

ومن لم يكن على ما بينا من حقيقة العالم والفقيه فهو من الأدعياء أو العامة.

اليوم تغيرت الموازين عند كثير من الناس صار العلم والفقه هو البدع والضلالات.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٢.

إذا قلت لبعضهم لابد من العلم عند المحدث الفلاني أو العلامة الفلاني كابن عثيمين أوالفوزان أو المطلق أوالجبرين.

قال بعضهم هؤلاء وهابيون، ولكن تعلموا عند فلان بن فلان العالم وتبركوا به وخذوا البركة منه فعنده الخير الكثير.

ثم ذاك الذي يرشدونك إليه رجل ضال على غير الجادة يخالف كتاب الله ويخالف سنة النبي ﷺ.

إذن: العلم عند المبتدعة هو لبس الحق بالباطل.

ولذا قال المصنف: **«وخيار ما عندهم: لبس الحق بالباطل! وصار العلم الذي فرضه الله على الخلق ومدحه، لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون! وصار من أنكره وعاداه وجدَّ في التحذير عنه، والنهي عنه؛ هو الفقيه العالم»**.

ولا مزيد على كلامه يرحمه الله.

الأصل الخامس

الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: الأصل الخامس بيان الله سبحانه للأولياء، وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعدائه المنافقين والفجار، ويكفي في هذا آية (آل عمران)، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(١)، والآية التي في المائدة وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾(٢)، وآية في سورة يونس وهي قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾(٣)، ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم وأنه من هُداة الخلق، وحفاظ الشرع، إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسول، ومن اتبعه فليس منهم! ولا بد من ترك الجهاد، فمن جاهد فليس منهم! ولا بد من ترك الإيمان والتقوى! فمن تقيد بالإيمان والتقوى، فليس منهم! يا ربنا إن نسألك العفو والعافية، إنك سميع الدعاء.

[الشرح]

هذا هو كلام شيخ الإسلام النجدي في الأصل الخامس وهو أن الله عَزَّ وَجَلَّ بين لنا من هم الأولياء.

(١) سورة آل عِمرَان، الآية: ٣١.

(٢) سورة المَائدة، الآية: ٥٤.

(٣) سورة يُونس، الآيتان: ٦٢، ٦٣.

هناك فرق بين وَلاية ووِلاية، فالوَلاية بفتح الواو من الولاء بمعنى المحبة والنصرة والوِلاية بكسر الواو بمعنى الإمارة وهي الحكومة، والمصنف يتكلم عن الوَلاية بالفتح والتي هي بمعنى المحبة، من هم أحباب الله؟

الجواب: هم أولياؤه يعني الأتقياء اللذين عُرفوا بالإيمان والتقوى، فالولي هو الرجل المؤمن التقي الذي عرف ربه الذي أقام الصلاة وآتى الزكاة وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ولذا قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾(١).

فكل تقيٍ يعتبر من أولياء الله، إذاً فالولي يختلف تماماً عن الرجل العاصي.

فالرجل العاصي لا يكون حبيباً إلى الرحمن ولا سمياً بأولياء الله لماذا؟

الجواب: لأن عز وجل قال في حق الأولياء: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢).

وقال في حق العصاة: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(٣).

عند الصوفية: الولي لا يسئل إذا لم يصل، ولذا عندهم البدوي من أولياء الله وكان ممن يترك الصلاة ويأتي بالمحرمات حتى نقده ابن دقيق العيد وضلله أهل السنة وهو عند الصوفية ولي مقرب.

والحلاج وابن العربي والشعراني وغيرهم كثير أولياء وهم من ألد أعداء الله.

إذن يستلزم من الولاية عدم العصيان.

وقد وصف الله أولياءه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾(٤) ثم

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٢) سورة يونس، الآية: ٦٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٤.
(٤) سورة يُونس، الآية: ٦٣.

بشرهم فقال ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١).

ما هي بشرى الحياة الدنيا؟

الجواب: لا يذكرون إلا بأوصاف الخير والصلاح ويكونون عند عامة الأمة محبوبين لأن الله وضع لهم القبول في الأرض ولأن الله عز وجل أحبهم ومن أحبه الله عز وجل فهو ولي.

ولذا جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل، وقال: يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل ويقول يا أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يحبه أهل الأرض، وفي بعض الروايات ويوضع له القبول في الأرض فيحبه أهل الأرض».

هذا هو الولي.

الولي: هو الرجل الصادق الذي إذا سأل الله عز وجل من خزائنه أعطاه لأنه حبيبٌ إلى الرحمن بكثرة صلاته وصيامه وتطوعه.

جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام عن ربه عز وجل أنه قال: «وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن إستعاذني لأعيذنه».

وأولياء الله كثيرون وفي مقدمة هؤلاء الأولياء الرسل ثم الصحابة وأتباع الرسل والأئمة من التابعين وتابعيهم إلى أيامنا هذه، وأضرب لكم مثلاً على صدق من كان ولياً، هذا الإمام الذهبي عليه رحمة الله في سير أعلام النبلاء يذكر قصة عن الإمام أحمد بن حنبل وهو من أولياء الله الصالحين حيث ذكر:

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦٤.

أن امرأةً أصيبت بشلل في رجليها فقالت لابنها واسمه علي يا بني اذهب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وقل له بأني مريضة من عشرين سنة واطلب منه أن يدعوَ لي، فانتقل هذا الولد البار لأمه من بلدته إلى الإمام أحمد بن حنبل وعبر النهر ووصل إلى الإمام أحمد وطرق الباب فقال من الطارق؟

قال: سائل.

قال: ما شأنك؟

قال: أريدك.

ففتح الباب، وقال لقد أرسلتني أمي إليك وقد أصيبت بشلل في رجليها أقعدها عشرين سنة وهي تدعو الله وتطلب منك الدعاء فقال الإمام أحمد يا رجل ومن يدعو لنا يكررها حتى استحى الرجل فخرج الرجل من بيت الإمام أحمد حزيناً فلحقت به امرأةٌ عجوز تجري خلفه، وقالت له أبشر لقد عزمت على أحمد بن حنبل أن يدعوَ لأمك ولقد دعا لأمك رأيته يحرك شفتيه، فلما وصل الرحل إلى أمه طرق الباب، فقالت أمه: من؟ فقال: ابنك علي.

ففتحت وإذا بها تمشي، فقال: ما الذي حصل يا أماه.

قالت: لقد شفاني الله، هذه بركة الدعاء، وهذه قصة تحكى ذكرها ابن النجار عليه رحمة الله في الذيل وذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء.

هناك أولياء هم أولياء الرحمن، وهناك أولياء هم أولياء الشيطان، فأولياء الرحمن هم اللذين يؤمنون بالله سبحانه وتعالى وبما جاء في الكتاب والسنة ويعملون بما ورد فيهما.

أمَّا أولياء الشيطان فهم المبتدعة وكل من عبد الله على ضلالة أو على جهل مصراً على بالباطل بعدما علم الحق، أو دعا الناس إلى عبادة الموتى أو إلى الاستغاثة بالقبور أو إلى محاربة أهل السنة والجماعة.

هؤلاء المحاربون هم الأولياء عند المبتدعة، والله عزَّ وجلَّ بريء من فعلهم هذا، وهم منافقون وفجَّار.

لكن قد يكون الرجل ولياً وصالحاً فيجعل له الناس مزاراً ويستغيثون به بعد موته وهو ولي وصالح وهذا موجود إلا أنه لا يرضى هذا من فعل العوام أو من فعل بعض المبتدعة، فهذا الحسن البصري عليه رحمة الله من أولياء الله الصالحين ومن أهل الحديث والفقه، لكن إذا ذهبت إلى أرض العراق إلى بلاد بني الزبير لوجدت الناس يستغيثون به، وكذلك أيضاً عبد القادر الجيلاني عليه رحمة الله من الأولياء الصالحين ومن أهل السنة ومع هذا ابتدع أقوامٌ بدعاً متعددة فجعلوا له مزاراتٌ ومقاماتٍ ما أنزل الله بها من سلطان.

إذا أراد الرجل أن يتعرف على نفسه هل هو من أولياء الله؟ فعليه أن ينظر إلى أعماله، هل أعماله موافقة للأعمال التي جاء بها المصطفى أم هي مخالفة؟

فمن كان يحب المصطفى عليه الصلاة والسلام لزمه أن يكون متبعاً لهديه لأن الناس تبعٌ لرسول الله عليه الصلاة والسلام فهو القائل كما في حديث العرباض بن سارية عند أحمد والترمذي وغيرهما والحديث صحيح لغيره قال «فمن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار».

إذن: من أحب النبي عليه الصلاة والسلام فعليه أن يكون متبعاً له لأن الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

هذه الآية على لسان رسول الله، فاتبعوني أي اتبعوا النبي عليه الصلاة والسلام.

فهؤلاء الصوفية كثيراً ما يرددون ذكر المصطفى عليه الصلاة والسلام

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

فيكثرون من ذكره ويصلون عليه لكن هؤلاء عندهم شبهة من شبه النصارى ويدَّعون بهذه الشبهة أنهم يحبون النبي عليه الصلاة والسلام وأن الذي لا يكون مثلهم فليس بمحب للنبي عليه الصلاة والسلام، هذه الشبهة هي شبهة الغلو، حتى جعلوا النبي عليه الصلاة والسلام يعلم الغيب، وقالوا بأن علم اللوح من علم رسول الله، وقالوا لولا محمد لما خلق الله الأرض ولا السماء ولا الأحجار ولا الكواكب ولا النجوم ولا ولا إلى آخره، وما علموا بأن الرسول عليه الصلاة والسلام عبد من عباد الله، اصطفاه بهذه الرسالة واختاره من بين خلقه، وأن الله سبحانه وتعالى إذا اصطفى عبداً واختاره فإنه يختاره ليبلغ رسالته ولا يخرج الرسول عن كونه عبداً من عباد الله فضل على الناس بمنزلة الرسالة والإستقامة.

بل حذره الله سبحانه وتعالى أن يأتي بشيء من عنده وهو المتبع عليه الصلاة والسلام فقال الله له ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾(١).

فحب النبي لا يكون بالصلوات المبتدعة ولا بالغلو ولا بعمل الموالد فهذه الاحتفالات بميلاد الرسول أو بإسراء الرسول أو بأعمال ما فعلها الرسول ولا فعلها الصحابة أمور مبتدعة.

إن حب النبي لا يكون إلا باتباع النبي عليه الصلاة والسلام على ما ورد في الكتاب وورد في السنة.

ثم ذكر المصنف قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾(٢) لبيان أن بعض من يدعي الولاية على غير الإسلام قد بدل دينه وشابه اليهود والنصارى في ضلالهم.

فهذه الآية تقول: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه من

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

يرجع منكم عن دينه، ويستبدل به اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك، فلن يضرُّوا الله شيئاً، وسوف يأتي الله بقوم خير منهم يُحِبُّهم ويحبونه.

يحبون الله بمعنى المحبة التي يستلزم منها المتابعة، ويحبهم الله محبة تليق بجلاله سبحانه وتعالى من غير تأويل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف، ويحقق لهم في سبيل ذلك البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

أما المبتدعة فهو أعداء الله وليسوا أحبابه وهذا معتقد أهل الإسلام فيهم.

وعند المبتدعة أن من خالف سنن السلف وصار على سنن الخلف والضلالات من هُداة الخلق، وحفاظ الشرع، وعندهم والعياذ بالله كما أسلفنا أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسول، ومن اتبعه فليس منهم! ولا بد من ترك الجهاد، فمن جاهد فليس منهم! ولا بد من ترك الإيمان والتقوى! فمن تقيد بالإيمان والتقوى، فليس منهم.

وهكذا هي دعوة المبتدعة أعداء الرسل، نسأل الله العفو والعافية.

الأصل السادس

رد الشبهة الشيطانية التي تنص على ترك القرآن والسنة، واتباع الآراء والأهواء المتفرقة

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : الأصل السادس ردُّ الشبهة التي وضعها الشيطان، في ترك القرآن والسنة، واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي: أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق؛ والمجتهد هو: الموصوف بكذا و كذا، أوصافاً لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر! فإن لم يكن الإنسان كذلك؛ فلْيُعرِضْ عنهما فرضاً حتماً لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما؛ فهو إما زنديق، وإما مجنون، لأجل صعوبة فهمهما!! فسبحان الله وبحمده: كم بيَّن الله سبحانه شرعاً وقَدَراً، خلقاً وأمراً في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى، بلغت إلى حدِّ الضروريات العامة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١)، ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾(٢)، إلى قوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾(٣).

[الشرح]

الأصل السادس رد الشبهة التي عند بعض المبتدعة، والتي تنص على

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.
(٢) سورة يس، الآيتان: ٧، ٨.
(٣) سورة يس، الآية: ١١.

ترك القرآن والسنة، واتباع الآراء والأهواء المتفرقة بحجة أنه يشترط في تفسير القرآن وفي تفسير السنة أن يكون الرجل ذا أوصافٍ تعجيزية عديدة ربما يتعذر وجودها عند أكبر علماء الأرض ومنها ما يمكن حصوله لكنها شروط غير مستساغة شرعاً وعقلاً ومن ذلك قول بعضهم لا يجوز تفسير القرآن للعالم حتى يبلغ في العلم أربعين سنة وأن يكون من أهل الخطوة وأن يكون عالماً باللغة وفروعها وأن يكون متقناً لكافة القواعد الأصولية والفقهية وأن يكون موصوفاً بكذا كذا من الإيمان وأن يأتي بكافة الفرائض والنوافل التي دعا إليها الإسلام، ويأتون بأوصافٍ يقول المصنف لو جمعت هذه الأوصاف وطبقت على أبي بكر وعمر لتعذر وجودها فيهما.

فإذا تعذرت هذه الأوصاف في هذين الشيخين فكيف بغيرهما.

والناظر إلى هذه الأوصاف يجد أنها مردودة لأن أصحابها متنطعون، فيا سبحان الله ما أعظم طريقة أهل السنة والجماعة.

أهل السنة والجماعة يقولون من طلب العلم وحصل على بعض علوم الآلة استطاع أن يطالع وأن يتعرف على التفسير وأن يقرأ الشروح وأن يفيد الأمة وأن يستفيد.

فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله من هم مشايخه؟

الجواب: قلة ولكن الاستفادة التي استفادها في الغالب كانت من كثرة المطالعة، وكذلك شيخنا الألباني عليه رحمة الله مشايخه قلة ولكنه استفاد من كثرة المطالعة.

حتى يقول بعض المبتدعة بأنه يلزم للرجل إذا أراد أن يتعلم التفسير أو السنة أن يذهب إلى مكانٍ خالٍ وأن يبتعد عن الناس حتى يكون في الجو الطلق الذي لا يشغل ذهنه عن شيء وحتى يكون قلبه متعلقاً بالله وحده فيجتمع القوم في مكان عند شجرة أو عند قبر من أجل أن تتنزل عليهم الرحمات كما يزعمون وحتى يفهموا السنة وحتى يفهموا القرآن، كلام ما أنزل الله به من سلطان، ثم يقولون من لم يكن كذلك فينبغي عليه أن يعرض عن

الكتاب وعن السنة وجوباً لأنه لم يتصف بهذه الأوصاف التي قرروها والتي ذكروها، ومن دعاهم إلى الهدى وإلى الطريقة الصحيحة التي دعا إليها الإسلام، قالوا ذاك زنديق وذاك منافق لأنه خالف هواهم ولأنه خالف ضلالهم.

وهكذا المبتدعة يأتون بالعجائب وحال الأمة لا يخفى أن فيهم العامي الذي لا يدرك أموراً كهذه فيختلط عليه الحابل بالنابل.

تأتي إلى العامي الذي يتبع المبتدعة وتقول له هذا لا يجوز فيقول لك قد أفتى به العالم الفلاني.

فإذا قلت له: العالم الفلاني مبتدع، يقول: كيف يكون مبتدعاً وهو الذي يقول قال الله، وقال رسول الله.

فيتقولون بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان ويضلوا معهم أتباعهم ومحبيهم من الجهال والعامة أتباع كل زاعقٍ وناعق.

وعلى العموم فالسنة والقرآن يستطيع الشخص أن يتعرف على ما فيهما من الأحكام بمجالسة العلماء وبكثرة المطالعة، وأهل السنة والجماعة لا يدفعون الأمة في أن تفتي أو الطالب أن يفتي حتى يكون متمكناً، لكن قضية الفهم قد يرزقه الله سبحانه وتعالى من شاء من خلقه وإن كان صغيراً، فربما يطلب العلم الطالب لمدة سنتين فيفتح الله عليه ويطالع ويستفيد وتمضي السنين حتى يصير مرجعاً لكثير من عباد الله سبحانه وتعالى في منطقته.

الله سبحانه وتعالى بين لنا في الشرع وبين أيضاً ذلك أزلاً وأمر به ووردت فيه الأدلة في أن هذه الشبه التي جاءت بها المبتدعة تعتبر مخالفة لهدي النبي عليه الصلاة والسلام، لأن السؤال يتوجه إلى المبتدعة هل هذه الأوصاف دل عليها دليل؟ وهل اشترطها المصطفى عليه الصلاة والسلام؟ وهل علمها الصحابة؟

والجواب لا، فشيء ما علمه الرسول ولا علمه الصحابة فكيف يعلمه هؤلاء المبتدعة؟

ولو قالوا بأن الرسول وأن الصحابة يعلمون ذلك، فنقول لماذا لم يظهروه؟

فإذا قالوا أخفوه - وحاشاه أن يخفي شيئاً هو من دين الله -، قلنا فشيء أخفاه الرسول وأخفاه الصحابة فكيف لكم أن تظهرونه أنتم؟

وعلى سبيل المثال أقول: من الضروريات أحياناً عند عامة الناس أنهم يعرفون أن الركوع أو السجود للقبر والاستغاثة بالميت وما أشبه ذلك من هذه الأمور منافي للفطرة فكيف بمن يجيزه ويدعي العلم ويدعي نسبته للشرع أوليس هذا المبتدع الأحرى به أن يشدد بالأوصاف في مثل هذه المقامات الشركية بدل أن يبتدع أوصافاً تحيل بين المسلمين ودينهم.

يا سبحان الله، ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأن الله عز وجل قد حق القول على أكثرهم وكتب أنهم على ضلالة لأنهم لم يسعوا في طريق الخير ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾[1] معرضون، لا يحبون أن يسمعوا للحق وإذا سمعوا عالماً تحدث أعرضوا عنه، وهذه هي طريقة المنافقين ولهذا فالله سبحانه وتعالى ما جعل لهم باباً مفتوحاً ولا جعل لهم طريقاً سوياً لأنهم أغلقوا على أنفسهم الأبواب وحجَّروا على أنفسهم وأتوا بأمورٍ ما شهد بها الشرع، ثم يختم المصنف كلامه بالثناء على الله سبحانه وتعالى والصلاة على النبي عليه الصلاة.

والسلام حيث جاء في آخر هذه الأصول «**والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد**».

الحمد لله هو الثناء الذي لا يستحقه أحد بكامله سوى الله سبحانه وتعالى فهو المألوه الذي يستحق العبادة والثناء، وهو الرب الذي يدبر شئون الخلق، ثم الصلاة على المصطفى عليه الصلاة والسلام لأن الله عز وجل دأمرنا بذلك

(١) سورة يس، الآيتان: ٧، ٨.

بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[1].

والسيد هو الذي ساد قومه إما بمال أو جاهٍ أو سلطان، والنبي عليه الصلاة والسلام ساد قومه وكافة الشعوب بالرسالة وهو القائل عليه الصلاة والسلام كما في صحيح البخاري: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر».

وأما الآل فهم أقرباء وذرية محمد عليه الصلاة والسلام، وقيل هم كذلك مع الأزواج، وقيل إن كل من تبع النبي عليه الصلاة والسلام يعتبر من آله، وهذا جائز ضمناً لا حقيقة.

والصحب جمعٌ مفرده صاحب، والصحابي هو الذي لقي النبي عليه الصلاة والسلام مؤمناً، ومات على الإيمان وإن تخلل ذلك ردة، «وسلم تسليماً كثيراً» دعوة صادقة لنلقي السلام على حبيب الله الصلاة والسلام والدعاء له بالسلامة وقد سلم النبي ﷺ من المعاصي والذنوب والكبائر وبلغ العصمة ببلوغه منزلة النبوة، وبهذا نكون قد انتهينا من هذه الأصول الستة، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

مجموعة

المتون المشروحة

مجموع المتون المشروحة

أولاً: متن قواعد وأصول العقيدة والتوحيد لمؤلفه صادق بن محمد البيضاني

قال مقيده عفا الله عنه: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه، وبعد:

فهذه قواعدُ مهمةٌ ومُوجزةٌ تختص بالعقيدة والتوحيد، جمعتها لأخواني طلبة العلم بمسجد ومركز دار السلام بمدينة العين، بما يتوافق مع مستواهم العلمي، ليعرفوا من خلالها أهم الأسس التي قامت عليها طريقة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة لِدَحْضِ شبه أهل الأهواء والبدع الذين خالفوا صراط الله المستقيم، واستندوا إلى العقل مُدَّعِيْنَ أن كل شيء يتوافق مع العقل فحقٌ متبعٌ، وكل شيء يعارضه فباطلٌ يُعْرَضُ عنه، حتى أشعلوا نار الفتنة في صفوف المسلمين وعطَّلُوا حقوق الله جل وعلا، وردوا نصوصه الشرعية بمجرد قواعدَ وأصولٍ جاءتهم من فلاسفة العجم، تُعارضُ تماماً ما جاءت به الشرائع السماوية.

وإني لأرجو الله أن أكون قد وُفِّقْتُ لجمع أهم هذه القواعد الصحيحة التي عليها علماء الملة أهل السنة والجماعة.

فأقول وبالله التوفيق:

القاعدة الأولى: كل شيء في الكون يدل على وجود الصانع الخبير جل جلاله.

القاعدة الثانية: كلُّ شيءٍ يُسَبِّحُ، ويُمَجِّدُ خالقه جل وعلا.

القاعدة الثالثة: المغيبات التي أخبر عنها الشرع لا تُدرك بالعقل، وإنما تُدْرَك بالنقل.

القاعدة الرابعة: مصدر توحيد الباري ينحصر فيما جاء عن الشرع

القاعدة الخامسة: أن رسولنا عليه الصلاة والسلام ما مات حتى بين لنا ما يختص بالعقيدة والتوحيد بياناً شافياً كافياً.

القاعدة السادسة: اليهود والنصارى والمشركون، ومن هو على شاكلتهم معترفون بتوحيد الربوبية، وأن دعوة رسلهم كانت إلى توحيد الألوهية

القاعدة السابعة: كل مولود يولد على فطرة الإسلام لا يخرج عن كونه مسلماً إلا باستجابته دعوة غير المسلمين.

القاعدة الثامنة: مشركو العرب في القديم والحديث يعبدون الله إلا أنهم يشركون في عبادته غيْرَه بحجة طلب القربى أو الشفاعة.

القاعدة التاسعة: مشركو زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن الأولين يُشْرِكُون في الرخاء، ويُخْلِصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة.

القاعدة العاشرة: ملل الكفر واحدة، وإن اختلفت أديانهم، ويلزم دعوتهم إلى الإسلام فإن أبوا دفعوا الجزية فإن أبوا فالسيف.

القاعدة الحادية عشرة: الولاء لكل مسلم.

القاعدة الثانية عشرة: أنه يجب طاعة ولي الأمر، وإن كان فاجراً ما لم نر كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان.

القاعدة الثالثة عشرة: الأصل أن يسمى الله ويوصف بما سمى ووصف به نفسه أوسماه ووصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام نفياً وإثباتاً.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهى الفراغ منه ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان لعام ألف وأربعمائة وثلاث وعشرين للهجرة بمدينة العين حرسها الله آمين.

ثانياً: منظومة ابن تيمية في العقيدة:

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

يا سَائِلي عَنْ مَذْهَبِي وعَقيدَتِي ... رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَلُ
اسمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ في قَولِهِ ... لا يَنْثَني عَنهُ ولا يَتَبَدَّلُ
حُبُّ الصَّحابَةِ كُلُّهُمْ لي مَذْهَبٌ ... وَمَوَدَّةُ القُرْبى بِها أَتَوَسَّلُ
وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ وَفَضْلٌ ساطِعٌ ... لكِنَّما الصِّديقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ
وأُقِرُّ بِالقُرآنِ ما جاءَتْ بِهِ ... آياتُهُ فَهُوَ القَديمُ المُنْزَلُ
وجَميعُ آياتِ الصِّفاتِ أُمِرُّها ... حَقاً كما نَقَلَ الطِّرازُ الأَوَّلُ
وأَرُدُّ عُقْبَتَها إلى نُقَّالِها ... وأصونُها عن كُلِّ ما يُتَخَيَّلُ
قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ الكِتابَ وراءَهُ ... وإذا اسْتَدَلَّ يقولُ قالَ: الأخطَلُ
والمؤمنون يَرَوْنَ حقاً رَبَّهُمْ ... وإلى السَّماءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ
وأُقِرُّ بالميزانِ والحَوضِ الذي ... أَرجو بأنّي مِنْهُ رَيّاً أَنْهَلُ
وكذا الصِّراطُ يُمَدُّ فوقَ جَهَنَّمٍ ... فَمُوَحِّدٌ ناجٍ وآخَرُ مُهْمَلُ
والنَّارُ يَصْلاها الشَّقيُّ بِحِكْمَةٍ ... وكذا التَّقِيُّ إلى الجِنانِ سَيَدْخُلُ
ولِكُلِّ حَيٍّ عاقِلٍ في قَبرِهِ ... عَمَلٌ يُقارِنُهُ هناك وَيُسْأَلُ
هذا اعتقادُ الشافِعيِّ ومالِكٍ ... وأبي حنيفةَ ثم أحمدَ يَنْقِلُ
فإنِ اتَّبَعْتَ سبيلَهُمْ فَمُوَحِّدٌ ... وإنِ ابْتَدَعْتَ فَما عَلَيْكَ مُعَوَّلُ

ثالثاً: متن القواعد الأربع في التوحيد.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، ويجعلك ممن إذا أُعطِي شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنفية ملة إبراهيم: أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين.

كما قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ».

فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم: أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة.

فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك هو معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله الذي قال تعالى فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(١).

وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

القاعدة الأولى: أنْ تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام.

والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(٢).

القاعدة الثانية: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة.

---

(١) سورة النِّساء، الآية: ٤٨.

(٢) سورة يُونس، الآية: ٣١.

فدليل القربة قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾(١).

القاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم: منهم مَنْ يعبد الملائكة، ومنهم مَنْ يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم مَنْ يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾(٢).

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(٣).

ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾(٤).

ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾(٥).

ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾(٦).

---

(١) سورة الزُّمَر، الآية: ٣.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.
(٣) سورة فُصِّلَت، الآية: ٣٧.
(٤) سورة آل عِمران، الآية: ٨٠.
(٥) سورة المَائدة، الآية: ١١٦.
(٦) سورة الإسرَاء، الآية: ٥٧.

ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾(١).

وحديث أبي واقد الليثي ﷺ قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين - ونحن حدثاء عهد بكفر - وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة.

فقلنا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» الحديث.

القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة.

والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾(٢).

رابعاً: متن ثلاثة الأصول لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله.

قال رحمه الله: بسم الله الرحمن الرحيم، اعلم رحمك الله: أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل، المسألة الأولى: العلم.

وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

المسألة الثانية: العمل بالعلم.

المسألة الثالثة: الدعوة إليه.

المسألة الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

والدليل على ذلك قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾(٣).

---

(١) سورة النّجم، الآيتان: ١٩، ٢٠.

(٢) سورة العَنكبوت، الآية: ٦٥.

(٣) سورة العصر، الآيات: ١-٣.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «لو ما أُنزل حجةً على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم».

وقال البخاري رحمه الله تعالى: «باب: العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[1]؛ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل».

(اعلم رحمك الله) أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث المسائل، والعمل بهنَّ:

الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً؛ فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾[2].

الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحدٌ في عبادته؛ لا ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ﴾[3].

الثالثة: أن من أطاع الرسول، ووَحَّد الله لا يجوز له موالاة مَنْ حادَّ الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب، والدليل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4].

(اعلم أرشدك الله لطاعته) أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده

---

(١) سورة محمّد، الآية: ١٩.
(٢) سورة المزمّل، الآيتان: ١٥،١٦.
(٣) سورة الجنّ، الآية: ١٨.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

مخلصاً له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)] ومعنى يعبدون: يوحدون، وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو: إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو: دعوة غيره معه، والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[(٢)].

(فإذا قيل لك): ما الأصول الثلاثة التي يجب على الانسان معرفتها؟ فقل معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً عليه الصلاة والسلام فإذا قيل لك مَنْ ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[(٣)] وكل من سوى الله عالَم، وأنا واحد من ذلك العالم.

فإذا قيل لك: بِمَ عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته.

ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[(٥)].

والرب هو المعبود، والدليل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٢) سورة النِّساء، الآية: ٣٦.
(٣) سورة يُونس، الآية: ١٠.
(٤) سورة فُصِّلَت، الآية: ٣٧.
(٥) سورة الأعرَاف، الآية: ٥٤.

بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[١].

قال ابن كثي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة».

وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان، ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله.

بها، كلها لله تعالى والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ﴾[٢].

فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٣] وفي الحديث «الدعاء مخ العبادة» والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٤].

ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٥].

ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٦].

ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٧].

---

(١) سورة البَقَرة، الآيتان: ٢١، ٢٢.
(٢) سورة الجنّ، الآية: ١٨.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.
(٤) سورة غَافر، الآية: ٦٠.
(٥) سور آل عِمرَان، الآية: ١٧٥.
(٦) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[١].

ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾[٢].

ودليل الخشية قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾[٣].

ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾[٤].

ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٥] وفي الحديث: «إذا استعنت فاستعن بالله»، ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[٦]، ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[٧].

ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[٨]. ومن السنة: «لعن الله من ذبح لغير الله». ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[٩].

الأصل الثاني معرفة دين الإسلام بالأدلة.

وهو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

(١) سورة الطَّلَاق، الآية: ٣.
(٢) سورة الأنبيَاء، الآية: ٩٠.
(٣) سورة البَقَرَة، الآية: ١٥٠.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٤.
(٥) سورة الفَاتِحَة، الآية: ٥.
(٦) سورة النَّاس، الآية: ١.
(٧) سورة الأنفَال، الآية: ٩.
(٨) سورة الأنعام، الآيات: ١٦٢-١٦٣.
(٩) سورة الإنسَان، الآية: ٧.

وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبة لها أركان.

فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فدليل الشهادة قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١).

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله وحده، لا إله: نافياً جميع ما يُعبد من دون الله، إلا الله: مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه.

وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٣).

ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٤).

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نها عنه وزجر، وأن لا يعبد إلا بما شرع.

---

(١) سورة آل عِمرَان، الآية: ١٨.
(٢) سورة الزخرف، الآيات: ٢٦-٢٨.
(٣) سورة آل عِمرَان، الآية ٦٤.
(٤) سورة التّوبَة، الآية: ١٢٨.

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾(١).

ودليل الصيام قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(٢).

ودليل الحج قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٣).

المرتبة الثانية: الإيمان.

وهو بضعٌ وسبعون شعبة فأعلاها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

وأركانه ستة: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

والدليل على هذه الأركان قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(٤).

ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾(٥).

المرتبة الثالثة: الإحسان ركن واحد وهو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكنْ تراه فإنه يراك والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾(٦) وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ

(١) سورة البيّنَة، الآية: ٥.
(٢) سورة البَقَرَة، الآية: ١٨٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.
(٥) سورة القمر، الآية: ٤٩.
(٦) سورة النّحل، الآية: ١٢٨.

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾(٢).

والدليل من السنة حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد: أخبرني عن الإسلام فقال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إلي سبيلاً» قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: أخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره» قال: أخبرني عن الإحسان، قال: «تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: فأخبرني عن الساعة قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أماراتها قال: «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» قال: فمضى، فلبثنا ملياً، فقال: «يا عمر: أتدرون من السائل؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم».

الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام

الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٧-٢٢٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ٦١.

وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً، نُبئ بـ ﴿ٱقْرَأْ﴾[١] وأرسل بـ ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، وبلده مكة.

بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾[٢] ومعنى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: عظمه بالتوحيد، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهر أعمالك عن الشرك ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾. الرجز: الأصنام، وهجرها: تركها وأهلها والبراءة منها وأهلها.

أخذ على هذا عَشْرَ سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عُرِج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة.

والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم الساعة، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٩٩﴾[٣].

قال البغوي رحمه الله: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان.

والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها».

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٤.
(٢) سورة المدّثّر، الآيات: ١-٧.
(٣) سورة النساء، الآيات: ٩٧-٩٩.

فلما استقر في المدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة والصوم والحج والآذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام أخذ على هذا عَشْرَ سنين.

وبعدها توفي صلاة الله وسلامه عليه ودينه باقٍ، وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه.

والخير الذي دلها عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرها منه: الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه.

بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(١).

وكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٢).

والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾(٣).

والناس إذا ماتوا يبعثون والدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨﴾(٥).

وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾(٦).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٣) سورة الزُّمَر، الآيتان: ٣٠، ٣١.
(٤) سورة طه، الآية: ٥٥.
(٥) سورة نوح، الآيتان: ١٧-١٨.
(٦) سور النّجم، الآية: ٣١.

ومن كذَّب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾(١).

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾(٢).

وأولهم نوح عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين، والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾(٣).

وكلُّ أمة بعث الله إليها رسولاً من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾(٤)، وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

والطواغيت كثيرون، رؤوسهم خمسة: إبليس لَعَنَهُ الله.

ومن عُبد وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٥). وهذا هو معنى لا إله إلا الله.

وفي الحديث «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» والله أعلم.

---

(١) سورة التّغَابُن، الآية: ٧.
(٢) سورة النِّساء، الآية: ١٦٥.
(٣) سورة النِّساء، الآية: ١٦٣.
(٤) سورة النّحل، الآية: ٣٦.
(٥) سورة البَقَرَة، الآية: ٢٥٦.

خامساً: متن الأصول الستة.

قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب: من أعجب العجاب وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب؛ ستة أصول بيَّنَها الله تعالى بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظن الظانون، ثم بعد هذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل.

الأصل الأول: إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى، بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار، أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين، والتقصير في حقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتِّباعهم.

الأصل الثاني: أَمَرَ الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق فيه، فبين الله هذا بياناً شافيا تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المرسلين بالاجتماع في الدين ونهاهم عن التفرق فيه، ويزيده وضوحاً ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الأمر بالاجتماع في الدين لا يقول به إلا زنديق أو مجنون.

الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبداً حبشياً، فبيَّن الله هذا بياناً شائعاً كافياً بوجوه من أنواع البيان شرعاً وقدراً، ثم صار هذا الأصل لا يُعرف عند أكثر ممن يدعي العلم فكيف العمل به؟

الأصل الرابع: بيان العلم والعلماء، والفقه والفقهاء، وبيان من تشبه بهم وليس منهم. وقد بين الله هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾[1]، إلى قوله قبل ذكر إبراهيم عليه السلام:

(١) سورة البَقَرَة، الآية: ٤٠.

﴿يَبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ﴾[(١)] كالآية الأولى، ويزيده وضوحاً: ما صرَّحتْ به السنة في هذا من الكلام الكثير البيِّن الواضح للعامي البليد، ثم صار هذا أغرب الأشياء! وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم: لبس الحق بالباطل وصار العلم الذي فرضه الله على الخلق ومدحه، لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه وجدَّ في التحذير عنه، والنهي عنه هو الفقيه العالم.

الأصل الخامس: بيان الله سبحانه للأولياء، وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعدائه المنافقين والفجار، ويكفي في هذا آية (آل عمران)، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[(٢)]، والآية التي في المائدة وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾[(٣)]، وآية في سورة يونس وهي قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[(٤)]، ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم وأنه من هُداة الخلق، وحفاظ الشرع، إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسول، ومن اتبعه فليس منهم! ولا بد من ترك الجهاد، فمن جاهد فليس منهم! ولا بد من ترك الإيمان والتقوى! فمن تقيد بالإيمان والتقوى، فليس منهم! يا ربنا إن نسألك العفو والعافية، إنك سميع الدعاء.

الأصل السادس ردُّ الشبهة التي وضعها الشيطان، في ترك القرآن والسنة، واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي: أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق؛ والمجتهد هو: الموصوف بكذا و كذا، أوصافاً لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر! فإن لم يكن الإنسان كذلك؛ فلْيُعرِضْ عنهما فرضاً حتماً لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما؛ فهو إما زنديق،

(١) سورة البَقَرَة، الآية: ٤٧.
(٢) سورة آل عِمرَان، الآية: ٣١.
(٣) سورة المَائدة، الآية: ٥٤.
(٤) سورة يُونس، الآيتان: ٦٢، ٦٣.

وإما مجنون، لأجل صعوبة فهمهما!! فسبحان الله وبحمده: كم بيَّن الله سبحانه شرعاً وقَدَراً، خلقاً وأمراً في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى، بلغت إلى حدِّ الضروريات العامة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾[2]، إلى قوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[3].

(١) سورة يُوسُف، الآية: ٢١.
(٢) سورة يس، الآيتان: ٧،٨.
(٣) سورة يس، الآية: ١١.

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأبيات الشعرية

الفهرس

الرسالة الأولى: قواعدُ وأصول العقيدة والتوحيد

الرسالة الثانية: شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة

الرسالة الثالثة: شرح القواعد الأربع في التوحيد

الرسالة الرابعة: شرح ثلاثة الأصول في التوحيد

الرسالة الخامسة شرح الأصول الستة

كتب للمؤلف مطبوعة وتحت الطبع

١ - شمس الضحى في حكم الأخذ من اللحى.
٢ - تذكرة الأنام بحكم القراءة في المصحف للإمام وغير الإمام.
٣ - نزهة الطرف شرح بناء الأفعال في علم الصرف.
٤ - روابط الإخاء بين الشريعة والتطبيق.
٥ - أرجوزة البيضاني في علم التجويد (نظم).
٦ - النونية المتحفة في علم المواريث (نظم).
٧ - شرح منظومة ابن تيمية في العقيدة.
٨ - قواعد وأصول العقيدة (تأليف).
٩ - هل ابن صياد هو المسيح الدجال.
١٠ - شرح القواعد الأربع في التوحيد.
١١ - وصول الأماني بأصول التهاني للسيوطي. (تحقيق وتخريج).
١٢ - روابط الأخوة الإسلامية على ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.
١٣ - الجواب المختار على السائل المحتار.
١٤ - الأخوة والصداقة.
١٥ - إدارة الوقت.
١٦ - الدرة في الأحاديث المائة من الصحيحين.
١٧ - بدعة الإحتفال بالمولد الشريف.
١٨ - بدعة الإحتفال بليلة الإسراء والمعراج.
١٩ - بدعة الإحتفال برأس السنة الهجرية.
٢٠ - بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان.
٢١ - محاسن الصياغة شرح منظومة مائة المعاني والبيان في علوم البلاغة.
٢٢ - حكم الخروج على الحكام وما قيل فيه من الخلاف.

٢٣ - الجهاد في الشريعة الإسلامية [الحقيقة والأحكام].

٢٤ - ضوابط التبديع.

٢٥ - ضوابط الهجر.

٢٦ - ضوابط التفكير.

٢٧ - الموالاة والمعاداة في الإسلام.

٢٨ - المنتقى من فتاوى الشيخ صاديق البيضاني [تحت الطبع جمعه ورتبه وخرَّج نصوصه وعلق عليه: عبد التواب بن أحمد معلم ومحمد بن علي دحروج].

٢٩ - مجموع فتاوى العلامة الوادعي.

٣٠ - مقدمات مهمة لطالب العلم [تحت الطبع].

٣١ - مجموع العقيدة والتوحيد.

٣٢ - شرح الأصول الثلاثة في التوحيد.

٣٣ - المنهج المقترح في تدريس المصطلح.

٣٤ - حكم القيام للداخل والقادم.

٣٥ - وسائل تزكية النفس.

٣٦ - الحب في الله على ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

٣٧ - حكم إمامة المرأة وإلقائها خطبة الجمعة «رد علمي على أمينة ودود».

٣٨ - نظرة تأمل في الواقع التجاري.

٣٩ - ترجمة العلامة الوادعي.

٤٠ - شرح الأصول الستة في التوحيد.

٤١ - التهنئة في الإسلام (دراسة حديثية فقهية اجتماعية) [مخطوط دراسة دكتوراه].

٤٢ - مقدمات مهمة في العقيدة والتوحيد.

٤٣ - نسأل الله أن ينفع بالمؤلف وتراثه العلمي المبارك.. اللهم آمين.